الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامـــعة غـــرداية

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

شعبة التاريخ

ملامح من التأثير الحضاري العربي الإسلامي على بلاد السودان الغربي خلال القرنين (9-10هـ/15-16م)

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تخصص التاريخ الحديث والمعاصر

من إعداد الطالبة :

بلخضر خضرة

بإشراف: أ/جعفري أحمد

مساعد المشرف: أ/بوقراف جلول

الموسم الجامعي :

1436-1437هـ / 2015- 2016 م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامـــعة غـــرداية

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

شعبة التاريخ

ملامح من التأثير الحضاري العربي الاسلامي على بلاد السودان الغربي خلال القرنين (9-10هـ/15-16م)

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تخصص التاريخ الحديث والمعاصر

من إعداد الطالبة :

خضرة بلخضر

إشراف: أ/ جعفري أحمد

مساعد المشرف: أ/بوقراف جلول

الموسم الجامعي :

1436-1437هـ / 2015- 2016 م

الإهـــداء

إلى الذي يصعد إليه الكلام الطيب والدعاء الخالص والهتاف الصادق إلى الحي الذي لا يموت الذي وفقني لإنهاء ما بدأ، إليك ربي عملي هذا خالص لوجهك الكريم يادا الجلال والإكرام ،وإلى كل من أحب الله وجعل طاعته سبيله وجعل رضاه مبتغاه، ومن سنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم طريقا للوصول إلى النجاة.

إلى أغلى ما أملك في هذا الوجود إلى الصدر الحنون والقلب الرحيم إلى حجر العطاء الذي أستمد منه فيض الحنان ومرفأ الأمان إلى التي بكت ودعت وسهرت الليالي فأنجبت وربت ،إلى أعز كلمة نطق بها لساني الغالية أمي الحبيبة، وإلى رمز المحبة والعطاء الذي لم يبخل عليا بدعواته، إلى قدوتي في الحياة إلى أغلى ما في الوجود أبي حفظه الله.

إلى أفراد العائلة من قريب وبعيد إلى جدتي وجدي إلى أخواتي وإخوتي وقرة عيني إلى روح أخي محمد رحمه الله، وإلى زينب، عائشة، عبد الكريم، نفيسة، أسماء، اسامة، عبد الرؤوف، عبد الرحمان، وإلى القلوب الطاهرة الرقيقة والنفوس البريئة إلى رياحين حياتي بنات أختاي : على راسهم ياسمين و سارة ، ريم، خديجة، وسرين، كما أهدي عملي هذا إلى من سرنا سويا ونحن

نشق الطريق معاَ نحو النجاح والإبداع إلى من تكاتفنا يداً بيد ونحن نقطف زهرة نجاحنا الى

صديقاتي وزميلاتي العزيزات خاصة أسماء بن بادة وياسمين صايتي، وإلى كل طلبة السنة الثانية ماستر تخصص تاريخ .

بلخضر خضرة

شكر وعرفان

اللهم لك الحمد حتى ترضى ولك الحمد إذا رضيت ولك الحمد بعد الرضي اللهم نشكرك على كل النعم التي هديتنا إياها لإنجاز هذا العمل في البداية أشكر أستاذي الفاضل على اهتمامه الكبير بموضوع رسالتي من خلال توجيهاته ونصائحه وارشاداته ،فجزاه الله عنا خيرا .

كما اتوجه بالشكر الجزيل إلى كل من قدم لي يد العون وامدني بمعلومات حول مذكرتي وسهّل لي سبل الوصول إليها وأخص بالذكر: عمال مكتبة الجامعة ،وكذا مكتبة البلدية بمتليلي، كما أشكر أساتذة قسم التاريخ بجامعة غارداية، واشكر كل من ساعدني من قريب وبعيد.

قائمة المختصرات:

1- العربية:

تح	تحقيق
تر	ترجمة
تع	تعليق
ت	توفي
ج	جزء
ص	صفحة
ط	طبعة
ع	العدد
ق	القرن
مج	مجلد
م	ميلادي
هـ	هجري

2- الأجنبية:

P	**Page**
R.A	**Revue.Africain**
R.H	**Revue Hespéris**
VOL	**Volume**

شهدت بلاد السودان الغربي ظهور مجموعة من الممالك والحواضر الإسلامية التي ساهمت في نهضة المنطقة وتطورها فكريا واقتصاديا بفعل الجهود المعتبرة التي قام بها العلماء والتجار العرب المسلمون المغاربة منهم على وجه الخصوص الذين كان لهم الفضل في انتشار الإسلام بالمنطقة ،خاصة وان البعض منهم استقر بها وامتزج بالسكان المحليين عن طريق المصاهرة ،وهو ما انعكس على الواقع السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي الخاص بها، حيث تأثر هؤلاء السودانيين بمختلف التعاملات التي كان يقوم بها المسلمون وأصبحت جزءا من حياتهم وتعاملاتهم اليومية ،لما لاحظوه من قيم وأخلاق سامية اتصف بها هؤلاء المسلمون ،والملفت للانتباه أن هذه التأثيرات التي شملت مختلف الجوانب ظلت متأصلة في المجتمع السوداني لغاية اليوم.

دوافع اختيار الموضوع

هناك جملة من الدوافع جعلتني أقدم على اختيار هذا الموضوع المعنون ب"**ملامح من التأثير الحضاري العربي الإسلامي على بلاد السودان الغربي خلال القرنين(9-10هـ/15-16م)**" وذلك من أجل تسليط الضوء على واقع الأثر العربي الإسلامي على بلاد السودان الغربي، وكذا التعرف على مدى تعمق وتجسد العقيدة الإسلامية بها، وتوضيح النتائج التي ترتبت عن انتشار الإسلام بتلك الربوع، وفي الواقع هناك دوافع أخرى شجعتني ودفعتني للبحث في غمار هذا الموضوع ومنها:

- رغبتي في دراسة التاريخ الإفريقي ومحاولة البحث فيه والاطلاع على الحضارات والممالك الإسلامية الناشئة ببلاد السودان .

- محاولة تسليط الضوء على المنهج الذي سار عليه الدعاة العرب الوافدون لبلاد السودان الغربي، وذكر أهم الإنجازات الحضارية التي نقلوها للمنطقة.

- التطرق لدراسة جانب من جوانب التاريخ الإفريقي والتزود بالمعلومات منه.

– تشجيع ودعم الأستاذ المشرف على الخوض في تفاصيل العلاقات القائمة بين المنطقتين ،ومدى تأثير العرب المسلمين على سكانها سياسيا واقتصاديا وثقافيا.

الهدف من الدراسة:

إن الهدف من الدراسة هو محاولة إبراز أثر الحضارة العربية الإسلامية بالسودان الغربي وتقديم صورة عنها اعتمادا على مصادر المؤرخين الذين عايشوا الحدث ،وذلك من خلال تسليط الضوء على فترة تاريخية هامة من الفترات التي مرت بها منطقة السودان الغربي في عهد أساكي مملكة سنغاي ،التي بلغت فيه المملكة أوج ازدهارها الثقافي والاقتصادي، كما أنه يبرز في الوقت ذاته دور المسلمين في نشر الإسلام والثقافة العربية الإسلامية بها ،والمعالم والنتائج التي تمخضت عنها، ومدى تأثر السكان بمختلف التعاملات السائدة .

حدود الدراسة:

أ – الإطار الزماني:

بالنسبة للإطار الزماني للدراسة ؛فقد شمل القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلادي ، التاسع والعاشر الهجري نظرا لما شهدته منطقة السودان الغربي خلالها من أحداث متنوعة ... في عهد مملكة سنغاي التي أعطت صورة عميقة لمدى تجسد الثقافة العربية الإسلامية بها.

ب– الإطار المكاني:

أما بالنسبة للإطار المكاني ؛فهو يشمل بلاد السودان الغربي وعلاقاتها مع بلدان المغرب والمشرق العربيين.

إشكالية الدراسة:

ينطلق موضوع هذه الدراسة من إشكالية رئيسية هي: ماهي ملامح التأثير العربي الإسلامي في السودان الغربي خلال القرنين (9-10هـ /15-16م) ؟

وتتفرع من هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات الآتية وهي:

ما مدلول كلمة السودان الغربي ؟ وماهي تركيبتها البشرية؟ وكيف انتشر الإسلام بها ؟

ماهي طبيعة العلاقات التجارية القائمة بين البلدان العربية والسودان الغربي ؟

ماهو دور الشيخ عبد الكريم المغيلي ؟ وكيف كانت علاقاته مع حكام مملكة سنغاي ؟

ماهي المجالات التي شملتها التأثيرات العربية الإسلامية بمنطقة السودان الغربي؟ وإلى أي مدى تم تجسيدها في الحياة اليومية؟

الدراسات السابقة المتعلقة بموضوع البحث

من الدراسات التي تطرقت للموضوع أو لجانب من جوانبه نجد بعض المذكرات التي تحدث عن تاريخ بلاد السودان الغربي وعن الثقافة العربية الإسلامية بالمنطقة منها:

- رسالة ماجستير بعنوان: "**الحياة الثقافية الإسلامية في مملكة سنغاي على عهد الأسقيين (899-1000هـ/1493-1591م)**" دراسة تاريخية من إعداد مرزقلال لعماري ،نوقشت سنة 2009-2010م، بقسم التاريخ بجامعة الجزائر (بوزريعة)، خصصت لدراسة الحياة الثقافية بمختلف جوانبها في عهد مملكة سنغاي.

- رسالة ماجستير بعنوان: "**مدينة تنبكت ودورها الحضاري خلال القرن 10هـ/16م**"، من إعداد عبد الحميد جنيدي، نوقشت سنة 2008-2009م، بقسم التاريخ بجامعة الجزائر(يوسف

بن خدة)، وهي عبارة عن دراسة جاء الحديث فيها عن دور الحياة الاقتصادية والثقافية لمدينة تنبكو خلال القرن 16م.

– رسالة ماجستير بعنوان: **"الحياة العلمية في دولة صنغاي (842–1000هـ/1464–1591م)**، من إعداد محمد ألفاجو نوقشت سنة1993، بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة أم القرى مكة المكرمة، التي خصصت لدراسة، مراحل التعليم بسنغاي ومراكزه ومناهجه، وأهم الحواضر الثقافية بها.

المنهج المتبع:

لقد اتبعنا في دراستنا هذه على المنهج التاريخي الوصفي التحليلي، وذلك من أجل وصف الأحداث التي مرت بها بلاد السودان الغربي ومناقشتها وتحليلها انطلاقا من المعلومات المتوفرة ،لأن موضوع المؤثرات الثقافة العربية بحاجة إلى وصف وتحليل لإعطاء صورة واضحة وملمة بالموضوع.

خطة الدراسة:

اتبعت في دراستي لهذا الموضوع على خطة تتكون من مقدمة وأربعة فصول وخاتمة وفهارس وملاحق ، ثم عرض للمصادر المعتمدة في هذا الموضوع.

الفصل الأول: خصصته **للتعريف ببلاد السودان الغربي** وتحدثت فيه عن مدلول التسمية ،وموقعها الجغرافي ،ثم التركيبة السكانية ،ووسائل انتشار الإسلام و المسالك التي اعتمدت للوصول لمنطقة السودان الغربي.

أما الفصل الثاني: فكان بعنوان" **التأثيرات السياسية والعسكرية**" ،وأشرت فيه إلى التأثيرات العربية الإسلامية على الجانب السياسي والعسكري بمنطقة السودان الغربي من خلال الحديث عن كيفية اختيار الملك وكيف يتم تنصيبه و عن تركيبة الجيش، كما خصصت الجزء الاخير من هذا

الفصل للنظام القضائي من خلال التطرق لكيفية اختيار القضاة و الأحكام التي يصدرونها ومدى تطابق أحكامها للشريعة الاسلامية.

وخصصت الفصل الثالث: لدراسة "**التأثيرات الاقتصادية والاجتماعية**" من خلال الإشارة إلى التأثير العربي الإسلامي على النشاط الزراعي والصناعي في المنطقة بذكر المنتجات الفلاحية التي سادت بالمنطقة عن طريق العرب، فتعرضت فيه إلى رصد أساليب التعامل التجاري ،والحرف والصناعات التي شهدتها المنطقة، وأهم العملات التي استعملت في البيع والشراء التي ادخلها العرب للسودان الغربي ثم تطرقت بعدها إلى الحديث عن التأثير على الجانب الاجتماعي الذي مسّ العادات والتقاليد والاحتفالات الدينية والزواج ونظام الأسرة.

أما الفصل الرابع: فجاء تحت عنوان "**التأثيرات الثقافية والعلمية**" ،وفيه تحدثت عن التعليم ومراحله ومراكزه وعن الطرق الصوفية التي انتشرت بالمنطقة وكذلك مشاركة العلماء و إسهاماتهم في الإنتاج الفكري، إضافة إلى التطور العمراني الذي أخذ الطراز العربي الإسلامي.

أما الخاتمة فكانت مخصصة لتقديم استنتاجات وملاحظات عامة حول موضوع الدراسة.

التعريف بأهم المصادر والمراجع الخاصة بالموضوع:

لإنجاز هذه الدراسة والإلمام بجوانبها المختلفة اعتمدت على عدد من المؤلفات تمثلت في:

– المصادر:

– كتاب "**تاريخ السودان** " لعبد الرحمان السعدي ، ترجمة هوداس، الذي قدم معلومات هامة حول مملكة سنغاي على أيام الأسقيين ،استفدت منه في التعرف على الأوضاع الثقافية ،و مناهج الدراسة والمواد التي تدرس ،وأهم الحواضر الثقافية للمملكة إضافة لأشهر العلماء والقضاة بها، وصولا إلى أهم المنجزات الحضارية.

– "**تاريخ الفتاش في أخبار الجيوش وأكابر الناس**"، لمؤلفه محمود كعت التنبكتي (873-

1002هـ/1464-1593م)، ترجمه هوداس ودي لافوس، استفدت منه في ذكر الإنجازات التي قام بها الأسكيا محمد الكبير ورحلته للحج، إضافة إلى معلومات متعلقة بالمساجد وتاريخ بنائها وكذلك لبعض القضاة والفقهاء، فهو يعتبر مصدرا هاما لا يمكن الاستغناء عنه في دراسة تاريخ مملكة سنغاي ودخول الإسلام والحضارة العربية إليها.

- كتاب "**أسئلة الأسكيا وأجوبة المغيلي**" الذي حققه الباحث عبد القادر زبادية، و يعود تأليفه للإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي بداية القرن 10هـ/16م، جاءت كإجابة عن الأسئلة الشهيرة للأسكيا محمد الكبير ،استفدت منه ما تعلق بالواقع الاجتماعي والثقافي للمملكة سنغاي.

- وهناك كتب اختصت بالتراجم والسير ساهمت في إماطة اللثام عن تاريخ بلاد السودان ،خاصة ماتعلق بالجانب الثقافي غلبت عليها تراجم لكل من الأدباء والعلماء والفقهاء الذين برزو أيام مملكة سنغاي، منهما كتابي الفقيه أحمد بابا التنبكتي (960-1036هـ/1553-1621م) الأول "**نيل الابتهاج بتطريز الديباج**" و الثاني "**كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج**" هذا الأخير جاء في جزئين .

– كتاب "**فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور**" لمحمد بن أبي بكر البرتلي، الذي تضمن ترجمة لأكثر من مائتي شخصية ،استفدت منه في الترجمة لبعض علماء المنطقة بما تعلق بإنجازاتهم وإسهاماتهم ومشاركتهم في الإنتاج الفكري .

– المراجع العربية والمعربة:

– المراجع العربية:

- "**التاريخ السياسي لإفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر**"، استفدت منه في مؤثرات الثقافة الإسلامية على الجانب الإداري والقضائي والاقتصادي، وكتاب "**التاريخ الحضاري لإفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس**

عشر إلى بداية القرن الثامن عشر"، استفدت منه فيما يتعلق بمراحل التعليم ومراكزه ووصف عمرانها إضافة إلى ترجمة للعلماء .

–كتابي" **مملكة سنغاي في عهد الأسقيين (1493–1591م)**" و"**الحضارة العربية والتأثير الأوربي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء**"، لمؤرخ عبد القادر زبادية ، تحدث فيهما عن مملكة سنغاي من بداية حكم الأسقيين إلى غاية سقوطها، استفدت منهما كثيرا خاصة ما تعلق بالتطور السياسي للمملكة في ظل حكم الأسقيين ،وعن النظام القضائي وكذا عن الحياة الاجتماعية والثقافية .

–كتاب "**الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي خلال القرنين العاشر والحادي عشر للهجرة السادس عشر والسابع عشر للميلاد**" لمطير سعد غيث، الذي رصد فيه مؤثرات الثقافة العربية الإسلامية في السودان الغربي في الجوانب السياسية والعسكرية والاقتصادية...إلخ

– المراجع المعربة:

اعتمدت على البعض منها في دراستي منها: "**تاريخ غرب إفريقيا**" لمؤلفه فيج جي دي، أخدت منه تعريف بالمنطقة، وكذا "**كتاب الحضارات الإفريقية**" لبولم دنيس، "**وأطلس التاريخ الإفريقي**" ...إلخ.

– المراجع الأجنبية:

-Lenz Oskar: Tombouctou Voyage au Maroc au Sahara et au soudan .

لأوسكار لينز الذي خصص جزء منه في الحديث عن الجانب الاقتصادي وذكر بعض المنتجات التي تجلب من خارج المنقطة لبلاد السودان الغربي وذكر الملح وكيف يقايضون به أي في كيفية

التعامل التجاري استفدت منه في الفصل الثالث من دراستي ما تعلق بالتأثير على الجانب الاقتصادي.

– Rozet et Carette:l'Algérie.

كتاب بعنوان الجزائر لروزت وكوريت من المراجع اعتمدت عليها في الجانب الاقتصادي من دراستي خاصة ما تعلق التبادل التجاري و السلع التي يجلبها التجار الوافدين لبلاد السودان الغربي.

– مقالات المجلات والدوريات والملتقيات :

– مجلة المؤرخ العربي: التي خصص جزء من عددها الرابع عشر للحديث عن الحياة الثقافية ومراحل التعليم مقالة لمؤرخ عبد القادر زبادية.

– مجلة المناهل: التي خصصت مقالة تحت عنوان الحاضرة الإسلامية العربية في غرب إفريقيا ودور المغرب فيها، العدد السابع من المجلة ، بالإضافة لمجلات أخرى مثل **قراءات إفريقية** ومجلة **دراسات**...إلخ.

الصعوبات المعترضة:

لاشك أنه في دراسة أي موضوع يقوم به كل باحث إلا وصاحبته مجموعة من الصعوبات، فقد واجهتني بعض الصعوبات منها:

– المدة الزمنية المتاحة لنا لدراسة الموضوع من كل زواياه غير كافية تحول دون الإلمام بشتى أجزاء البحث.

– صعوبة التحكم في المعلومات التي تخدم الموضوع بسبب تشعب المادة العلمية بالإضافة إلى تضارب الآراء والروايات من مصدر لأخر.

– افتقار المكتبات سواء الجامعية أو الكائنة بالولاية إلى الكثير من المصادر المتعلقة بالتاريخ الإفريقي وإن وجدت فهي معدودة.

وفي الأخير لا يسعني إلا أن أتقدم بخالص شكري إلى أستاذي المشرف أحمد جعفري الذي منحني جهده ووقته في الإشراف على مذكرتي والذي تجلى في نصائحه وتوجيهاته فجزاه الله عنا خير الجزاء، كما أتقدم بالشكر والامتنان للأستاذ المساعد جلول بوقراف أدامه الله ذخرا لنا ، والشكر موصول لكل من كانت له يد العون من قريب وبعيد في إثراء هذا الموضوع ووصوله لما هو عليه ،لأن لولاهم لم تكن الدراسة لترى النور ،وأتمنى أن أكون قد وفقت في عرض هذا الموضوع ،فإن أصبت في شيء منه فهو من الله تعالى وحده، وإن كان غير ذلك فمني و من الشيطان .

المبحث الأول: التسمية والموقع.

أطلق الرحالة والجغرافيون والمؤرخون العرب في العصور الوسطى[1] لفظة السودان على الأقوام القاطنة جنوب الصحراء الكبرى[2]، وهي التسمية المستمدة من لون بشرة سكان تلك المنطقة[3] المحصورة بين المحيط الأطلسي غربا و الصحراء الكبرى شمالا إلى خط عرض 10جنوبا، حيث ورد ذكر هذا المجال الجغرافي عند ابن عبد الحكم في كتابه "فتوح البلدان والأندلس" عند إشارته إلى السوس جنوب المغرب في قوله :« ..وغزا عبيد الله الفهري السوس وأرض السودان...» [4] ، كما تحدث عنها الجغرافي الشهير المقدسي في قوله: « وأما أرض السودان فإنها تتاخم هذا الإقليم ومصر من قبل الجنوب، وهي بلدان مقفرة واسعة شاقة، وهم أجناس كثيرة» [5].

أطلق البكري (422-487هـ/1030-1094م) بدوره كلمة السودان على المناطق الممتدة من المحيط الأطلسي معتبرا مدينة سجلماسة[6] مدخلا لها وأضاف قائلا بأن« ... أول بلاد

---

[1] مطيرسعد غيث أحمد: **الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي خلال القرنين العاشر والحادي للهجرة السادس عشر والسابع عشر للميلاد**،ط1،دار المدار الإسلامي ،لبنان 2005،ص:28.

[2] الهادي المبروك الدالي: **التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن 15الى بداية القرن 18م** ،الدار المصرية اللبنانية ،مصر،ط1،1999،ص:17.

[3] عبد القادر زبادية: **الحضارة العربية والتأثير الأوربي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء**، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1989،ص:11.

[4] الهادي المبروك: مرجع سابق،ص17.نقلا عن: ابن عبد الحكم: فتوح البلدان والأندلس.

[5] أبو عبد الله محمد شمس الدين المقدسي: **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم** ،ط2، ،ليدن، د.ت ،ص:341.

[4] سجلماسة: مدينة جنوبي المغرب في طرف بلاد السودان ، بينها وبين فاس عشرة أيام تلقاء الجنوب، وهي في منقطع جبل درن ، وهي في وسط رمال ،ويتصل بها من شماليها جدد من الأرض يمر بها ...أنظر: شهاب الدين أبي عبيد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي: **معجم البلدان**،ج3، دار صادر ،لبنان، 1977،ص192.

السودان ...جبال ورمال عظيمة متصلة من الغرب الى الشرق» [1]،وحددها القلقشندي (756-821هـ/ 1355-1418م) بنفس الحدود تقريبا[2].

وأعطى الجغرافي الأصطخري الذي عاش خلال القرن (4هـ/10م) وصفا لها في قوله:« .أنه ليس في أقاليم السودان والحبشة [3]والنوبة [4]والبجة[5] وغيرهم إقليم أوسع منه ويمتد إلى قرب المحيط مما يلي الجنوب ومما يلي الشمال على مفازة تنتهي إلى مفازة مصر من وراء الواحات.. »[6].

كما وصفها أيضا زكريا القزويني بقوله: « ...هي بلاد كثيرة وأرض واسعة ينتهي شمالها أرض البربر وجنوبها إلى البراري وشرقها في الحبشة وغربها إلى البحر المحيط[7]» [8].

---

[1] أبو عبيد الله البكري: **المغرب في ذكر بلاد إفريقيا وهو جزء من موسوعة المسالك والممالك**، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، مصر، ص77.

[2] أبو العباس أحمد القلقشندي :**صبح الأعشى في صناعة الإنشا**،ج5،المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، مصر،2000 ،ص: 274 .

[3] أرض واسعة شمالها الخليج البربري، وجنوبها البر وشرقها الزنج ،وغربها البجة ،الحر بها شديد ،أهلها مسلمون نصارى والمسلمون بها قليل ،أكثر أرضها صحاري لقلة الأمطار ..،أنظر: زكريا محمد محمود القزويني :**آثار البلاد وأخبار العباد**، دار صادر ،لبنان، د.ت ،ص24.

[4] أرض واسعة في جنوبي مصر وشرقي النيل وغربيه ،هي بلاد واسعة وأهلها أمة عظيمة، وتمتد على طول النيل متاخمة قفر القرعان ،جنوبا وأراضي شمالا، في هذه المملكة مدينة رئيسية تدعى دمقلة، وهي كثيرة السكان دورها قبيحة، وسكانها أغنياء متحضرون، لأنهم يزاولون في القاهرة وسائر مدن مصر تجارة القماش ،أنظر: نفسه،ص24 والحسن بن محمد الوزان الفاسي: **وصف إفريقيا**، تر: محمد حجي، محمد الأخضر ،ج2،دار الغرب الإسلامي،ط2،لبنان،1983،ص ص 179 180.

[5] بلاد متصلة بأعلى عيذاب في غرب منه، أهلها صنف من الحبش ،غنية بمعدن الزمرد الذي يوجد بجبالها، ويعتبر من أحسن أصناف الزمرد ويحمل منها إلى سائر الذنيا.....، أنظر: القزويني :مصدر سابق ،ص18.

[6] أبي إسحاق ابراهيم بن محمد الإصطخري: **المسالك والممالك**، مطبع بريل، بيروت ،ليدن،1870،ص40.

[7] البحر المحيط: يقصد به المحيط الأطلسي وعرف كذلك ببحر الظلمات.

[8] القزويني :مصدر سابق،ص:24.

[3] الكانم: تأسست مملكة كانم في القرن الثاني للهجرة على يد جماعة قدمت من الشمال الشرقي لبحيرة تشاد انتشر فيها الإسلام في أواخر القرن الخامس الهجري وأكسبها أهمية كبيرة ،بعدما كانت على الوثنية لمدة من الزمن ،وتوسعت بعدها كانم

ويضيف المؤرخ عبد الرحمن ابن خلدون (732-809هـ/1322-1406م)عنها قائلا:« والسودان أصناف شعوب وقبائل ،أشهرهم بالمشرق الزنج والنوبة، يليهم الزغاوة ،ويليهم الكانم[1] ،ويليهم من غربهم كوكو ويتصلون بالبحر المحيط إلى غانيه » [2].

و يمكن تقسيم بلاد السودان[3] حسب المؤرخ "عبد القادر زبادية" إلى ثلاث أقسام[4] هي:

1-السودان الشرقي: ويشمل النيل وروافده العليا جنوب بلاد النوبة، وكان هذا القسم الأخير [5] معروف لدى الجغرافيين والمؤرخين العرب[6]،بين القرنين التاسع والثاني عشر باسم بلاد الزنج.

2-السودان الأوسط: يشمل المناطق المحيطة ببحيرة تشاد[7] .

3- السودان الغربي: يشمل حوض السنغال، المناطق المحيطة به وغمبيا وفولتا العليا ، والنيجر الأوسط(نيجيريا)[8]، وهذا القسم الأخير هو محور دراستي، ويمكن القول: بأن كلمة السودان الغربي تطلق على المنطقة الواقعة غرب القارة الإفريقية والممتدة من بحيرة تشاد بالشرق إلى ساحل المحيط

لتشمل مساحة شاسعة من غرب إفريقيا امتدت من النيجر غربا إلى النيل شرقا. أنظر :فرغلي علي تسن هريدي: **تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر** (**الكشوف-الاستعمار-الاستقلال**)،ط1،العلم والإيمان للنشر والتوزيع،2008،ص ص 27، 28.

[1] عبد الرحمن ابن خلدون :**العبر وديوان المبتدأ والخبر في أخبار العرب والعجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، ج 5 ، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت ،لبنان ،2000،ص:234.

[2] عبد القادر زبادية: **مملكة سنغاي في عهد الأسقيين 1493-1591**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ،د.ت ، ص:15.

[3] أسماء أحمد الاحمر:**الدين والدولة في مملكة سنغاي الإسلامية** ،دار الكتب الوطنية،ليبيا،ط1،2008،ص30.

[3] انظر :الملحق رقم 01،ص168.

[4] سعد مطير غيث: مرجع السابق،ص:31.

[5] عبد القادر زبادية: الحضارة العربية ...، مرجع سابق،ص11.

[6] يحي بوعزيز :**تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن 16الى نهاية القرن 19**،عالم المعرفة للنشر ،الجزائر،2009،ص8.

[7]عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، شوقي الجمل: **تاريخ غرب إفريقيا الحديث والمعاصر**، مكتبة الإسكندرية، مصر،1998 ، ص80.

الأطلسي غربا ،ونقطة ارتكازه هي حوض السنغال وحوض النيجر الأعلى والأوسط في مساحة تبلغ: 2.4مليون مربع[1]، وتضم هذه المنطقة كل من : السنغال وغامبيا وسيراليون ،ليبيريا ،ساحل العاج ،نيجيريا ،غانا ،داهومي[2].

المناخ:

بالنسبة لمناخ غرب القارة الإفريقية فهو يمتاز بارتفاع درجة الحرارة في الصيف وانخفاضها في الشتاء[3] وذلك في النطاق الصحراوي الممتد إلى وسط الإقليم باستثناء المرتفعات التي تؤثر فيها الرياح الشمالية الشرقية حيت تتميز ببرودة نسبية وجفاف وتدعى محليا بالهرمتان والتي تؤدي إلى إثارة الزوابع الرملية.

أما المناطق المتبقية في الإقليم فيسود فيها المناخ المداري الذي يتميز بالتجانس في درجة الحرارة فيبلغ المتوسط المدى الحراري السنوي 2درجة مئوية[4].

التضاريس:

يعد موقع منطقة غرب إفريقيا من أقرب المناطق لأوروبا الغربية وشمال إفريقيا ذلك أنه يمثل انبعاج القارة الإفريقية بشكل هلال[5] ،وهو عبارة عن هضبة عملت العوامل الطبيعية في تغيير قشرتها الخارجية، ففيها الصحاري الواسعة والأودية الخصبة والسهول المنبتة وتمتد تضاريسها من تشاد إلى الأطلسي ،وتنقسم من الشمال إلى الجنوب إلى ثلاثة أقسام:

-**المنطقة الشمالية** :تقع بين الصحراء الكبرى شمالا إلى وادي النيجر الأوسط جنوبا، وهذه المنطقة صحراوية في اغلب مساحاتها تتخللها بعض الهضاب والوديان والواحات..

---

[1] فيج جي دي: **تاريخ غرب إفريقيا**، تر: يوسف نصر ،دار المعارف، مصر، ط1،1982،ص3.

[2] عبد القادر المحيشي وآخرون: **جغرافية القارة الإفريقية وجزرها**، دار الكتب الوطنية، ليبيا،ط1، 2000 ،ص160.

[3] الهادي قطش: **أطلس الجزائر والعالم** ،دار الهدى، الجزائر، 2013،ص108.

[3] فيج جي دي: مرجع سابق،ص:3.

-**المنطقة الوسطى**: وهي المنطقة الممتدة من تشاد إلى فوتاتورو السنغالية غربا، وترتفع في وسطها هضاب النيجر ، وفي هذه المنطقة سهوب واسعة ذات مراع خصبة.

-**المنطقة الجنوبية**: وهي المشرفة على خليج غينيا ، وتضم العديد من الكتل الجبلية أهمها فوتا دجالون، وهي منطقة الغابات الاستوائية الكثيفة وتكثر فيها السهول والوديان والأنهار الساحلية.

الجبال:

تنحصر في المنطقة الغربية والشرقية من إفريقيا جنوب الصحراء، وتعتبر منطقة فوتاجالون أهم المناطق الجبلية ، وتمتد في كل من غينيا (كوناكري)،وغرب ليبيريا وشمال سيراليون ويعتبر جبل نيمبا ،الواقع جنوب غينيا قرب الحدود الليبيرية مع ساحل العاج.

أما المنطقة الوسطى من هذه الجبال ،فإنها تقوم في دولة توغو ومتوسط ارتفاعها900متر،أما في منطقة الشرق فتوجد مرتفعات أداما الواقعة في الكامرون ويبلغ معدل ارتفاعها حوالي1035متر[1].

الشواطئ:

تتميز شواطئ غرب إفريقيا بالتنوع فبعضها صخري ،والأخر رملي ، فالشواطئ الصخرية نجدها في كل من موريتانيا والسنغال، في حين تبدأ الشواطئ الرملية من غينيا بيساو لتنتهي في نيجيريا مؤلفة من موانئ صالحة لرسو السفن في بعض الخلجان، مثل أبيدجان في ساحل العاج.

[1] محمد فاضل علي باري ،سعيد إبراهيم كريدية: **المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ وحضارة**، ط1، دار الكتب العلمية ، لبنان، 2007 ،ص :21،22.أنظر :مجموعة مؤلفين : **الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي**، مج12، جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية، السعودية ، 1999،ص 18.الهادي قطاش: مرجع سبق،ص108.

المبحث الثاني: الجماعات البشرية في السودان الغربي:

يعيش في منطقة السودان الغربي قبائل زنجية كثيرة اختلطت دماؤها بدماء الحاميين والساميين الذين وفدوا من الشمال الشرقي أو الغربي [1] ومن هذه القبائل نجد:

الفولاني:

تقطن قبائل الفولا fulla التي تعرف باسم الفولاني fullani أو الفلاتا، في المنطقة الواقعة أعالي النيجر حتى السنغال ،ينتمون إلى الحاميين الشماليين الذين أخذوا ينشرون نفوذهم في السودان الغربي ،وأعالي السنغال أثناء قيام إمبراطورية[2] غانا[3].

اختلف الباحثون في أصلهم ،فمنهم من يربطهم بالنوبة، والبعض يرى بأنهم عنصر من البربر استقروا في منطقة أدرار وأعالي السنغال[4] ،وهناك رأي أخر يقول أن الفولانيين هم نتيجة إحتكاك الزنوج والحاميين بشعوب بيضاء من زمن طويل وهذه الشعوب هي العرب، والبربر، والطوارق

---

[1] يحي بوعزيز:مرجع سابق،ص:10.

[2] فيج جي دي:مرجع سابق،ص30.

[3] كانت أول إمبراطورية ذات نفوذ إسلامي ظهرت بغرب إفريقيا في العصور الوسطى ،اقتبست تسميتها من مدينة غانا التي كانت عاصمتها ،وفي لغة قبيلة السوننكي كلمة غانا تعني القيادة العسكرية ،لذلك أطلقت التسمية على المدينة التي كانت مركزا للقيادة ،واشتهرت غانا بمعدن الذهب الذي كان يتواجد ببلاد ونقارة، التي كانت جزء منها، وتبعد عنها بمسيرة ثمانية أيام ،لكن غانا فقدت أهميتها كمركز تجاري بعد سقوطها على يد المرابطين، وانصرف عنها التجار المغاربة ،بحيث توجهوا شرقا نحو جني وتمبكتو وغاو .أنظر: محمد فاضل علي باري، وسعيد كريديه: مرجع سابق ،ص ص 58،57.عبد العزيز الحلوي: **الأحوال الاجتماعية لسكان الصحراء الكبرى والسودان الغربي من خلال كتب بعض الرحلات**، مقال ضمن **ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الإفريقية على جانبي الصحراء(12.14ماي 1998م)**، مرا: عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات الدعوة الإسلامية ، طرابلس،ليبيا،1999،ص431.الأمين عوض الله: مرجع سابق،ص77.

[4] إلهام محمد علي ذهني: **جهاد الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا ضد الاستعمار الفرنسي(1850–1914)**،دار المريخ للنشر،السعودية،1988،ص27.

،لغتهم تدعى الفولا[1]، وينقسم الفولانيون إلى نوعين من حيث النشاط الحيوي، فمنهم الرعاة المتنقلون بماشيتهم، وبعضهم مستقرون على شكل مزارعين [2].

يشكل الفولاني أكبر تجمع مسلم في السودان الغربي وقد عرفوا بأنهم الشعب الدعاة للإسلام فحملوا الإسلام من موطنهم في مرتفعات فوتاجالون وسواحل المحيط الأطلسي واتجهوا شرقا حتى بحيرة تشاد ،وكونوا إمبراطورية كبيرة[3] .

قبائل الماندينج:

ينتشرون في السنغال ،والنيجر الأعلى ،وقد أسس هذا الشعب قديما مملكة مالي التي سيطرت على معظم السودان الغربي خلال عدة قرون من العصر الوسيط ،وهم من أوائل الشعوب التي اعتنقت الإسلام في المنطقة، وكانوا يلقبون وطنهم الأصلي وفق اللهجات المنتشرة بينهم كماني Mani ،ثم مانن Manén ، ماندنغ Mandeng ،ماندي أو ماني Mané ، واستعملت المصادر العربية في العصور الوسطى اسم مالي Mali، أو ملي Mali للتعبير عن الماندينغ[4] .

قبائل التكرور:

يذكر البكري عن التكرور أنهم سودان[5] ،ويعتبر ياقوت الحموي أن التكرور بلاد تنسب إلى قبائل من السودان في أقصى جنوب المغرب وهم من زنوج[6] كانوا يحظون بمكانة سياسية واجتماعية

[1] محمد فاضل وسعيد إبراهيم: مرجع سابق ،ص ص 24،25.

[2] أحمد إبراهيم دياب :**لمحات من التاريخ الإفريقي الحديث**، دار المريخ،ط1،رياض،السعودية،1981،ص ص 201،202.

[3] إلهام محمد علي ذهني: مرجع سابق،ص27.

[4] عبد الكامل عطية: **التحولات السياسية والاقتصادية في السودان الغربي بين(1750– 1914م)** ،مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر: تخصص دراسات إفريقية، جامعة الجزائر2،الجزائر،2010،ص27.

[5] البكري: المغرب...،مصدر سابق،ص172.

[6] ياقوت الحموي: مصدر سابق،مج2،ص38.

بارزة[1]،فقد حرص العرب على إطلاق اسم التكرور على جميع بلاد السودان التي دخلها الإسلام وكانت تعني عندهم السود[2] وأصبحت كلمة تكرور مرادفة لكلمة سوداني ،وتبعهم في هذه التسمية المؤرخون السودانيون الذين كتبوا باللغة العربية ،ومن خلال ذلك ظلّت تطلق لفظة تكروري على بلاد السودان الغربي أو الجزء الجنوبي من الصحراء الكبرى[3] .

اعتنق التكرور الإسلام بحماس وكانت بذلك أول المجموعات الزنجية في بلاد السودان الغربي التي انتشر بينها الإسلام ،حيث حمل علماؤها راية الإسلام إلى ما جاورهم من القبائل الزنجية[4].

قبائل الولوف:

Ouolofs[5]، يسميهم السعدي (الجلف)، ويصفهم بأنهم من خيرة الناس وأكثرهم طيبة ، وخصهم الله سبحانه وتعالى بالأخلاق الحسنة والسيرة المحمودة ويتصفون بالشجاعة والوفاء[6] ، تمركزوا في مناطق شاسعة بين نهري السنغال وغامبيا، وامتزجوا بالماندينغ[7]، وغالبيتهم تدين بالإسلام[8].

قبائل السنغاي:

يعيشون بمحاذاة منحنى نهر النيجر[9]ما يعني الأقاليم الواقعة جنوب تمبكتو وتمتد دولتهم على ضفتي نهر النيجر إلى الشمال من داهومي عند مدينة داندي إلى جنوب فولتا العليا وشمال

---

[1] عصمت عبد اللطيف دندش: مرجع سابق، ص ص 43،44.

[2] القلقشندي :مصدر سابق،ج5،ص282.

[3] إلهام محمد علي ذهني: مرجع سابق،ص28.

[4] ب. س. لويد: **إفريقيا في عصر التحول الاجتماعي** ،تر :شوقي جلال، سلسلة عالم المعرفة، الكويت،1980،ص34.

[5] Mauric Delafosse : Les Noirs de L'Afrique¸collection payot¸paris¸1922¸p17.

[6] السعدي :مصدر سابق،ص78.

[7] عطية مخزوم الفيتوري: مرجع سابق،ص34.

[8] فيج. جي. دي: مرجع سابق،ص80.

[9] شوقي عطا لله الجمل، وعبدالله عبد الرزاق: مرجع سابق،ص102.

نيجيريا[1]،اختلطوا بالطوارق والفولاني وكذا مع الحاميين الشماليين، ومع قبائل لمتونة البربرية[2]، كوّن هذا الشعب أهم ممالك إفريقيا القديمة ببلاد السودان الغربي[3] ،وقد انتشر الإسلام بين قبائل السنغاي نتيجة احتكاكهم بالطوارق والمغاربة الوافدين للمنطقة.

شعب السوننكي:

يعيش السوننك Soninke أوSarakollé[4] على السواحل الغربية للقارة ،ويتوغلون جنوب الصحراء [5] امتزجوا بالبربر والفولايين، ولعل اختلاطهم بغيرهم من العناصر خاصة البربر هو الذي غير بعض الشيء في لون بشرتهم ، كما أقاموا إحدى أقوى الإمبراطوريات في المنطقة ،وهي مملكة غانا ،اعتنق بعضهم الإسلام في وقت مبكر مما أثر في حياتهم الاجتماعية وعملوا على نشره في السودان الغربي، وينقسم هذا العنصر إلى مجموعات سكانية يتخذ كل منها اسما مشتقا من المكان الذي يستقر فيه[6].

شعب الديولا:

يعرف شعب الديولا Dyola باسم الفيلوب Felup يتمركزون على الساحل في مساحةكبيرة من السنغال إلى نيجيريا [7]،من أصل زنجي وفدوا إلى المنطقة عن طريق المغرب العربي ،وقد اعتنقوا الإسلام منذ فترة مبكرة ،ويتصف هذا العنصر بالملامح الزنجية[8].

---

[1] عطية عبد الكامل: **دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا(430–515هـ/1038–1121م) مع نشر وتحقيق رسائل أبي بكر العربي** ، دار الغرب الاسلامي، لبنان، ط1، 1988،ص29.

[2] عصمت عبد اللطيف دندش: مرجع سابق،ص48.

[3] أحمد شلبي: **موسوعة التاريخ الإسلامي**،ج6،ط5، مكتبة النهضة المصرية، مصر،1990،ص70.

[4] Maurice Delafosse:Op.cit¸p17.

[5] شوقي عطا لله الجمل ،وعبدالله عبد الرزاق: مرجع سابق،ص102.

[6] عبد الكامل عطيه: مرجع سابق، ص 32.

[7] فيج. جي .دي: مرجع سابق،ص54.

[8] عبد الكامل عطيه: مرجع سابق، ص 33.

شعب البمبارا:

ينتشر شعب البمبارا في السنغال، ومملكة مالي بجانب نهر النيجر[1]، يتمركزون على الساحل ،يذكر دلافوس Delafosse أن التسمية تعني بمبرا أو بنمه بمعنى الانفصال عن الأم[2]، يتمركزون على مجر نهرا السنغال والنيجر[3] .

قبائل الموسي:

يتمركز شعب الموسي في مناطق حوض الفولتا ،وله فروع عديدة تنتشر في المناطق المجاورة لها ، وقد اشتهر هذا الشعب بمهنتي الرعي والزراعة[4].

قبائل السرير:

يتمركزون في الشريط الممتد على نهر غامبيا [5]ويحاذون التكرور ويكونون مع الولوف جزءا من إمبراطورية التكرور ، اختلطوا بقبائل الماندينغ[6] .

[1] فيج.جي.دي: مرجع سابق،ص69.

[2] Maurice Delafosse : op cit ,p39

[3] مطير سعد غيث: مرجع سابق،ص71.

[4] دنيس بلوم :**الحضارات الإفريقية**، تر: علي شاهين ،منشورات دار مكتبة الحياة ،لبنان،1974،ص125.

[5] عبد الكامل عطية: مرجع سابق،ص37.

[6] إلهام ذهني : مرجع سابق،ص28. أنظر: فيج. جي. دي، مرجع سابق،ص81.

المبحث الثالث :وسائل انتشار الإسلام ومنافذه.

أ- وسائل انتشاره:

لقد كان للمغاربة دور فعال وكبير في نشر الإسلام في السودان الغربي وترسيخه وتثبيت دعائمه وساعدهم على ذلك القرب والجوار مع هذه المنطقة ،وكان لانتشار الإسلام فيها العديد من الطرق والوسائل من بينها:

1-الدعاة والعلماء:

برز دور العلماء والدعاة بشكل كبير في عهد دولة المرابطين، الذين كانوا يدربون الدعاة ثم يبعثونهم إلى القبائل الملثمة والزنجية من اجل تعريفهم بالإسلام، حيث لاقى ذلك تجاوبا كبيرا فنجد أن ملك التكرور وارجابي بن رابيس اعتنق الإسلام على أيديهم ،وقام بتطبيق العقيدة وصولا إلى إسلام أهل مملكته، ولم يكتف بذلك فحسب بل قام بإرسال الدعاة لنشر الإسلام ،سواء أكان هؤلاء من العرب أو من التكرور خاصة بين قبائل الولوف والفولبي والماندينغو، حيث شيدوا المدارس بالسودان الغربي وعلّموا القبائل الكتابة والقراءة والشريعة الإسلامية[1]،اقتداء بقوله تعالى:{وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}[2].

وكانت الأخلاق السامية والسلوك الحضاري الراقي الذي يتصف به هؤلاء الدعاة الأساس في جلب الناس لاعتناق الدين الإسلامي[3]، حيث أفلح الكثير من هؤلاء الدعاة في تحويل الناس إلى دين الله أفواجا، وترتب عنها في الأخير تأسيس دول إسلامية ببلاد السودان الغربي،وقد استطاع

[1] عصمت عبد اللطيف دندش: مرجع سابق ،ص: 150.

[2] سورة آل عمران، الآية:104.

[3] محمد فاضل علي باري وسعيد إبراهيم كريديه: مرجع سابق،ص:38.

الداعية المسلم أن يزود القبائل في المنطقة حول الحقائق المتعلقة بالله سبحانه وتعالى خصوصا القبائل الغير متحضرة.

ونجد أن لعلماء توات – وخاصة أسرة الكُنتيّين – حظوةٌ خاصة عند ملوك السودان الغربي خاصة بُرنو الإسلامية ويعتبرونهم من المرابطين[1] وينظرون إليهم نظرة إكبار وتعظيم، ويسعون لاستقدامهم إليهم وإغرائهم بالإقامة بينهم، وقد احتفظت لنا بعضُ المصادر بنصّ رسالة وجَّهها أحدُ سلاطين برنو سنة 843 هـ إلى هؤلاء المرابطين في منطقة توات يقول فيها :« فقد عجبنا من أمركم لماذا تركتم عادة كبرائكم؟ لماذا قصَّرتم عن النزول وإرسال البعثات إلى بلادنا منذ عهدكم مع كبيرنا.... فأنتم لم تعودوا إلينا منذ ذلك الحين... فعليكم أن تأتوا إذن كعادتكم... لأن البلاد بلادكم كما كانت بلاد أسلافكم..».

ومن أشهر مشاهير العلماء الذين قدموا من توات، وزاروا المنطقة وأقاموا فيها واحتفظت لنا كتبُ التاريخ بأسمائهم: نذكر في مقدمتهم أبا عبد الله محمد بن عبد الكريم المغيلي (909 هـ) صاحب التصانيف والرسائل المعروفة[2]، كانت له مكانة كبيرة عند ملوك كانُو وكاتشينا ببلاد الهوسا، وملك السُنغاي أسكيا الحاج محمد، كما كانت له اليدُ الطُّولى في رسم خطوط السياسة الشرعية لهذه الإمارات وتعيين القضاة وإقامة الحُدود الشرعية، وإصلاح أمور المجتمع الدينية والدنيوية والتعليمية والثقافية، وتكوين الأئمة والمرشدين والفقهاء والدعاة، وتقديم المشورة والنّصح للحكّام وذوي الأمر الذين كانوا ينزلون عند رأيه وأحكامه ومشورته ولا يُمضون شيئاً ذا بال إلا بموافقته.

[1] عبد الله عبد الرزاق: **انتشار الإسلام في غرب افريقيا** ،ج2،دار الفكر العربي، مصر ،2006،ص:10.

[2] محمد بن عبد الكريم المغيلي: **أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي**، تق وتح :عبد القادر زبادية ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص8.

وقد ترك المغيلي مجموعة فتاوى ورسائل فيها تحديدٌ وتوجيه لمعالم الطريق التي ينبغي أن يسلكها الحُكام في سائر أمورهم، فصار له شأن كبيرٌ عندهم، واستمرَّ تأثيره أجيالاً من بعده[1].

2-التجار:

لعب التجار دورا كبيرا ومميزا في نشر الإسلام في غرب إفريقيا وربط الصلات مابين العرب في المشرق وشمال إفريقيا وشعوب بلاد السودان الغربي والأوسط[2]، فبالإضافة لكونهم يمارسون مهنة التجارة نجدهم كذلك دعاة يعملون على نشر الإسلام، فالتجارة والإسلام مرتبطان كل الارتباط كما ذكر توماس أرنولد، فقد كان التجار أتناء تنقلهم بين المراكز التجارية يحتكون بالزنوج ويؤثرون فيهم من خلال سلوكاتهم وما عرفوا به من صدق و أمانة ،وغالبا ما يثمر هذا الاحتكاك بدخول هؤلاء الزنوج إلى الإسلام.

أما في حال استقرار هؤلاء التجار فإنهم كانوا ينشئون حلقات لتعليم القرآن الكريم والعبادة بالموازاة مع نشاطهم التجاري[3] ،فمما تجدر الإشارة إليه أن دور التجارة والتجار في نشر الإسلام لم يقتصر على عامة الناس بل تعداه في إلى طبقة الحاكمة ورؤساء القبائل، وذلك أن العديد من التجار الذين استقروا بالمنطقة تزوجوا من النساء المحليات كون هؤلاء في اغلب الأحيان من بيوت

3 -الطرق الصوفية: رؤساء القبائل وأصحاب النفوذ مما يسهل دخول هؤلاء الرؤساء الإسلام لتتبعهم بعد ذلك باقي القبيلة[4].

---

[1] – عبد العلي الودغيري: **دور المغرب في نشر الإسلام ولغة القرآن بالغرب الإفريقي**، منشور بموقع التاريخ العربي اطلعت عليه بتاريخ:07-09-2016م، http://www.attarikh alarabi.ma/Html/ADAD53partie3.htm-

[2] سعد مطير غيث: مرجع سابق،ص156.

[3] شوقي عطا لله الجمل وعبد الله عبد الرزاق إبراهيم: **تاريخ المسلمين في إفريقيا ومشكلاتهم** ،دار الثقافة للنشر، مصر ،1997 ،ص86،87.

[4] الهادي المبروك الدالي: التاريخ السياسي...، مرجع سابق،ص82.أنظر:الوزان:مصدر سابق،ج2،ص166.وكعت:مصدر سابق،ص180.

لعبت الطرق الصوفية دورا رياديا في نشر الإسلام والقيم في غرب إفريقيا وتصحيح العقيدة خصوصا بعد ما كان السكان يمارسون بعض العادات الوثنية[1]، وقد جدبت هذه الطرق العديد من الأفارقة لاعتناق الاسلام والعمل به.

ومن بين الطرق الصوفية الواسعة الانتشار بالسودان الغربي الطريقة القادرية التي دخلت في القرن 15م على يد مهاجرين من توات[2] ،فأتباع هته الطرق أقاموا زوايا للعبادة ولإيواء الوافدين المحتاجين للمأوى والطعام ،ومنهم من قام بشراء العبيد وتعليمهم مبادئ الدين الإسلامي[3] .

تأسست الطريقة القادرية في القرن السادس للهجرة، والثاني عشر للميلاد[4] وكانت أوسع الطرق الصوفية انتشار في القارة الإفريقية خاصة في غربها ،وكان انتقالها إلى السودان الغربي في القرن الخامس عشر الميلادي على يد المهاجرين الوافدين من واحة توات وجعلوا من ولاته أول مركز للطريقة تم توسعت لتصل إلى تمبكت، وإلى جانب ذلك لم تكن الطريقة القادرية وحدها هي التي حملت على عاتقها نشر الإسلام وإرشاد الناس إلى الذين الصحيح بل إلى جانبها طرق أخرى كالطريقة التيجانية و السنوسية[5].

---

[1] محمد فاضل علي باري وسعيد كرديه: مرجع السابق،ص:42.40.

[2] إقليم توات مجموعة من واحات الصحراء الجزائرية الجنوبية الغربية تؤلف في مجموعها إقليم عبور مابين سفوح الأطلس الجنوبي وبلاد السودان يحدها من الشمال العرق الغربي وهضبة تادمايت ومن الجنوب هضبة مويدير ويشكل واد الساورة الطريق التجاري لإقليم توات وتقع المنطقة بين خطي طول4°غربا إلى 1°شرقا ،وبين خطي عرض 26°- 30° شمالا ينقسم إقليم توات إلى ثلاث مناطق متميزة هي: تنجورارين وتوات وتيدكلت .أنظر: محمد الصالح حوتيه: **توات والأزواد**،ج1، دار الكتاب العربي، الجزائر،2007،ص28.

[3] شوقي عطا الله الجمل: **الأزهر ودوره السياسي والحضاري في إفريقيا**، مركز وثائق تاريخ مصر،مصر،1988،ص : 106،107.أنظر: عبد الله عبد الرزاق إبراهيم: **أضواء على الطرق الصوفية في القارة الإفريقية** ، مكتبة مدبولي ، مصر،1990،ص35.

[4] شوقي أبو خليل: **أطلس الفرق والمذاهب الإسلامية** ، دار الفكر ،سوريا،ط4،2012،ص268.

[5] عبد الله عبد الرزاق: مرجع سابق،ص:6

وقد أدت هذه الطرق دورا هاما في نشر الإسلام والحضارة العربية الإسلامية في بلاد السودان الغربي[1] ، فقد تحدثت بعض المصادر التاريخية عنها ،وذكر ذلك السعدي في حديثه عن مدينة جني، بقوله: «..وقد ساق الله تعالى لهذه المدينة المباركة سكانا من العلماء والصالحين من غير أهلها من قبائل شتى وبلاد شتى.... »،وأضاف كذلك في حديثه عن تنبكت قائلا: «... ومألف الأولياء والزاهدين....وأكثر الناس إليها ورودا.. وسكن فيها الأخيار من العلماء والصالحين... »[2]، وقد ساعد على انتشار الطرق الصوفية بساطتها وتلاؤمها مع بيئة المجتمعات الإفريقية وعاداتهم وتقاليدهم وطقوس التي يقومون بها ويستعملونها مثل الدفوف والطبول ،وذلك أثناء القيام بحلقات الذكر، خصوصا أنها تجمع بين العبادة والحركات الراقصة.

وقد كان لكل شيخ أتباع يطيعونه طاعة عمياء ولا يعصون له أمرا ويدعمونه ماديا ومعنويا، حتى أصبح لهؤلاء الشيوخ الإمكانية الكافية والقدرة على توسيع دائرة نفوذهم، وتأسيس مدارس ومساجد والزوايا واستقطاب المزيد من العناصر الموالية لهم[3]، كما عملت هذه الطرق الصوفية على غرس المبادئ الإسلامية و القيم الفضلى في المجتمع السوداني كحسن التعامل ،وحب الجار و كيفية التعامل في الحياة اليومية، بالإضافة إلى ذلك ساهمت هذه الطرق مساهمة فعالة في توسيع مساحة الإسلام ونشره، ويعود ذلك عن طريق مصاهرة الوطنيين الأفارقة وشراء العبيد وعتقهم بعد تلقينهم أصول العقيدة الإسلامية وثقافتهم ،حتى يتسنى لهم استيعابها ونشرها بعد عودتهم إلى ديارهم وأوطانهم[4].

[1] سعد مطير غيث: مرجع سابق،ص170.

[2] السعدي: مصدر سابق، ص ص16،21.

[3] عبد الله عبد الرزاق إبراهيم: مرجع سابق،ص23.

[4] سعد مطير غيث: مرجع سابق،ص171.

4-الهجرات :

خرجت من مصر هجرات عربية صوب المغرب العربي منذ عصر الفتوحات الإسلامية في القرن الأول للهجرة، وتعتبر بلاد المغرب البوابة الأمامية والقاعدة الأساسية لنشر الإسلام واللغة العربية في بلاد السودان الغربي وباقي الأجزاء لجنوبية من الصحراء الكبرى ومنها إلى حوض نهر السنغال والنيجر[1]، وكان للهجرات القبلية الجماعية صوب السودان الغربي، واستيطانهم في المدن وحول أحواض الأنهار وفي المراعي والسهول، واندماجهم ومصاهرتهم للأفارقة[2] دور كبير في نشر الإسلام، خصوصا قبائل بني سليم وبني هلال التي تقدمت نحو الصحراء الكبرى باحثة عن ظروف تلائم ما اعتادوه عليه في بيئتهم الأصلية بالجزيرة العربية، وترتب عن هذه الهجرات أن اضطرت القبائل المحلية من البربر والزنوج إلى التوجه نحو الجنوب وذلك بعد اعتناقها الإسلام[3].

تحدثت بعض المصادر التاريخية عن هذه القضية ،فقد ذكر أبوعبيد البكري، أن بني أمية أرسلوا جيشا إسلاميا لفتح بلاد السودان في صدر الإسلام واستقر منهم البعض في بلاد غانا وحملوا الإسلام إلى أهلها[4]،في قوله: « .... وببلاد غانة قوم يسمون بالهنيهين من ذرية الجيش الذي كان بنو أمية أنفذوه إلى غانة في صدر الإسلام ....وبسلى أيضا قوم منهم يعرفون بالغامان...» [5].

وأضاف كذلك السعدي في حديثه عن تأسيس تنبكت قائلا:« فنشأت على أيدي توارق مقشرن في أواخر القرن الخامس للهجرة[6] .

---

[1] أسماء أحمد الأحمر :مرجع سابق،ص35.

[2] سعد مطير غيث: مرجع سابق،ص:159.

[3] محمد فاضل علي باري وسعيد إبراهيم كريديه: مرجع سابق،ص:47.

[4] سعد مطير غيث: مرجع سابق،ص160.

[5] أبو عبيد الله البكري: المغرب...، مصدر سابق،ص:179.

[6] السعدي :مصدر سابق،ص20.

وأشار إبن بطوطة كذلك لهجرة بعض القبائل من الشمال الإفريقي إلى بلاد السودان الغربي[1] الذين أسسوا مدينة مالي[2]، وتتابعت بعدها هجرات البربر كذلك إلى الجنوب خاصة قبائل الملثمين (الطوارق) والتي كان لها نشاط واسع في منطقة السنغال والنيجر على وجه الخصوص، والتي كانت منتشرة على نطاق واسع من غدامس جنوب طرابلس إلى المحيط الأطلسي[3]، ويضيف المؤرخ السعدي بقوله:« وأكثر الناس إليها ورودا...وسكن فيها الأخيار من العلماء والصالحين وذوي الأموال من كل قبيلة ومن كل بلاد من أهل مصر وفزان وغدامس وتوات ودرعة...ثم انتقل الجميع إلى تنبكت قليلا قليلا حتى إستكملوا فيه وزيادة مع جميع قبائل الصنهاجة بأجناسها....» [4] .

ومن أولى القبائل التي وفدت إلى السودان الغربي نجد قبائل صنهاجة بجميع بطونها ،ومنها مسوفة وجدالة و لمتونة، والتي لعبت هذه الأخيرة دورا مهما وكبيرا في نشر الإسلام والحضارة العربية في المنطقة ، كما شهدت المنطقة وفودا لعدد كبير من هجرات البدو القادمة من الشمال

---

[1] مطير سعد غيث :مرجع سابق،ص159.

[2] كانت مملكة مالي من أقوى الممالك الإسلامية التي ظهرت بالسودان الغربي ،وعملت على توحيد قبائله في القرن 7هـ/13م ،وتوسعت لتشمل أجزاء واسعة من بورنو شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا ،ومن جنوب المغرب الأقصى شمالا إلى مايقرب المحيط جنوبا ،متألفة من خمسة أقاليم هي غانة ، صوصو، كوكو، تكرور ،مالي، عرفت مالي ازدهار ورخاء اقتصاديا كبيرا بفعل انفتاحها على العالم الإسلامي سياسيا واقتصاديا وثقافيا بفعل ثروتها الطبيعية الكثيرة والمتنوعة .أنظر: المنجد صلاح الذين، **مملكة مالي عند الجغرافيين المسلمين**، دار الكتاب الجديد،بيروت، لبنان،1982،ص5. الشكري أحمد، **الإسلام والمجتمع السوداني إمبراطورية مالي(1230–1430)**، ،المجتمع الثقافي،الإمارات، ط1، ،ص193. الخليل النحوي: **إفريقيا المسلمة الهوية الضائعة** ،دار الغرب الإسلامي ،لبنان ، ط1993،1،ص ص 16،17.مصطفى مؤمن:**قسمات العالم الإسلامي المعاصر**، دار الفتح، لبنان ،ط1، 1974، ص ص390،391.

Gouvernement général de l'Afrique occidental Francaise **' Notice sur la région de Tomboouctou**' Saint Louis imprimerie'1896'pp4'5.

[3] شوقي عطاالله الجمل ،عبد الله عبد الرزاق إبراهيم: **تاريخ المسلمين في إفريقيا ومشكلاتهم** ،دار الثقافة للنشر، مصر، 1997،ص 85.

[4] السعدي: مصدر سابق،ص21.

الإفريقي والتي تبحث عن المرعى والماء لحيواناتهم التي تمثل مصدر لرزقهم[1]،ومن أهم القبائل التي استقرت بالمنطقة نجد قبائل بني حسان[2]وبالأخص فرع البرابيش[3] الذين توجهوا جنوبا وسيطروا جموعهم على الأجزاء الشمالية للمنطقة، وكذلك قبائل بني جدام، وبني معقل، وأولاد سليمان.....وغيرهم.

استقروا بتلك البلاد وعملوا على نشر الإسلام واللغة العربية بشكل واسع بين الأهالي، وبذلك يعود الفضل للعرب الذين وفدوا لبلاد السودان الغربي، التي أسفرت عنها إقامة سلطنات وممالك إسلامية في تلك الأسقاع، وكان للهجرات المغاربة على وجه الخصوص بالغ الأثر في هذه الميادين[4]،ويعود الفضل لهذه الهجرات في الدور الكبير الذي لعبته ،خاصة الهلالية إلى المغرب منتصف القرن الخامس الهجري ومنه إلى السودان الغربي ،حيث ساهمت في نشر الإسلام ومؤثرات الثقافة العربية الإسلامية[5] ، وشكلت هذه القبائل حلقة الاتصال، وهمزة التواصل بين المغرب بشعوبه وثقافته وبين المحيط الزنجي حتى بحيرة تشاد [6].

كما كان لها الفضل في نقل مؤثرات الحضارة العربية خاصة الاجتماعية، لكونها هي المساهم في نقل عدد كبير من السكان المسلمين الذين استقروا بالمنطقة، وعلى إثر ذلك اندمج المغاربة مع الأفارقة وكونوا جيلا جديدا بالمنطقة ،وتقلدوا بعادات وتقاليد السكان الوافدين القادمين

---

[1] سعد مطير غيث: مرجع سابق،ص160.

[2] أسماء أحمد الأحمر: مرجع سابق،ص35.

[3] إحدى قبائل بني حسان ،يسكنون في صحراء ليبيا في قسمها الموالي لإقليم سوس، وهم كثيرون وضعفاء ،لكن لديهم كثير من الإبل ، يحكمون تشيت التي لاتكفيهم حتى لتصفيح حوافر خيولهم القليلة، يقطنون الأودية الصحاري الواقعة بين ودان وولاته ،ويبسطون نفودهم على السودانيين ،ولا يكاد يحصى عددهم، ويقدر المقاتلون منهم بسبعين ألف رجل لكن ليس لهم إلا عدد قليل من الخيل. أنظر: الوزان :مصدر سابق،ج1،ص54.

[4] أسماء أحمد الأحمر: مرجع سابق،ص35.

[5] بشار أكرم الملاح: **التحولات التي احدثها الاسلام في المجتمع الافريقي**، دار غيداء للنشر، عمان ،ط1،2013 ،ص ص 110،116.

[6] محمد فاضل علي باري وسعيد إبراهيم كريديه: مرجع سابق،ص47.

من المغرب أو من مصر وكانت للعلاقات التي جمعت بين السودان الغربي وبلاد المغرب دورا كبيرا ومهما في ازدهاره في شتى المجالات سواء الثقافية أو الاجتماعية ، وهذا يعود للمكانة المرموقة التي كانت تمتلكها مصر في العالم الإسلامي[1]،وعليه عموما اعتبرت الهجرات من الوسائل الهامة والبارزة في نشر الإسلام بالمنطقة وفي انتقال الحضارة العربية الإسلامية .

5-الفتوحات الإسلامية:

لقد بدأت صلات العرب المسلمين الأولى بالسودان الغربي عن طريق الفتوحات ،فقد استطاع القائد عقبة بن نافع الفهري[2] في سنة 62هـ/682م، من توجيه حملة عسكرية إلى الحافات الشمالية للصحراء الغربية التي تعد المعبر الذي يصل المغرب الأقصى بالسودان الغربي، كما تبعتها حملات أخرى ،منها حملة القائد موسى بن نصير [3]إلى وادي درعة ببلاد السودان الغربي، حيث مكنت هاتان الحملتان من نشر الإسلام والتعرف على تلك المناطق وعلى سكانها، وخلال القرن2هـ/8م قاد حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع[4] حملة عسكرية في أيام ولاية عبيد الله بن الحجاب على المغرب (116-123هـ) وصلت إلى مناطق السوس الأقصى وأرض السودان، فهذه الفتوحات قد ساهمت في فتح الطريق أمام العرب للوصول إلى بلاد السودان الغربي وفي نشر الإسلام بمناطقها [5].

---

[1] بشار أكرم الملاح: مرجع سابق ،ص ص 109،118.

[2] هو عقبة بن نافع بن عبد القيس بن عامر بن أمية بن الضرب بن الحارث بن فهر القرشي ،ولد سنة621م، نشأ في بيئة إسلامية خالصة ذات طابع عسكري بحت ،جاهد وحمل سلاحه ،قام بفتح زويلة وغدامس وبعض كور السودان، وفزان وعامة بلاد السودان...أنظر: محمود شيت خطاب: **قادة فتح المغرب العربي**، ج1 ،دار الفكر، للطباعة والنشر ،لبنان، ط1، 2011،ص ص65،67.

[3] أبو إسحاق أبراهيم بن القاسم الرقيق: **تاريخ إفريقية والمغرب** ،تح: عبد الله العلي الزيدان وعز الذين عمر موسى، دار الغرب الإسلامي ،لبنان ،ط1، 1990،ص ص 39،40.

[4] محمد فاضل علي باري وسعيد إبراهيم كريديه :مرجع سابق، ص:48.أنظر: الخليل النحوي: مرجع سابق ،ص ص11،13.

[5] عبد الكريم عباس: مرجع سابق،ص47.أنظر: أرنولد توماس :**الدعوة إلى الإسلام، بحث في نشر العقيدة الإسلامية** ،تر: إبراهيم حسن وآخرون ،مكتبة النهضة المصرية، مصر، 1971،ص 353.

6- رحلات الحج:

لعبت رحلات الحج دورا كبيرا ومهما ساهم في نشر الإسلام في منطقة السودان الغربي[1]، وذلك يعود لما يترتب عنه من احتكاك بين الشعوب، فالحج يعتبر من أركان الشريعة الإسلامية ،فهو مناسبة اجتماعية ومظاهرة ثقافية وسوق اقتصادية ،يشهد ملتقى لأجناس مختلفة ومتعددة وبذلك يمنح فرصة لكشف عن وحدتهم ونظر في الأمور التي تجمع الشعوب الإسلامية[2] والأخد من ثقافات بعضهم البعض، كل الأمور التي يعود لها الفضل في ارتقاء وتطور مجتمعاتهم المحلية وإكساب المهارات التي تساعدهم في ذلك، ويعد الحج من عوامل[3] التي لها الفضل في تقارب الشعوب فيما بينها ، وتذكر المصادر الدور الذي لعبته قوافل الحج في نشر العقيدة الإسلامية منذ تغلغل الإسلام بالمنطقة، يعتبر إحدى أهم الوسائل التي يرجع لها الفضل في نشر الإسلام بمنطقة السودان الغربي[4].

7- القوافل التجارية

عملت القوافل التجارية على ربط شمال القارة بجنوبها[5]، اقتصاديا وثقافيا، وفي ثنايا ذلك حملت هذه القوافل مؤثرات الإسلامية والعربية ،فكان التجار والدعاة[6] يتنقلون في الصحراء من الشمال إلى الجنوب عبر هذه القوافل، يمارسون دورهم الدعوي والديني إلى جانب دورهم

---

[1] محمود كعت التنبكتي: **المختار من تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس**، تق، ودر، وتع: عبد النعيم ضيفي عثمان ،دار العلوم للنشر والتوزيع ،مصر، ط1، 2005،ص13.

[2] سعد مطير غيث: مرجع سابق،ص165.

[3] بشار أكرم الملاح: مرجع سابق،ص142.

[4] مطير سعد غيث :مرجع سابق، ص ص165،166.

[5] جميلة بنت عبده بن موسى معشي: **جهود المزارعة في نشر الإسلام في شرق إفريقيا (1110-1313هـ/1698-1898)** ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي الحديث، جامعة أم القرى كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، السعودية،1014، ص146.

[6] عمر عبد الرحمان الماحي: **مساهمة قوافل الصحراء في نشر الإسلام والحضارة الإسلامية في السودان الأوسط، مجلة طريق القوافل**، المركز الوطني للبحوث في عصور ماقبل التاريخ وعلم الأنسان والتاريخ، الجزائر،2001،ص67.أنظر: محمد حوتيه:مرجع سابق، ج1،ص67.

الإقتصادي، وساهموا في نشر الإسلام ببلاد السودان الغربي[1] ،والتي تعتبر من أهم الوسائل التي يعود لها الفضل في نشر الإسلام في المنطقة، وأهمها تلك التي تنطلق من تونس نحو برنو غرب بحيرة تشاد ومن جنوب الجزائر إلى بلاد الهوسة، ومن شمال مراكش إلى نهر السنيغال ومنها إلى نهر النيجر....إلخ[2] ،بالإضافة إلى السلع والعامل الاقتصادي إلا انها كانت تحمل في طياتها مبادئ العقيدة الإسلامية والحضارة العربية الإسلامية[3]،كما أن الإسلام دخل لسودان الغربي متبعا الطرق القوافل والمراكز التجارية عبر الصحراء[4]،وكان التجار والدعاة ينتقلون في الصحراء من الشمال إلى الجنوب، عبر طرق قوافل التي تربط المنطقتين والتي كانت تشكل سبيلا وإحدى العوامل التي ساعدت على تدفق الإسلام للمنطقة وعبور المؤثرات الإسلامية إلى المنطقة[5]، وعليه يمكن التأكيد على الدور الكبير الذي لعبته هذه القوافل في نشر العقيدة الإسلامية في السودان الغربي.

فشكلت الطرق القوافل التجارية والمراكز التي تم إنشائها على مسار هذه القوافل في بداياتها ونهاياتها قد أضحت تشكل شريا أساسيا للحياة الاقتصادية ومراكز للإشعاع الثقافي ،وموضعا لاحتكاك وتلقي الأفكار بين المنطقتين والفضل يعود لهذه القوافل التجارية في مرور الإسلام لبلاد السودان الغربي[6].

---

[1] عبد الله عيسى: **أثر الإسلام على المجتمع الإفريقي خلال القرن 10هـ/16م– مملكة سنغاي نموذجا–، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات** ،القدس ،فلسطين ، ع 36، 2015،ص283.

[2] يحي بوعزيز: تاريخ إفريقيا...،مرجع سابق،ص14.

[3] الماحي عبد الرحمان عمر: **مساهمة قوافل الصحراء في نشر الإسلام والحضارة الإسلامية في السودان الأوسط** ، من كتاب: **طريق القوافل**، المركز الوطني للبحوث ،الجزائر ،2001،ص64.

[4] محمد فاضل علي باري ،سعيد إبراهيم كريديه: مرجع سابق،ص35.

[5] أسماء أحمد الأحمر: مرجع سابق،ص32.

[6] سعد مطير غيث: مرجع سابق،ص158.

8- الزواج والمصاهرة

لم يشكل يوما ما لون الزنجي ولا حتى جنسه، إخوانهم من المسلمين على التعصب عليه من ذلك ،مما ساعد على انتشار الإسلام بين أهالي السودان الغربي الذين تقبلوا إخوانهم المسلمين ،برحابة صدر وزاد من الود التقارب الذي حدث بين الطرفين من خلال الزواج الذي لم يقبله النصارى وحتى أنهم لم يقبلوا عليه، هذا الأمر جعل نظر الزنوج يرون بأن الإسلام على أنه دين السود وأن النصرانية دين البيض[1]،وهذا ما دل على تقبلهم لإسلام ومحاولة التحري حوله والبحث في غماره.

ومن المعلوم أن التجار العرب المسلمين كانوا يحرصون أثناء تواجدهم بحواضر السودان الغربي وقراه، على الزواج من أهالي المنطقة ،كما بالإضافة إلى زوجاتهم بمواطنهم الأصلية، ونتج عن ذلك تمازج وتعمق روابط القرابة ،وعليه يعود الفضل الكبير في نشر الدعوة الإسلامية والحضارة العربية في تلك البقاع لهؤلاء التجار[2] الذين بذلوا الغالي والنفيس من أجل نشر الرسالة المحمدية وإعلاء راية الإسلام في بلاد السودان الغربي.

ب-المنافذ التي عبر منها الإسلام إلى المنطقة[3]:

المسالك البرية نحو الغرب الإفريقي:

لعبت الطرق التجارية العابرة للصحراء الكبرى[4] نحو غرب إفريقيا ،أدوارا هامة في تاريخ المنطقتين الواقعتين شمال وجنوب الصحراء فقد كانت أهم وسيلة للتواصل بين شعوب المنطقتين و

---

[1] بشار أكرم الملاح :مرجع سابق،ص129،130. أنظر: توماس أرنولد: مرجع سابق، ص 354.

[2] سعد مطير غيث :مرجع سابق،ص158.

[3] انظر: الملحق رقم10،ص180.

[4] الصحراء الكبرى: تبلغ مساحة الصحراء الكبرى التي عبرها الكثير من العلماء والتجار والدعاة والعلماء على مر الأزمنة والعصور ثمانية ملايين كلم2،وتمثل أكثر من ربع مساحة إفريقية ،وتشمل النصف الشمالي للقارة ،وتمتد على نحو 5600كم من الأطلسي إلى البحر الأحمر، وبعرض يقدر بنحو 1900كم من الإقليم السوداني جنوبا حتى سلسلة جبال الأطلس الصحراوي شمالا ،وتضم حاليا أجزاء من المغرب، أقصى جنوب تونس،الجزائر،ليبيا،مصر ،مالي، النيجر،تشاد ،الصومال

هناك العديد من الطرق التي تربط شمال إفريقيا بغربه، والتي مر الإسلام عبرها إلى المنطقة[1]، فنجد الصحراء برغم قساوتها طبيعيا فإنها لم تكن حاجزا بين شمال الإفريقي وبلاد السودان الغربي ،بل شكلت همزة وصل بين المنطقتين على الدوام[2]، ومن أشهر هذه المسالك التجارية نجد:

***مسالك المغرب الأقصى:**

◆من سجلماسة إلى ولاتا-تمبكتو-جني-غاو[3].

تنطلق القوافل من سجلماسة[4] والتي كانت عند الوزان:«...عبارة عن اقليم يمتد على وادي زيز ابتداءا من الخنك ...ونزولا نحو الجنوب على مسافة مائة وعشرين ميلا حتى تخوم صحراء ليبيا...»[5] ، إلا أن هذا الطريق فقد أهميته بعد سقوط سجلماسة على يد عرب المعقل فتحولت التجارة بعد ذلك إلى طريق أخر هو:

◆ درعة –تغازى[6]-تنبكت:

،إثيوبيا، جيبوتي.أنظر: أحمد بوعتروس: **الحركات الإصلاحية في إفريقيا جنوب الصحراء إبان القرن الثالث13هـ/19م**، دار الهدى، الجزائر، 2009،ص44.

[1] أحمد بلولة: **"الهجرات والقوافل التجارية عبر الصحراء اسلام والحضارة الإسلامية "، دراسات دعوية** ،ع9 ،2005، ص66.

[2] Mourice Délafosse:**Les relations du Maroc avec leSoudan à trvers les âges**, R.H, Vol ,1924,p153.

[3]الامين عوض الله ، **تجارة القوافل ودورها الحضاري بين المغرب والسودان الغربي وآثارها الحضارية حتى القرن16م** ، من كتاب **تجارة القوافل ودورها الحضاري** ،معهد البحوث ،العراق ،1984 ،ص74.

[4] خالد بلعربي: **تجارة القوافل عبر الصحراء الكبرى في العصر الوسيط، مجلة الواحات للبحوث والدراسات**، جامعة غرداية، الجزائر، ع15، 2011،ص37.

[5] الوزان: مصدر سابق،ج2، ص166.أنظر: حورية توفيق مجاهد: **تاريخ إنتشار الإسلام في إفريقيا الابعاد والوسائل،مجلة قراءات إفريقية** ،الإمارات ، ع6، 2010،ص ص18،17.

[1] تغازى :تقع في جنوب المغرب الأقصى ،على الطريق الرئيسي للقوافل بين المغرب وتنبكتو ،تعتبر المصدر الرئيسي لمعدن الملح ،حيث كان ينقله تجار القوافل الى البلدان المغرب ،وبذلك مثلت تغازة مركز تجاريا هام لهذا المعدن .أنظر:الهادي مبروك الدالي:التاريخ السياسي...،مرجع سابق،ص309.

لعبت منطقة درعة[1] دورا مهما في العلاقات التجارية بين المغرب والسودان الغربي[2].

◆مراكش-تنبكتو:

الذي يمر على تارودنت ،وتاوريرت، وتندوف ،ويخترق رمال أيقيدي ،وعرق شيش ويتجه إلى تاودني ويخترق صحراء الجوف شرقا ويمر باونان، وأروان ،ليتجه الى تنبكتو [3].

◆فاس ومكناس-تنبكتو:

يمر بقصة المخزن وأم دريبينة ويتبع حوض واد نمير إلى إيجلي ثم حوض وادي أم الساورة إلى توات وكابلي،وعين رنان ومبروك ثم تمبكتو.

◆مراكش-توات:

يخرج من مراكش يمر عبر توات و على ماسينة والمعسف وتمنطيط إلى أقبلي[4].

***مسالك المغرب الأوسط:**

◆تقرت-ورقلة-غاو:

ينطلق برا إلى غاو مباشرة ،وهو طريق يربط شمالا بموانيء الجزائر شمالا كبجاية وسكيكدة وغيرها[5].

◆ورقلة تغازى-أودغشت[6]-غانة:

---

[1] الوزان: مصدر سابق،ج2،ص118.

[2] الحسين العماري: مرجع سابق،ص36

[3] يحي بوعزيز: **طرق القوافل والأسواق التجارية بالأسواق الكبرى كما وجدها الأوروبيون خلال القرن19م**، من كتاب **تجارة القوافل ودورها الحضاري**، معهد البحوث، العراق،1984،ص74.

[4] يحي بوعزيز: مرجع سابق، ص128.أنظر: محمود كعت التنبكتي: المختار...،مصدر سابق،ص10.

[5] عبد القادر زبادية: الحضارة العربية...،مرجع سابق،ص29.

[6] خالد بلعربي: مرجع سابق،ص38.

وهو الطريق الذي تمر عبره القوافل القادمة من طرابلس ومن الجريد التونسي أيضا[1].

◆توات-قورارة-غاو:

كانت توات نقطة تجمع وانطلاق للقوافل التجارية ،خاصة القوافل القادمة من فاس وتلمسان بعد مرورها بقيق ووادي الساورة ثم تسابيت[2].

◆ورقلة-غدامس-غات-عين صالح[3]-تنبكتو:

فالطريق من ورقلة[4] إلى غدامس كان يقطع في عشرة أيام،وفيه مخاطر كثيرةبسبب الكثبان الرملية.

◆وهران –أرزيو-تنبكتو:

مرورا بخيثر، مشرية عين الصفراء ،فقيق..ويتبع مجرى وادنزوزفانة إيجيلي حيث يلتقي بطرق وهران وفاس ومكناس الى تنبكتو.

◆الجزائر –تنبكتو:

ويمر على البليدا وبوغار،ثم الأغواط وغرداية والقليعة ،وعين صالح وأكابلي ،وبئر تيريشومين،حيث يلتقي بطريق توات إلى تنبكتو.

ولهذا الطريق فرع آخر من عين صالح إلى بئر عسيو ،وتنتيلوست حيث يتفرع إلى فرعين كذلك فرع إلى أقادم وماو شرق بحيرة تشاد أو إلى أقادم وكوكه جنوبها، أما الفرع الثاني فهو الى الجنوب الغربي نحو أغاديس حيث يتفؤع هو الآخر إلى فرعين ،فرع إلى سوكوتو وفرع إلى كاتسنا.

---

[1] الأمين عوض: مرجع سابق،ص74.

[2] الحسين العماري: مرجع سابق،ص36.

[3] محمد العربي الزبيري: **التجارة الخارجية للشرق الجزائري1798-1830**،شركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر، ط1،1984، ص68.

[4] خالد بلعربي: مرجع سابق،ص38.

◆سكيكدة–قسنطينة–أمقيد والهقار–تنبكتو:

مرورا بباتنة وبسكرة وتقرت وورقلة،وأمقيد،ويتميساو وأيفراون إلى مبروك وتنبكتو،ولهذا الطريف فرع يبدأ من جنوب بسكرة ،ويتجه إلى واد سوف ومن هناك إلى غدامس وغات ،وجبادو وبلمة ، وأقاديم وماو،وفرع آخر من البيوض إلى عين صالح ،وغات.

***مسالك المغرب الأدنى وليبيا:**

◆طرابلس–تنبكتو:

ويمر على سناون ،وغدامس ،وتيماسينين، والبيوض ،حتى يتصل بطرق قسنطينة إلى تنبكتو[1].

◆طرابلس–بورنو–غاو:

ينطلق من طرابلس على الساحل الليبي إلى غدامس ليمر بفزان لينتهي في بورنو أو غاو[2].

◆واحة الجريد جنوب تونس:

إلى ورقلة –وادسوف– غدامس.[3]

◆غدامس–غات–أهير :وصولا الى بلاد الهوسا.[4]

◆طرابلس–مرزوق:

عبر سبها ،ثم إلى بئر بكر وتيجري وتومود(واحات كوار) حيث يتفرع إلى فرعين: فرع إلى بلمة ،وأقاديم وماو وكوكة ،وفرع إلى أبشر شرقا بوادي[5] .

---

[1] يحي بوعزيز: طرق...،مرجع سابق ،ص ص 128،129.

[2] عباس كريم: مرجع سابق،ص49.

[3] الأمين عوض الله: مرجع سابق،ص74.

[4] يحي بوعزيز: مرجع سابق،ص128.

[5] السر سيد أحمد العراقي: **تجارة القوافل بين شمال وغرب إفريقيا وأثرها الحضاري، تجارة القوافل ودورها الحضاري** ،معهد البحوث، العراق، 1984،ص151.

المسالك النهرية بغرب إفريقيا:

لعبت انهار إفريقيا أدوارا هامة في تاريخ المنطقة فهي لم تكن عائقا أمام إنتقال الشعوب المختلفة من الشمال الافريقي باتجاه غرب افريقيا ،ومن بين هذه الأنهار نجد:

نهر النيجر:

يعتبر نهر النيجر[1] ثالث أنهار إفريقيا بعد النيل والكونغو،فهو يمتد في غرب القارة على شكل قوس باتجاه الجنوب الغربي حتى الشمال الشرقي ،لينتهي عند المصب بدلتا كثيرة الفروع ويتصل به نهر بنويbenoui وقد تم إطلاق اسم أنهار الزيت oil river على الانهار المتصلة به ،وذلك لاشتهارها بإنتاج أجود أنواع الزيوت.

طريق أخر يمتد من مصر عبر برقة إلى بلاد المغرب ومنها إلى مصب نهر السنغال[2] .

[1] عبد الله عبد الرزاق: انتشار الإسلام ...،مرجع سابق،ص4.أنظر: حورية توفيق مجاهد: مرجع سابق،ص17.

[2] محمود كعت التنبكتي :المختار ...،مصدر سابق،ص10.

المبحث الأول: الجانب السياسي

يظهر التأثير السياسي العربي الإسلامي على بلاد السودان الغربي ،في شتى مجالات الحياة السياسية ،من سلطات تنفيذية وتشريعية، بالإضافة إلى أنماط الحكم وتنصيب السلاطين ... وغيرها من النظم الإدارية والسياسية.

1-السلاطين والحكام:

كان لفئة السلاطين الصدارة في منطقة السودان الغربي ،وتأثرت بما جاء به الاسلام وبالمبادئ التي نادى بها، وكل التعاليم التي تضمنها ،سواء في حياتهم اليومية بما فيها مجال ادارتهم لدولتهم أو في تصرفاتهم مع شعوبهم ،وشمل كذلك هذا التأثير مجالسهم ولقاءاتهم بالحاشية والعامة، وبدأ حكام وملوك السودان الغربي محليين كانوا ،أم من الذين وفدوا الى المنطقة من المهاجرين المسلمين بتسيير أمور دولهم وممالكهم وفق ما نادت به الشريعة الاسلامية ، وانسجاما مع ما هو موجود في بلاطات المشرق الاسلامي أو مغربه.

ففيما يتعلق بتنصيب الملك يلاحظ أن يوم جلوسه على العرش يتبع أساليب معينة امتزج فيها ما هو موروث من التراث الإفريقي للمنطقة بما هو وافد إليها عن طريق العرب المسلمين[1]، فأثناء تتويج السلطان أو تعيينه يتلقى ختما وسيفا ونسخة من القرآن الكريم، وذلك تقليدا لما هو سائر في بلدان المشرق والمغرب العربيين[2].

وبفضل الإسلام وسماحته ودعوته للشورى، في قوله تعالى:{ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ}[3]،أقدم حكام وملوك السودان على مشاورة

[1] بشار أكرم الملاح: مرجع سابق، ص ص209، 212.

[2] العربي إسماعيل :**الصحراء الكبرى وشواطئها**، المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر،1983،ص333.

[3] سورة الشورى ،أية 38.

وزرائهم و مستشاريه وكتابه وأمنائهم وحاشيتهم[1]، وكانت تلك المشاورات تتم في قصر السلطان، وأحيانا في المقصورة المخصصة لاستراحة السلطان المقامة داخل المسجد ،وذلك بعد صلاة الجمعة[2].

كما اقتبس سلاطين وحكام منطقة السودان الغربي الأنظمة العربية الاسلامية في الحكم والادارة[3] ، واتضح ذلك في اعتماد الإمارات والممالك الإسلامية في المنطقة الأنظمة العربية عند تأسيس حكمها وكذا في بناء إماراتها وتنظيم دواليب حكمها ،والذي كان يسود في كل من الحجاز، والمغرب العربي ،وحتى بعض إمارات الجزيرة العربية ،فهناك الملك والسلطان والوالي ، والأمير، والحاكم والوزير، والقاضي...الخ[4]، واتخذت تلك المظاهر من البلاطات الاسلامية واتبعوها في قصورهم[5]،حيث قاموا بجلب الكثير من الرقيق الخصيان المكلفين بحراسة نساء القصر، كما عينوا حراس خاصين بهم لحمايتهم[6].

.ونجد من مظاهر التأثير السياسي ،أن أصبح الحكام والسلاطين يطلقون على أنفسهم الأسماء الإسلامية واستبدلوا أسمائهم الوثنية ،فأصبحوا يسمون أنفسهم مثلا: عبد الله، محمد، يوسف ، إدريس، إسحاق...وغيرها من الأسماء ،ولقبوا أنفسهم الألقاب الإسلامية ،كلقب أمير المؤمنين الذي اتخذوه تأثرا بالمشرق الإسلامي والتي في الاصل جاءت من اجل ربط نسبهم بالعرب.

---

[1] الوزان: مصدر سابق،ج2،ص169.

[2] بشار أكرم الملاح: مرجع سابق، ص212.

[3] يحي بوعزيز :مرجع سابق،ص152.

[4] مبروك مقدم: **الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني ودوره في تأسيس الإمارة الإسلامية بإفريقيا الغربية خلال القرن التاسع عشر للهجرة الخامس عشر للميلاد**، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر،2006 ،ص56.

[5] بشار أكرم الملاح: مرجع سابق ،ص212.

[6] الوزان: مصدر سابق ،ص169.أنظر: ابن بطوطة: محمد بن عبد الله بن محمد ابن بطوطة: **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، تح: عبد الله التازي ،مج4 ،أكاديمية المملكة المغربية ،المغرب ،1997،ص256.

عمل ملوك السودان الغربي وفق ما جاء في الشريعة الإسلامية ،ما أشار إليه الأفراني في ذكره للأسكيا محمد الكبير، بقوله: «...فرجع إلى السودان فنصر السنة وأحيا طريق العدل وجرى على منهاج الخليفة العباسي في مقعده وملبسه وسائر أموره ،ومال للسيرة العربية وعدل عن سيرة العجم فصلحت الأحوال...»[1]

وبدخول الاسلام الى بلاد السودان الغربي اصبحت تحيتهم السلام كمعنى للأخوة ،بديلا عن الجلوس على الأرض ووضع التراب على الرأس[2] و أصبح الملك يصافح كل من تقدم له من الناس بعدما كان الملك لا يصافح إلا القضاة ،وذلك خلافا لما كان سائدا[3]، ومما يبرز تأثر سلاطين سنغاي بالشريعة الإسلامية ،التنظيمات الإدارية المستحدثة في عهد الأسكيا محمد الكبير[4]، بتشكيل نواة حكم ،ادارة محلية مستمدة من المشرق العربي ساعدته على توفير الامن والاستقرار في مملكته[5] .

كما لا يخفى دور سلاطين السودان الغربي في نشر الشريعة الاسلامية ومحاربة البدع والعادات المخالفة للشرع الإسلامي[6] ،والمساواة بين الرعية في الحقوق والواجبات ،والعدل في

[1] محمد الصغير الوفراني: **نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي**، تر: هوداس ،مطبعة بردن ،مدينة أنجي،1888،ص90.

[2] بشار أكرم الملاح :مرجع سابق، ص ص214،213.أنظر: الوزان: مصدر سابق،ج2،ص166.

[3] محمود كعت: **تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس**، تر :هوداس ودلافوس، مطبعة بردن مدينة أنجي، 1913،ص35. أنظر: ظافر القاسمي: **نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي** ، دار النفائس للطباعة والنشر، لبنان،ط6،1990،ص53.

[4] أسماء أحمد الأحمر :مرجع سابق،ص102.أنظر: فيصل محمد موسى: **موجز تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر**، مر: ميلاد المقرحي، منشورات الجامعة المفتوحة ،ليبيا ،ط1 ،1997، ص56.

[5] مرزقلال لعماري :**الحياة الثقافية الإسلامية في مملكة سنغاي على عهد الأسقيين(899–1000 هـ/1493–1591م)**،مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، ،جامعة الجزائر،2009–2010،ص19.

[6] شوقي عطا الله الجمل: **الحضارة الإسلامية العربية في غرب إفريقيا سماتها ودور المغرب فيها** ،**المناهل**،مج7 ، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية ،المغرب، ع7،1976،ص133.

الحكم والتدرج في تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية [1]،وذلك استناد الى احكام الاسلام التي تعتبر العدل من القواعد الاصلية في نظام الحكم لما نزل في القرآن الكريم ،ورد فيه لفظ: العدل والقسط [2]،ما جاء مصداقا لقوله تعالى:{ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ } [3].

2- النظم الإدارية:

استفاد ملوك السودان الغربي كثيرا من النظم الإدارية العربية الإسلامية ،وخصوصا من المشرق و المغرب العربيين المحاذيين لهم، فقد كونوا نظاما إداريا منظما رسخت قواعده منذ الأيام الأولى لحكم الأسكيا محمد الكبير تميز هذا النظام الإداري بالمركزية من خلال جعل المملكة مقرا للحكومة التي يرأسها السلطان نفسه، الذي بيده سلطة تفويض ولاة الأقاليم بسلطات معينة ومحددة تخولهم لنيابة عنه في إدارة شؤون أقاليمهم ،وهذا النظام كان معروفا لدى الدول العربية الإسلامية المعاصرة لتلك الفترة[4].

أ- النظام الإداري وتطوره:

كانت النظم الإدارية في مملكة سنغاي شبيهة إلى حد كبير بالنظم السائدة في مملكة مالي الإسلامية، حيث كان لوصول الأسكيا محمد الكبير للحكم دور في تنظيم مملكته ،وقد تضمن نظامه الإداري إنشاء عدد من الإدارات المركزية كانت مختصة في الشؤون المالية وشؤون الجيش والقضاء ،والشؤون الداخلية وشؤون الزراعة والغابات ،بالإضافة إلى إنشاء إدارة مخصصة بشؤون

[1] مبروك مقدم: مرجع سابق،ص55.

[2] ظافر القاسمي: مرجع سابق، ص ص،94.93.أنظر: شوقي عطا الله الجمل: الحضارة الإسلامية...،مرجع سابق،ص132.

[3] سورة الشورى، الآية 15.

[4] سعد مطير غيث: مرجع سابق، ص ص327،328.

المغاربة والطوارق الذين يعيشون على الحدود الصحراوية المحاذية لمملكته وذلك من أجل تنظيم علاقته بين دولته وبين من هم وافدين للمنطقة[1]، فمن بين المناصب التي أقامها الأسكيا مفتشية الضرائب العامة، التي يرأسها مفتش الضرائب، ويساعده في ذلك أعوان مثبتون في أسواق المنطقة وعلى الحدود ،كانت مهمتهم استقبال القوافل الواردة إليها ،وتوريد الرسوم على كل بضاعة[2].

اما بالنسبة للسلطان فقد كان له نائب يعرف برئيس الوزراء وقضاة، يتلقون تعاليمهم من السلطان مباشرة[3] وكما وجدت وظيفة المشرف على الشؤون القبلية المعروف باسم (كوري فارما)[4] ،و المشرف على الغابات ويعرف باسم (ساوفاريما) وتوكل له مسؤولية قطع الأخشاب من أجل بناء السفن ومراقبة الصيادين، ووجدت وظائف أخرى ارتبطت بالتعاون مع الأهالي وهي وظيفة حاكم عام المدينة ويكون وسيطا بين الاهالي والسلطان، ويشبه شيخ البلد وكانت مهمته ترتكز في التعامل مع الأهالي والقضاة على حل مشاكل المدينة والأسواق، وهذا نتيجة اعتماد السلطان محمد الكبير على الشريعة الإسلامية في تنفيد نظام الحكم الذي أقامه في مملكته[5].

ويتضح جليا مدى تجسيد مبدا الشورى في عهد سلاطين مملكة سنغاي[6]، فقد اشار المؤرخ سعدي انه بعد ورود الأخبار عن عزم المغرب فرض سيطرتها بمنطقة سنغي ،بقوله «...فلما بلغهم خبر هذه المحلة جمع الأمير أسكيا إسحق [إسحاق] قياده وكبراء مملكته في المشاورة في الرأي و التدبير...»[7]، أما أثناء العهد المغربي فقد قام المغاربة بتطبيق النظم الإدارية التي كانت معروفة في

[1] أسماء أحمد الأحمر :مرجع سابق،ص102.

[2] سعد مطير غيث :مرجع سابق،ص329.

[3] شوقي أبو خليل :مرجع سابق،ص247.أنظر: عبد القادر زبادية: مملكة سنغاي ...،مرجع سابق،ص58.

[4] هو الوزير المكلف بقضايا الأجانب الذين يعيشون في المنطقة ،ويتركزون خاصة في في المدن الكبيرة كتجار ووكلاء وخبراء ومدرسين ،والأغلبية الغالبة من بينهم كانت من بلدان المغرب العربي ومصر. أنظر: نفسه ،ص59.

[5] سعد مطير غيث: مرجع سابق،ص329.

[6] أنظر: الملحق رقم 08، ص177.

[7] السعدي: مصدر سابق، ص ص 138 ،139.

المغرب تلك الفترة ،والتي هي نظم إسلامية صميمة بحثة [1]، فالأسلوب الذي أعتمد انبعث من مبادئ التشريع الإسلامي ومن القواعد والتنظيمية والأخلاقية والقيم التي عرفت على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة [2].

حيث كان لهذا النظام الإداري الذي طبق في المنطقة الفضل في خلق وحدة قوية ومتماسكة بين أجزاء الدولة المختلفة، والقضاء على السلطات القبلية ،لأن هذه التنظيمات قامت على أساس المركزية في الشؤون الرئيسة والتشريع واللامركزية في الأمور التنفيذية، كما كان السلاطين يستعينون ببعض العلماء والمثقفين من مختلف طوائف المجتمع لمساعدتهم في تسيير شؤون الحكم المركزي وشكل هؤلاء العلماء أركانا الدولة ومستشارين مخلصين للسلطان الذين سعوا لترسيخ مبادئ الشريعة الإسلامية في المملكة[3]، الكبير في حرصه على تطبيق شرائع الإسلام[4]وذلك لما قام بطرح أسئلة على العالم المغيلي ،ببسط عدد من المواضيع الاجتماعية والسياسية التي كانت تشغل باله، من أجل تمكنه من تسيير حكمه وفق ما جاء في الشريعة الإسلامية.

إن الأجوبة التي قدمها العالم عبد الكريم المغيلي للأسكيا محمد الكبير تعطينا صورة واضحة وجلية عن مدى الدور الكبير الذي لعبه علماء شمال إفريقيا والمغرب الإسلامي من الإصلاح وخدمة الذين ببلاد السودان الغربي ومساهمتهم الفعالة في إرساء قواعد الحكم على أساس الشريعة

[1] سعد مطير غيث: مرجع سابق،ص330.

[2] محمد غربي: **بداية الحكم المغربي في السودان الغربي**،ج1،مؤسسة الخليج للطباعة والنشر، بغداد، العراق ،1982 ، ص351.

[3] أسماء أحمد الأحمر: مرجع سابق،ص103.

[4] خير الذين شترة: **الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني المصلح الثائر وفكره الإصلاحي في توات و السودان الغربي** ،ج1،منشورات وزارة الشؤون الدينية تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، الجزائر،2011 ،ص281.

الإسلامية [1]، بطابع إسلامي صحيح، وتبرر المدى الذي بلغه الإمام المغيلي في دعوته الإصلاحية من خلال اهتمام الكبير بإصلاح أوضاع المسلمين الدينية والسياسية والاجتماعية[2].

كذلك يعطينا صورة عن مدى رغبة ملوك السودان الغربي في تجسيد مبادئ الشريعة الإسلامية ، من خلال استفسارهم للعلماء واستفادتهم منهم في ميادين عديدة واضحة وملموسة لكل صغير وكبير في الحكم والسياسة والعلم والأدب...إلخ، والاهتمام بترضيتهم[3]، نجد أن المغيلي قد أرسى بوصاياه السياسية للأسكيا محمد الحاج القواعد الشرعية للحكم وللراعي وللرعية[4].

وقد استعان الأسكيا محمد كذلك بفريق كبير من كبار معاونيه المقربين منه، وأوكل لهم المناصب العليا في الدولة ،فكانوا يتمتعون ويحظون بامتيازات سياسية وعسكرية خاصة وبعض هؤلاء من هيئة المجلس الملكي ،والبعض الأخر من المكلفين بشؤون المديريات، كانت وظائف وأدوار شاغليها ومهامهم متباينة، فبعض الاختصاصات كانت واسعة، والبعض الآخر لم تكن أدوارهم تتجاوز العاصمة والقصر الملكي[5].

ب- أقاليم الدولة وتطورها:

قسم سلاطين السودان الغربي المنطقة إلى ولايات تخضع للإشراف المباشر للإدارة المركزية في العاصمة السياسية جاو[6]، ما قام به الأسكيا محمد الكبير، حيث تم تكليف ولاة لهذه المناطق[7] ،يتم اختيارهم من بين أقرباء الأسكيا وعبيده المخلصين، وظلت تلك السنة هي السائدة في

[1] عبد الكريم المغيلي :مصدر سابق،ص17.

[2] خير الذين شترة: مرجع سابق،ج2،ص482.

[3] عبد القادر زبادية: مملكة سنغاي...،مرجع سابق،ص32.

[4] خير الذين شترة :مرجع سابق،ص401.

[5] أسماء أحمد الأحمر: مرجع سابق ،ص ص103،104.

[6] سعد مطير غيث :مرجع سابق،ص331.

[7] أسماء أحمد الأحمر: مرجع سابق ،ص105.

تعيين الولاة وفي طريقة اختيارهم طيلة أيام خلفائه من الأساقي وحتى امتداد الحكم المغربي للمنطقة عام 1000هـ/ 1591، ومن هذه الولايات:

1- ولاية كورما غربي نهر النيجر.

2- ولاية بالاما ،تقع على حدود بلاد الموسي في الجنوب الغربي للمملكة[1] .

3- ولاية دندي[2] إلى الجنوب من كوكبا ،ومركزها جوجيا[3].

4- ولاية بانجو وتقع حول بحيرة ديبو.

5- ولاية هاريباندا وإقليم هذه الولاية يقع على ضفة نهر النيجر اليمنى إلى الشرق من جاو وقاعدتها كوكيا.

6- رئاسة نهر النيجر(ولاية النهر) [4]: وقاعدتها جاو، وكان يشرف عليها قائد الأسطول وتسمى وظيفة إدارة كوى[5].

7- ولاية قندام، وتقع إلى الغرب من مدينة تنبكت ،وكانت مركز اقتصادي وثقافيا[6]

8- ولاية فر، وكان حاكمها كسور بن موسى[7] ،أحد أعوان الأسكيا محمد الكبير[8].

---

[1] عبد القادر زبادية: مملكة سنغاي...،مرجع سابق،ص34.

[2] دندي، تعني :الجنوب بلغة السنغي ،وسميت كذلك لوقوعها في الأطراف الجنوبية من مملكة سنغي .أنظر:سعد مطير غيث : مرجع سابق، ص331.

[3] أسماء أحمد الأحمر: مرجع سابق ،ص106.

[4] سعد مطير غيث: مرجع سابق،ص331.

[5] عبد القادر زبادية: مرجع سابق،ص35.

[6] الهادي المبروك الدالي :التاريخ السياسي ...،مرجع سابق،ص117.

[7] سعد مطير غيث: مرجع سابق ،ص331.

[8] كعت :مصدر سابق،ص65.

9- ولاية تنبكت، ومركزها مدينة تنبكت الشهيرة، ويميزها موقعها على الحافة الجنوبية للصحراء الكبرى فيما يعرف بمنحنى نهر النيجر[1] بأنها صارت مركزا إداريا وتجاريا هاما[2] ، يرتاده التجار من من الشمال الإفريقي والمشرق العربي[3] .

10- ولاية أجادس، تقع في الحدود الشمالية الشرقية من منطقة السودان الغربي.

11- ولاية جني، تقع إلى الجنوب الغربي من تنبكت ،وكان مركزها الإداري مدينة جني. كما سار خلفاء الأسكيا محمد الكبير

من بعده على النسق الإداري نفسه الذي أقامه، وذلك حتى نهاية حكمهم عام 1000هـ/1591م.

ومع امتداد الحكم المغربي لمنطقة السودان الغربي ، قام الباشوات المغاربة بتغيير هيكلة النظم الإدارية واتخاذ مدينة تنبكتو عاصمة للمنطقة بدلا من جاو العاصمة السياسية والإدارية على عهد سنغي ،لأسباب متعددة منها بعدها عن مناطق الحروب و النزاع في كل من شرق وغرب المنطقة وعن بلاد الوثنيين في الجنوب والشرق بخلاف جاو، وكذا لأسباب طبيعية تمثلت في أن تنبكت تتوافر فيها الكثير من الشروط الصحية التي تجعل منها مقرا ملائما للحكم المغربي[4].

[1] الهادي المبروك الدالي: التاريخ السياسي...، مرجع سابق،ص117.

[2] سعد مطير غيث :مرجع سابق،ص332.

[3] أسماء أحمد الأحمر :مرجع سابق،ص107.

[4] سعد مطير غيث: مرجع سابق،ص332.

3-العلاقات الخارجية:

يذكر المؤرخ "عبد القادر زبادية" أن ملك جني لما أسلم ،في القرن الثاني عشرة ميلادي، رفع يديه إلى السماء داعيا الله أن تكثر ببلاده الجاليات الأجنبية[1]، وذلك لتوافر الخيرات لبلده وتوارد البضائع[2] ،وهو دليلا على أن بلاد السودان الغربي كانت على اتصال دائم بالمحيط الخارجي، كما اتصل المسلمون بالمنطقة وظلوا على اتصال وثيق بسكانها حتى بداية العصور الحديثة ،و نتج عنه تأثر سكان بلاد السودان الغربي تأثير كبير في مختلف التطورات ،وذلك بما وفد إليها عن طريق العرب المسلمين[3].

لقد كانت تربط سكان السودان الغربي علاقات تجارية مع كل من المغرب والمشرق العربيين ، وكانت تحدوهم للذهاب إلى السودان الغربي أرباح تجارية تتوفر لهم من هذه الأخيرة ، لغناها بمعدن الذهب ،وهذا ما جعل بلادهم تصبح سوق عالمية تصلها جميع البضائع من أوربا ومن المشرق و بلدان المغرب[4]، لذلك تحضر سكانها بحضارة المغرب ،واصبح المتنقل في كل من ورقلة[5] أو

---

[1] عبد القادر زبادية :مملكة سنغاي...،مرجع سابق،ص79.

[2] كعت: مصدر سابق،ص60.أنظر: السعدي :مصدر سابق،ص79.

[3] عبد القادر زبادية: مرجع سابق ،ص ص79،81.

[4] شترة خير الدين: مرجع سابق،ج2،ص482.

[5] ورقلة: عرفت على مر العصور بتسميات متعددة ،يقول ابن سعيد المغربي، عنها: «... ومدينتها التي تسمى و اركلان [...] وهي بلاد نخل وعبيد ومنها تدخل العبيد إلى المغرب الأوسط...»،وذكرها الرحالة المغربي عبد الرحمان بن محمد العياشي ،زارها في رحلته إلى الحج، وذلك باسم "وارکلا"، و أوردها المؤرخ ابن خلدون، "وركلان ،وركلي ،وارکلا" ،وقيلا تسمى وارقلان جمع ورقلة نسبة إلى بني وارقلة الذين قدموا أيام الفتح الإسلامي من الشمال والغرب صحبة مغراوة ثم استولوا على المدينة، وتحت اسم "وارجلان" ذكرها الدرجيني بنفس الاسم، وأشار كذلك إبراهيم بن الساسي ب:"ورقلة أو هرقلة أو أركلو سميت جون ليتيو كان له تفسير أخر وهو أن الكلمة مركبة من جزئين هما: "وار" وتعني الأبناء و"إيكلي" أو "إيكلان" وتعني السود بمعنى أبناء السود وذلك لوجود العديد من الأشخاص ذوي البشرة السوداء بالمدينة، بينما نسيها الرحالة لا رجو لامرأة سكنت المدينة، قامت ببناء كوخ وغرس النخيل ،فالتف حولها الناس بعد ذلك للإقامة .أنظر: ابن سعيد المغربي ،مصدر سابق،ص126.وأبو سالم العياشي، **الرحلة العياشية 1661-1663**،تح:سعيد الفاضلي ،سليمان القرشي ،ج1،دار

سجلماسة أو غدامس إلى تمبكتو وغاو، لا يشعر بفوارق في النمط والأسلوب المعيشي وكانت المدن السودانية هامة مثل تمبكتو وغاو ووالاتا وجني ... و غيرها، بها جاليات مغربية هامة تتكون في أغلبها من التجار والفقهاء والمدرسين ومعظمهم قد تزوجوا من سودانيات مسلمات وفضلوا الإقامة بالمنطقة بين إخوانهم المسلمين ، ومن طول المعاشرة وكثرة الوفود بين المنطقتين انتشرت تعاليم الإسلام بين الجماهير الشعبية في السودان الغربي وحسن إسلامها.

أما من الناحية الرسمية فقد كانت أساليب ذلك الوقت في الاتصال هي أن الأمراء والملوك كانوا يبعثون بوفود تحمل رسائل شفوية أو مكتوبة كلما أرادو الاتصال بأمير أو ملك أجنبي ، معها هدايا ثمينة ،وتستقبل على الأغلب في احتفال عظيم يتصدره الامير أو الملك المقصود ، ووصلت هذه الطريقة إلى منطقة السودان الغربي عن طريق كل من المغرب ومصر، وبدأ التعامل بها على نطاق واسع منذ عهد سلاطين مالي، وبعدهم سلاطين غاو ،على أيام الأسقيين فقد اتصل كل من الأسكيا إسحاق الأول وداوود وإسحاق الثاني بملوك المغرب من أيام مولاي أحمد المنصور إلى أيام محمد زيدان بنفس الأسلوب، وجرى بين أمراء المغرب وأمراء سنغاي اتصالات عديدة ،وتبادل الوفود عدة مرات[1].

السويدي للنشر الإمارات،ط1، 2006، ص114.ومحمد بن عبد المنعم الحميري، **الروض المعطار في خير الأقطار**: تح: إحسان عباس ،دار القلم، لبنان، 1975،ص600.عبد الرحمان بن خلدون، **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**: ج6، دار الفكر للطباعة،لبنان،2000،ص134.وأحمد بن سعيد الدرجيني : **طبقات المشايخ بالمغرب** ، تح: إبراهيم طلاي،ج2، دار البعث، قسنطينة،الجزائر،ص399.ومولاي بالحميسي :**الجزائر من خلال الرحلات المغاربية في العهد العثماني** ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر،ط2،1981،ص83.و إبراهيم محمد الساسي العوامر، **الصروف في تاريخ الصحراء وسوف**، تع: الجيلاني بن إبراهيم العوامر، منشورات تالة، الجزائر، 2007 ،ص35.وأحمد ذكار: **حاضرة ورقلة وعلاقاتها التجارية بالسودان الغربي(1591–1883م)**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإفريقي الحديث والمعاصر ،جامعة أدرار،2010/2009م، ص8.

[1] عمار بن خروف: **العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر الهجري/السادس عشرالميلادي** ، ج1 ،دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع ،الجزائر،2006،ص ص133،132.

هذا و قد كانت تربط سلاطين الأساقي علاقات مع البلدان المجاورة[1] بما فيها إفريقيا الغربية نفسها ، فكانوا يبعثون إليها الوفود كما كانوا يفعلون مع بلدان المغرب ،ففي أيام الأسقيا الحاج محمد الأول ،جرى إرسال وفد بمجرد عودته من الحج سنة 1497م إلى ملك الموسي يدعوه فيه للدخول إلى الإسلام ،فلم يستجب هذا الأخير فحاربه، أما ملك الكبي ،فقد كانت الوفود السنغائية قد قدمت لبلاده مرتين وذلك على أيام الأسقيا موسى [2].

كما لعب موكب الحجيج دورا مهما في ربط العلاقات مع البلدان المجاورة ،وذلك أنهم يحملون من ملوك السودان الغربي تحيات إلى السلاطين البلدان المجاورة[3]، التي يمرون بها وإلى شرفاء مكة على وجه الخصوص، وفي مصر كان موكب الحجيج يستقبل استقبالا رسميا، وتقدم له الهدايا عند مغادرته البلاد، وبهذا الشكل جرت الأمور مع كل من محمد الأول، ومحمد الحاج الثاني[4]، وكان لملوك المنطقة اتصال بمختلف المفكرين الكبار في العالم الإسلامي وكثيرا ما كانوا يستفتونهم في أمور دينهم، وبهذه الصورة جرى تبادل الرسائل بين كل من الإمام السيوطي والإمام المغيلي وبين الأسكيا الحاج محمد الأول ،فمن خلال ذلك تجلى وتبين بوضوح أن منطقة السودان الغربي كانت تشكل جزءا من العالم الإسلامي[5] وعلى اتصال واسع به، وذلك عن طريق السفارات الرسمية وتنقلات الحجيج والطلبة، ومراسلات العلماء وتنقلاتهم ، ولعل أفضل مثال على ذلك مملكة سنغاي التي ربطتها علاقات خارجية مثمرة ،استمد سلاطينها أساليبها من العرب المسلمين ووظفوها في ذلك الوقت كلما لزم الأمر.

---

[1] الوزان: مصدر سابق،ج2،ص161.

[2] عبد القادر زبادية: مملكة سنغاي ...،مرجع سابق،ص،82،84.

[3] محمد فاضل علي باري، سعيد ابراهيم كريديه: مرجع سابق،ص143.

[4] أسماء أحمد الأحمر :مرجع سابق،ص188.

[5] حسن إبراهيم حسن: **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والإجتماعي**،ج2،مكتبة النهضة المصرية ، مصر، ط14،1996،ص165.

وقد شملت هذه العلاقات البلدان المجاورة سواءا في السودان الغربي أو الأوسط، اختلفت بين السلم والحرب وذلك حسب الظروف ،أما مع العالم الأوربي ،ومع بلدان الشرق الأقصى ،فإن كل اتصال لها بهما ،كان غير مباشر، لأنه كان يتم عن طريق بلدان المغرب ومصر ،ولا يتجاوز نطاق التبادل التجاري وحده[1].

المبحث الثاني: الجانب العسكري

لقد رأت النظم الحربية تطورا لابأس به والفضل في ذلك يعود لما ترتب عنه من تأثيرات للحضارة العربية الإسلامية على منطقة السودان الغربي، فاهتم سلاطين السودان الغربي بالقوة العسكرية وسعوا لإنشاء جيش عصري أعطوه عناية واسعة ،وسعوا إلى تدريبه وتنظيمه تنظيما محكما[2] لأنه يمثل عدتهم في الحرب والسلم[3] ،وتجلى ذلك في كل من:

أ: الجيش:

يحظى الجيش بمكانة وأهمية كبيرة نظرا للدور الذي يقوم به والمتمثل في حفظ الأمن والاستقرار والعمل على تطبيق السياسات التي أولاها سلاطين سنغاي اهتماما كبيرا[4] لذلك جرى تنظيمه تنظيما بدقة وتدريبه تدريبا محكما[5]،من خلال إخضاعه للسلطة المدنية وتولي قيادته والاشراف عليه من طرف الأساكي أنفسهم منذ عهد الأسكيا محمد الكبير[6]، مع الحرص على أن يكون التجنيد إجباريا ، وذلك بتخصيصه على كل من هو قادر على حمل السلاح بشكل دائم، وقد

---

[1] عبد القادر زبادية: مملكة سنغاي... ،مرجع سابق ،ص85.

[2] محمد فاضل علي باري وسعيد إبراهيم كريديه :مرجع سابق،ص118.

[3] الهادي مبروك الدالي: التاريخ السياسي ...،مرجع سابق،ص114.

[4] إسماعيل العربي: مرجع سابق،ص334.

[5] سعد مطير غيث: مرجع سابق،ص323.

[6] سينيكي مودي سيسوكو: **الصنغي من القرن الثاني عشر إلى القرن السادس عشر**، **تاريخ إفريقيا العام** ،مج 4 ، اليونيسكو باريس،1988،ص208.

قسم الجيش إلى عدة أقسام حسب أنواع الأسلحة المستعملة[1]، وهذا يعطينا وينبأنا بمدى عمق التأثير العربي الاسلامي في المنطقة.

ومن مظاهر التأثير العربي الاسلامي بالمنطقة الاجراءات التي كان يتخذها السلاطين في حالة تعرض المملكة للخطر الذي قد يهدد منطقتهم، حيث كانوا يقومون بجمع قادة الجيش والمستشارين[2] لدراسة الخطط العسكرية المناسبة والعمل على كيفية التصدي له، واتخاذ التدابير اللازمة والاحتياطات الضرورية المتاحة ، ولم يكن السلطان منفردا بحكمه فقد كان يتبع مبدأ الشورى[3]، تجسيدا لما جاء في القرآن الكريم، في قوله تعالى: {وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ }[4].

وقد أشار لذلك المؤرخ السعدي، بقوله : «...فلما بلغهم خبر هذه الحملة جمع الأمير أسكيا إسحق قياده وكبراء مملكته في المشاورة في الرأي والتدبير »[5] .

أما فيما يخص تقسيمات الجيش فتمثلت في ما يلي:

1- الحرس الملكي

وتسمى كذلك بالحرس الإمبراطوري[6]،وتختص هذه الفرقة بالعمل على حماية الملك وحاشيته وقت المعركة ،لأن ملوك سنغاي كانوا يحضرون أثناء الحروب ويشرفون بأنفسهم على إدارتها، وهذا

[1] عبد القادر زبادية : مملكة سنغاي...،مرجع سابق ،ص ص65،66.

[2] سعد مطير غيث: مرجع سابق،ص323.

[3] بشار أكرم الملاح :مرجع سابق،ص212.

[4] سورة الشورى، أية 38.

[5] السعدي: مصدر سابق ،ص ص 138،139.

[6] إسماعيل العربي :مرجع سابق،ص334.

تيمنا بسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الذين جاءوا من بعده حيث كان يحضر أثناء غزواته وهذا لان تأثيره يكون كبيرا على الجنود، لان قدوم الملك يزيد من تحفيز الجنود وقت المعركة.

وقد كانت الفرقة دائمة الوجود في جيش سنغاي وذلك لأهميتها البالغة التي تحظى بها في أركان الجيش و لمهامها الأساسية في حفظ أمن الملك[1] ،ويكون دورها في الحرب ثانوي لاعتبار أنها مجبورة على البقاء والتمركز في مؤخرة الجيش التي بها يحتمي خلفها الملك في خيمته مع مستشاريه[2] ومن مهامها قرع الطبول والنفخ في الأبواق أثناء مسيرة الجيش في شوارع المدينة أيذانا بخروج الجيش لخوض الحرب[3]، أما الأسلحة التي تستخدمها هذه الفرقة فكانت في الغالب أسلحة للزينة ،تتشابه في أسلحتها مع فرقة الخيالة باستثناء سلاح الدروع الذي لم يكن متوفرا لجميع أفراد الفرقة ، إلا للقليل منهم وخاصة الذين يسيرون بجوار فرس الملك[4].

2 – فرقة سلاح الخيالة:

وهذه الفرقة احتياطية من الفرسان ،صغيرة التعداد ، ينخرط فيها أفراد الطبقة النبيلة، لأن تجهيز رجال هذه الفرقة يتطلب الكثير من المال، وكان يستند إليها أمر المشورة، وتكون قريبة من القيادة[5] ولها دور فعال في المعارك الحاسمة[6] ،وفي مواكب الاستعراضات العسكرية والاحتفالات الملكية ومن لوازم الجندي في هذه الفرقة الحصان الذي يمتطيه، وكان غالي الثمن خاصة في مملكة

[1] أسماء أحمد الأحمر :مرجع سابق ،ص116.

[2] عبد القادر زبادية :مملكة سنغاي...،مرجع سابق،ص69.

[3] عطيه مخزوم الفيتوري: **دراسات في تاريخ شرق إفريقيا وجنوب الصحراء مرحلة انتشار الإسلام** ،دار الكتب الوطنية ، ليبيا،ط1،1998،،ص318.

[4] أسماء أحمد الأحمر :مرجع سابق ،ص117.

[5] الهادي مبروك الدالي :التاريخ السياسي ...،مرجع سابق،ص152.

[6] زبادية عبد القادر :مملكة سنغاي...،مرجع سابق،ص68.

سنغاي ، فلا يركبه إلا القضاة والملوك ورؤساء المقاطعات ، وكذلك الدروع[1]، وعتاد هذه الفرقة كان يستورد من خارج البلاد، ومن الأسلحة التي تستخدمها هذه الفرقة كذلك نجد الرماح الطويلة، أما السيوف فكانت قليلة الاستعمال.

3- فرقة الفرسان:

تشكل فرقة الفرسان جزءا مهما من قوة الجيش وتحظى بمكان مهمة بعد فرقة المشاة وتأتي بعدها في الترتيب[2]،وكان الجندي الذي ينخرط في هذه الفرقة ينال شرف الأبهة النبيلة بين أفراد الجيش، في الأهمية من حيث العدد و العدة والترتيب وأثناء قتالها في المعارك ،والعتاد الحربي لهذه الفرقة يتكون من خوذة وصدرية الفرس المصنوعة من الحديد ، و الحراب والنشاب التي كان الجنود يحملونها في أيديهم و أكتافهم [3]، وكانوا يقاتلون على ظهور الخيول، والمهاري ،وفي عهد الأسكيا محمد بلغ عددها أربعة آلاف وستمائة فارس[4].

4 – فرقة المشاة:

تعتبر من أقوى الفرق لأنها تمثل عماد وأساس الجيش أثناء المعارك، وهي الفرقة الراجلة ،وتعتبر أقوى الفرق وتتميز بكثرة عددها وعدتها[5] ،ويبلغ تعدادها أكثر من ثلثي مجموع سكان سنغاي[6] وقد اشتهرت هذه الفرقة بإستماتتها في القتال، وبذلك أصبح جيش سنغاي القوة التي لا تقهر في المنطقة[7]،وذلك بفضل ما اتصف به أفرادها من شجاعة وتمرس في القتال أثناء الحروب

---

[1] أسماء أحمد الأحمر :مرجع سابق،ص117

[2] عبد القادر زبادية: مملكة سنغاي ...،مرجع سابق ،ص ص 67،68.

[3] أسماء أحمد الأحمر: مرجع سابق، ص ص 117،118.

[4] عطية مخزوم الفيتوري: مرجع سابق، ص318.

[5] الهادي مبروك الدالي: التاريخ السياسي ...،مرجع سابق، ص ص 151،152.

[6] مطير سعد غيث: مرجع سابق،ص324.

[7] عبد القادر زبادية: مرجع سابق،ص69.

التي خاضتها هذه الفرقة وحققتها وقد لعبت دورا كبيرا في انتصارات جيش سنغاي، وهذا نتيجة لما عرفوه من دقة في التدريب على فنون القتال وأساليب الحرب في شتى الظروف باختلافها، وكانت هذه الفرقة دائما في مقدمة الجيش ،وتتقدم في الصفوف عن الفرق الأخرى[1]، أما في ما يتعلق بأسلحة هذه الفرقة الرئيسية فكانت تتكون من الحراب والسهام وبعض الفؤوس والسيوف[2].

5- فرقة الطوارق:

اهتم حكام سنغاي بفرقة الطوارق[3]، التي شكلت جزءا من فرق الجيش، وكان افرادها يمتازون بأنهم من أصلب الأجناس قوة ومهارة في الحروب ،والاعتماد عليهم كان كبيرا خاصة في المهام الصعبة، واتضح ذلك لما قام الأسكيا داوود بهم إلى أراضي المغرب، وأشار لذلك السعدي ،بقوله : «... اربعة وعشرين الفا جيش للطوارق واثنا عشر ألفا مع كل احد...»[4].

6- فرقة العبيد :

وتتمثل هذه الفرقة من طبقة العبيد الذين انخرطوا في الجندية ، وكان منهم الضباط والجنود[5] ، الذين لهم دور كبير في جيش سنغاي بالرغم من أنهم كانوا مملوكين ،ولا يتحصلون على حقوق الحرية الذاتية ،لكنهم كانوا دائم في خدمة الدولة وكانوا متساوين ضمن تلك الحدود أمام القانون

---

[1] الهادي مبروك الدالي: التاريخ السياسي ...،مرجع سابق،ص151.

[2] أسماء أحمد الأحمر :مرجع سابق،ص118.

[3] الطوارق :تسميتهم نسبة لطارق بن زياد ،ورأي أخر يعيد أصل تسمية لطرقهم الصحراء والتوغل فيها ،وهم قوم من البربر ينتسبون إلى صنهاجة والتي منها لمتونة ومسوفة وجدالة، يعيشون حياة الترحال في الصحراء ،وهم على ذين الإسلام ، ويطلق عليهم اسم الملثمين .أنظر: عمار مزقلال :مرجع سابق،ص22.ومارمول كربخال: **إفريقيا**،ج3، تر:محمد حجي وآخرون، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر،المغرب،1989،ص130.

[4] السعدي: مصدر سابق،ص109.

[5] الهادي المبروك الدالي: مرجع سابق،ص152.

مع الأحرار، وهذا يعطينى مدى سعي ملوك السودان الغربي في تجسيد معنى العدل والمساواة لكل رعاياها، باختلاف أجناسهم وهذا تجسيدا لمعنى الحقيقي لمبادئ الشريعة الإسلامية، كما كان لهم دور مهم في الخدمة المدنية إلى جانب الخدمة العسكرية ،كما نجد أن هذه الفرقة برغم من عددها الكبير في جيش سنغاي ،لكن لم يرد قط عن محاولة منهم لقلب النظام على مدى تاريخ المملكة، وهذا بفضل شعورهم بالوحدة واندماجهم مع بعض بفضل الإسلام الذي أزال الشعور بفروق بينهم سواء السكان الأصليين أو ما تعلق بالوافدين.

ب- الأسطول:

إلى جانب القوات البرية نجد القوة البحرية ،التي لا تقل أهمية عن القوة البرية ،فقد تمتعت مملكة سنغاي بأسطول نهري قوي منذ زمن سني علي[1]، الذي يعتبر أول من وضع النواة الأولى لهذا الأسطول، حيث قام بصناعة السفن واستخدمها في حصار مدينة جني، بما يقارب أربعمائة قارب[2]،وأشار محمود كعت لذلك بقوله: «...وحصرهم بأربعماية [أربعمائة] سفن لئلا يخرج خارج ولا يدخل داخل...»[3].

وبعد وصول الأسكيا محمد الكبير إلى الحكم سعى للعمل على دعم هذا الأسطول وتقويته من أجل تشكيل قوة بحرية، من خلال إنشاء أسطول من سفن التموين[4]، تجوب نهر النيجر ،جعل مقر قيادتها في كل من مدينتي جاو وتمبكتو ،ثم نشره على مختلف أرجاء إمبراطوريته[5] ،وفي الأغلب أفراده يكونون من الجنود و معظمهم من عامة الشعب ولم يكن لهم دور فعال في الحروب والمواجهات، ومهمة هذا الأسطول تقتصر على نقل المعدات الحربية عبر نهر النيجر وروافده، من

[1] أسماء أحمد الأحمر: مرجع سابق ،ص118.

[2] محمد عطيه الفيتوري:مرجع سابق،ص318.

[3] كعت :مصدر سابق،ص50.

[4] الهادي مبروك الدالي: التاريخ السياسي...،مرجع سابق،ص114.

[5] عبد القادر زبادية: مملكة سنغاي ...،مرجع سابق،ص70.

أجل إيصالها إلى الجيش إضافة إلى حمل الجنود عندما يتنقلون من مكان إلى أخر على أطراف النهر أو حينما يقطعونه[1]، وما تعلق باشتراكهم في المعارك فكان قليلا، وأسلحتهم معظمها من النبال والحراب[2] .

ج- الجهاد والفتوحات:

حمل ملوك السودان الغربي على عاتقهم نشر الرسالة المحمدية ،فلهذا قررو الجهاد الذي يعتبر سمة من سمات الإسلام والتي تزعمها هؤلاء الملوك ،كما عمل الملك سني علي بمجرد توليه مقاليد الحكم، أخد على عاتقه توسيع رقعة بلاده [3]، ونجد كذلك في عهد الأسكيا محمد الكبير لما رجع من رحلة الحج التي قام بها[4]، تحظيره وإعداده لفتح الإمارات الوثنية بغية نشر الإسلام ،وذلك بعد ما توفرت لديه القوة اللازمة من عدة وعتاد من الجيش والسلاح التي تمكنه من تحقيق ذلك ،للدفاع عن دينه ودولته[5].

إن فتوحات الأسكيا محمد في بلاد الهوسا تعتبر من أعظم وأهم إنجازاته التي حققها وذلك بعد ضمه للعديد من مناطقها الحصينة ،الواحدة تلو الأخرى: جوير ،وكانو، وزاريا ، وكاتسينا [6] وبذلك أصبحت مساحة هذه البلاد واسعة امتدت من شرقي النيجر حتى بحيرة تشاد ،إلا أن الأسكيا محمد استطاع أن يخضعها للمملكة ويضمها وذلك نتيجة لضعف الجانب العسكري بها وانشغالهم بالجانب الاقتصادي ،لأنها كانت اقتصادية محضة وليست حربية، وهو ما جعلها تقع فريسة سهلة أمام حملات الأسكيا محمد الكبير، وهذا بعد سقوط إمارات بلاد الهوسا الواحدة تلو

[1] مطير سعد غيث: مرجع سابق ،ص326.

[2] الأحمر احمد أسماء : مرجع سابق،ص119.

[3] الهادي مبروك الدالي: التاريخ السياسي...،مرجع سابق،ص100.

[4] عطية مخزوم الفيتوري: مرجع سابق،ص316.

[5] عبد القادر زبادية: مملكة سنغاي...،مرجع سابق،ص38.

[6] أسماء احمد الأحمر: مرجع سابق،ص94.

الأخرى ومن أهمها ،إمارة جوير باعتبار هذه الأخيرة أقوى إماراتها ،وذلك لأن جل حكام الولايات الأخرى يدينون بالولاء لحاكمها، مع استقلال محدود لكل منها.

وكان لفظ (جوير) يطلق على بلاد الهوسا كلها في معظم الأحيان[1]،التي تقع على مسافة تقدر ب:300 ميل إلى الشرق من مملكة جاو[2]، غير أن هذه الأخيرة لم يستطع الأسكيا محمد تحقيق انتصار نهائيا وحاسما عليها، وذلك يعود لتضاريس، المنطقة الصعبة لاحتوائها على جبال مرتفعة، فاكتفى الأسكيا محمد بفرض الجزية وأخد بعض الرهائن من أفراد الأسرة الحاكمة لخدمته ، وجلب منها بعض من سكانها كأسرى واستخدمهم كعبيد[3].

أما الإمارة الثانية تتمثل في إمارة كاتسينا والتي غزاها الأسكيا عام 919هـ/1513م قتل ملكها وافى سكانها ،ثم أصبح سيد عليها، فقد كانت متاخمة لإمارة كانو من جهة الجنوب الشرقي وتبعد بحوالي مئة وخمسين ميلا عن كاتسينا ،واشتهر سكانها بمزاولة حرفة التجارة ،وكان لها ملكا مستقلا كالإمارات الأخرى، ولكن بعدما فتحها الأسكيا أصبحت تابعة لحكمه، وأعلن نفسه ملكا عليها[4].

وذكر حسن الوزان في حديثه عن ذلك بأن الأسكيا محمد الكبير تمكن من الاستيلاء على كل من إمارتي كاتسينا وزاريا اللتان كانتا تابعتين إلى ملك كانو[5]،حيث يقول: «...لقد جعل من ملك زقزق [زاريا] ومن ملك كاتسينة [كاتسينا] تابعين له... »[6].

[1] أحمد شلبي :مرجع سابق،ص130.

[2] الوزان: مصدر سابق،ج2،ص545.

[3] أسماء أحمد الأحمر: مرجع سابق،ص95.

[4] الوزان: مصدر سابق ، ص173.

[5] سعد مطير غيث: مرجع سابق،ص320.

[6] الوزان: مصدر سابق، ص174.

وتمكن الأسكيا محمد الكبير من الدخول لهاتين الإمارتين بحجة إنقاذهم من ملك كانو، وأجبره بعد حصار طويل على دفع ثلث دخله كل عام ،وعلى الزواج من إحدى بناته، ثم غادر المملكة بعد أن ترك نوابا عليها وجباة لاستيفاء حصته من الضرائب، أما إمارة زنفارة والتي تتاخم زاريا من جهة الشرق فكانت سيطرته عليها مختلفة ،فقد تمت عن طريق دس السم لحاكمها، ثم إبادة قسم كبير من شعبيها، وعلى كل هذا فإن سيطرة جيش سنغاي على إمارات الهوسا لم تكن سيطرة تامة ،بل كانت عبارة عن مد وجزر ،فكانت حملات عسكرية متكررة وغارات مفاجئة ليس إلا [1].

وبعدها دخل الأسكيا محمد في صراع مباشر مع الطوارق، ففي بادئ الأمر تمكن من حرمان الطوارق من مورد اقتصادي هام الذي تمثل في تمبكتو باعتبار هذه الأخيرة مركزا هاما لتجارة القوافل، وبعدها سيطرت سنغاي كذلك على أراضي الزراعية الخصبة لبلاد الهوسا، لذلك بدأ الطوارق بالإغارة على الفلاحين في هذه المناطق ،مما أدى إلى حدوث صراع بين الطرفين، واجه جيش سنغاي مقاومة كبيرة من الطوارق وذلك لاستخدام هذه الأخيرة عملية الكر والفر وذلك لإدراكهم لدروب الصحراء غير ان الأسكيا محمد الكبير تمكن من غزو آير وأغاديس ،وفرضوا على أميرها جباية سنوية تدفع لخزينة الدولة[2].

ومن مظاهر التأثير الحضارة العربية التي يمكن ملاحظتها في مجال النظام الحربي طرق القتال، فقد قلّد ملوك الممالك الإسلامية في السودان الغربي الطرق والأساليب التي كان يستخدمها المسلمون في المشرق ،كفرض الحصار المحكم وتطويق المدن الرئيسية الهامة التابعة للعدو، بغية تضييق الخناق عليه وإجباره على الاستسلام، وكذلك إرسال السرايا الخفية أمام الجيوش سرا، بهدف تقصي الحقائق عن مدى قوة العدو والمسالك المؤدية إلى أرضه ،وذلك من أجل التعرف على إمكانيات العدو.

[1] أسماء أحمد الأحمر:مرجع سابق،ص96.

[2] عبد القادر زبادية :مملكة سنغاي...،مرجع سابق، ص38.

ومجمل القول أن النظام الحربي في مملكة سنغاي الإسلامية وبالأخص في عهد الأسكيا محمد الكبير، قد شهد تطورا ملحوظا، و أصبح لديهم ما يعرف بالجيش النظامي ،بمعنى أن الجيش دخل في نطاق كيان الدولة، بعيدا كل البعد عن النظام القبلي الذي كان مسيطرا على مؤسسات الدولة ،فاستطاع الأسكيا خلال فترة حكمه أن يقيم أركان دولته ويوطد الحكم فيها ،وينشر الأمن والاستقرار في كافة أرجاء البلاد ،وذلك بفضل العناية التي أولاها للجيش باعتباره عماد قوة البلاد وأساسا لوحدتها ،وبفضل هذه القوة استطاع أن ينشر الإسلام في مناطق واسعة من السودان الغربي، وأن يتبنى سياسة الجهاد تأكيدا للروح الإسلامية التي صارت عقيدة أهل مملكة سنغاي[1].

المبحث الثالث: الجانب القضائي

بدت مؤثرات الثقافة العربية الإسلامية واضحة المعالم في مجال القضاء ،بل بالأحرى يشكل ويعتبر النظام القضائي بحد ذاته نظام عربي اسلامي قائم بذاته[2]، فلم يكن القضاء في ممالك السودان الغربي في العصر الوسيط منفصلا عن الذين الاسلامي، بل مثّل احدى أهم مظاهر الثقافة العربية الإسلامية في المنطقة ،وتطور القضاء في شكله البسيط أواخر حكم مملكة غانا

حيث كانت كومبي صالح مركزا للقاضي الوحيد في تلك المناطق.

وبنشوء المدن التجارية كتنبكت وجني وغاو بنيت بها المساجد وكثر بها العرب والفقهاء والعلماء الذين وفدوا من الشمال الافريقي وساهموا في تطوير القضاء نوعا ما في مملكة مالي ووجد القاضي في العاصمة وفي المدن الكبيرة والهامة[3]، وعرف عن حكام السودان الغربي الحرص على إشاعة العدل والأمن وعلى الالتزام بالكتاب والسنة وتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية ،وتناول كل

[1] أسماء أحمد الأحمر: مرجع سابق ،ص ص 119-120.

[2] سعد مطير غيث :مرجع سابق،ص335.

[3] عبد القادر زبادية : مملكة سنغاي...،مرجع سابق،ص67.

من المؤرخين أمثال السعدي[1] وكعت[2] اللذان يشكلان المصادر الأساسية خلال القرن السادس عشر الميلادي ذلك، خاصة ما تعلق بتاريخ مملكة سنغاي في عهد الأسقيين.

لقد كان القضاء يشكل حق من حقوق السلطان ،فالأسكيا بصفته أمير للمؤمنين له السلطة في تعيين القضاة[3]،وظهرت بذلك معالم الحضارة الإسلامية التي تجسدت في شتى المجالات الحياة وأغلب الميادين من ضمنها القضاء[4]،فقد حظيت فئة القضاة بمكانة ودرجة عالية في الدول العربية الإسلامية لكونها كانت تشكل اتصال والتماس مباشر مع ما يواجه المجتمع من مشاكل[5].

1- أنواع القضاء: يتكون من ثلاثة أنواع وتتثمل في كل من :القضاء الإسلامي والقضاء العرفي والقضاء الملكي[6].

أ- القضاء الإسلامي:

هو نوع من القضاء الذي تخضع لأحكامه طوائف المسلمين، وهو مستمد من الشريعة الإسلامية وفق مذهب الإمام مالك السائد في مملكة سنغاي ،ويدرس في جامعاتها ورغبة من الأسكيا إسحاق الثاني في ترسيخ مبادئ الشريعة الإسلامية في المنطقة لمحاربة الفسق والفجور لاسيما ظاهرة الزنا التي أضحت وباءا منتشرا في أوساط المجتمع الراقي بمملكة سنغاي ،فقام بتأسيس محكمة مختصة بالنظر في قضايا الزنا ،ومن أجل القصاص من الفساق والزناة وذلك لما

[1] السعدي: مصدر سابق ،ص ص 23،30.

[2] كعت: مصدر سابق،ص48.

[3] عبد القادر زبادية : مملكة سنغاي...، مرجع سابق ، ص 73.

[4] محمد فاضل علي باري وسعيد ابراهيم كريديه :مرجع سابق،ص124.

[5] بشار أكرم الملاح :مرجع سابق،ص225.

[6] لعماري مرزقلال: مرجع سابق، ص68.

يترتب عنها من آثار و أفعال سلبية على المجتمع الإسلامي[1]،وتتنافى مع مبادئ الشريعة الإسلامية وفيها كانت تصدر عقوبات قاسية على المتهمين .

....كما كان القاضي الذي ينظر في هذه القضايا يحكم وفق مبادئ الشريعة الإسلامية الى جانبه قاضي مساعد يعمل على الفصل في القضايا المتعلقة بالأجانب ، وذلك لأن معظم المدن التجارية عامرة بالكثير من التجار والعلماء والطلاب الوافدين من الشمال الإفريقي الذين استوطنوا واستقروا بالمنطقة.

ب- القضاء العرفي :

هذا النوع من القضاء يختص بغير المسلمين في المملكة[2]،وحتى في بعض المدن الإسلامية الكبرى ،لأن الناس كانوا وقتها يتقاضون في كنف الأسرة أو القبيلة أو على يد رئيس المجموعة العرقية ،يتم تسوية خلافاتهم ويحلون مشاكلهم فيما بينهم[3].

ج- القضاء الملكي :

هذا النوع نجد فيه: أنه كان المجلس الملكي في غاو ينعقد على شكل محكمة سياسية تهتم بالنظر في القضايا الإجرامية وقضايا التي تتعلق بأمن الدولة والمتآمرين على السلطان من الأمراء وشركائهم ، والملك في هذه الحالة يصبح هو القاضي ويتولى هذه المهمة[4] ،فيحكم بما يراه مناسبا

[1] بشار أكرم الملاح: مرجع سابق،ص227.

[2] ألفاجالو محمد: **الحياة العلمية في دولة صنغاي خلال الفترة 842-1000هـ/1464-1591م**، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستر في الحضارة والنظم الإسلامية ،كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ،جامعة أم القرى ،السعودية ،1993، ص68.

[3] مرزقلال لعماري: مرجع سابق،ص68.

[4] أسماء أحمد الأحمر :مرجع سابق،ص111.

وما يروق له، وأيضا بما يشير عليه مستشاروه ،وهنا غالب ما تكون الأحكام صارمة وقاسية وذلك لطبيعة القضية المرتكبة[1].

2- شروط تولي القضاء :

من الأساسيات التي تعتمد وتشترط على القاضي ،وكانت لا تتم إلا إذا توفرت في الشخص المراد تعيينه واختياره لهذا المنصب مجموعة شروط: أن كونه لا يخاف في الله لومة لائم ، وأن يكون دقيق الفهم صافي الذهن ،وله باع كبير بالفقه وعلوم الشريعة ،قوي الشخصية يملك هيبة ، ويخضع لأوامره كل من الملوك والسلاطين، وكذلك من شروط تعيين القاضي تحلي هذا الأخير بصفات من أهمها النزاهة لما لهذا المنصب من إحقاق للحق بين الناس وأن يتمسك بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأن ينصف المظلوم ويقيم حدود شرع الله[2] و يحاول بكل جهده إقامة العدل ،ولم يشترط العلم في بادئ الأمر كشرط للحصول على منصب القاضي[3].

فكان معظم القضاة من العرب ، ثم بازدهار الحياة العلمية على عهد الأسقيين، كثر المثقفون الذين درسوا في مختلف حواضر العالم الإسلامي خاصة فاس و القاهرة ...، اشتغل قسم منهم بالقضاء والخطابة والإمامة والتعليم.....إلخ، وكل هذه الصفات التي سبق التطرق إليها سواء النزاهة والتدين وغزارة العلم كان يتميز بها في أغلب الأحيان الفقهاء والقضاة العرب الذين هاجروا و استقروا بالمنطقة، وكذلك السودانيين الذين تتلمذوا على أيديهم[4].

[1] مرزقلال لعماري :مرجع سابق،ص69.

[2] بشار أكرم الملاح:مرجع سابق،ص225.

[3] لعماري مرزقلال :مرجع سابق،ص69.

[4] سعد مطير غيث :مرجع سابق،ص335.

لقد كان منصب القاضي مهنة صعبة يرفضها كثيرا أهل التقوى والورع، لخوفهم من إصدار الحكم الغير منصف والجائر دون قصدهم وبذلك ينالهم العقاب الرباني واعتبروه كارثة عليهم[1] لما فيه من مسؤولية إحقاق الحق بين الناس[2].

وكان تعيين القضاة من طرف الملك ومن حقه[3]، خصوصا في مملكة سنغاي على أيام الأسقيين ،فكان يتم تنصيبهم بدون إرادة منهم، ويجبرون على ذلك ،وخير مثال على هذا ما حدث مع الفقيه محمود بن أبي بكر بغيغ حينما فرض عليه تولي القضاء من طرف الأسكيا إسحاق ،على الرغم من أنه رفض ذلك رفضا قاطعا، كما أن أهله كذلك لم يوافقوا على المنصب ،وقالت زوجته لو قتلوك أفضل من تولي هذا الأمر ، غير أن الفقيه محمود بن أبي بكر أخد على حين غرة وألبسوه قميص السلطان أسكيا إسحاق وعمموه وهو يبكي بكاء الصبي وأخد على فرس ونقل إلى داره، ولكن من شدة رفضه لهذا المنصب دعا على السلطان أسكيا إسحاق بقوله : إسحاق نفي عن عيني الكرى وألزمني السهر ، كدر الله عليه عيشه ، وأنزل عليه ما يشغله [4] .

فهنا نلاحظ ان المسؤولية الكبيرة التي تقع على عاتق القاضي جعلتهم يتهربون من تولي منصب القضاء ولايقبلونه إلا بعد إلحاح شديد[5] .

وعليه يمكن القول بأنه كان من عادة ملوك السودان الغربي أن يعينوا قضاة وفقهاء متخصصين في الشؤون الإسلامية ، يكرمونهم وينزلونهم منزلة التقدير و الاحترام و يحرصون على أن يتم تعيين القضاة من المنطقة والمدن السودانية، وفي ذلك ذكر كعت في كتابه واصفا الأسكيا

[1] الهادي مبروك الدالي: التاريخ السياسي...،مرجع سابق،ص134.

[2] عبد القادر زبادية: مملكة سنغاي....،مرجع سابق،ص74.

[3] محمد عطيه الفيتوري :مرجع سابق،ص 319.

[4] الهادي مبروك الدالي: مرجع سابق،ص134.

[5] عبد القادر زبادية: مرجع سابق،ص74.

محمد الكبير بقوله :«....جدد الذين وأقام القضاة والأئمة جازاه الله عن الإسلام خيرا ونصب في تنبكت قاضيا وفي بلدة جني قاضيا وفي كل بلد يستحق القاضي من بلاده قاضيا....»[1].

3- مهام القاضي:

كان القضاة في السودان الغربي خصوصا في مملكة سنغاي على أيام الأسقيين ، يتم تعيينهم من طرف الملك على مدى الحياة ، وفي مثل هذه الحالة يكونوا تابعين للسلطة المدنية ، ورغم ذلك فإنهم مستقلون على هذه الأخيرة أو حتى عن تدخل خارجي ،واستمدوا أحكامهم من الشريعة الإسلامية[2]، والطرق التي اعتمدها نظام القضائي خلال تطور في الدول العربية الإسلامية ،قد فتح الباب والمجال ونوّر الطريق للقضاة في منطقة السودان الغربي أو بالأحرى النظام القضائي بمجمله[3] ،ولهذا المنصب مكانة مرموقة ويأتي في المرتبة الثانية بعد السلطان[4]،نظرا للمهمة الصعبة التي يشغلونها ومن المهام المنوطين بهم:

لقد تحدث عن ذلك محمد بن محمد بن الحسن ،بقوله :«....ومن مهام القاضي الفصل بين الأمور التي تتصل بحياة الناس اليومية ،فيحكم في الخلافات الشخصية ، من طلاق و زواج و إرث وديون وقروض ، وتجارة وعقارات ومشاكلها... »[5]، وخير ما يذل على ذلك أنه قد كان سكان مدينة سنغاي يقصدون القاضي في كل أمورهم لأنهم يعتبرونه الشخص الأنسب لحل مشاكلهم ، وكان بمثابة همزة وصل بين السكان والسلطة ، لذلك كان من الضروري أن يكون الى جانب

[1] كعت محمود :مصدر سابق،ص59.

[2] عبد القادر زبادية: مملكة سنغاي...،مرجع سابق،ص74.

[3] بشار أكرم الملاح: مرجع سابق،ص226.

[4] سعد مطير غيث :مرجع سابق ،ص 336.

[5] الهادي مبروك الدالي: التاريخ السياسي....،مرجع سابق،ص136.

القاضي مساعدين كثر يعينونه في مهمته ليتسنى له إرسالهم إلى السلطة ليتم الاتصال بهم من أجل إيصال رغبة السكان[1].

ومن المهام المنوطة بالقاضي كذلك الاشراف على شؤون المدينة الأخلاقية ، وكذا على أموال اليتيامى لحين الرشد، وأموال الغرباء الذين يموتون حتى يحضر وكيلهم أو وريثهم الشرعي وسمي بأبو المساكين والمستضعفين[2]، ويضيف القاضي كعت قائلا :«....فأسكيا داوود كان يرسل للقاضي العاقب بن محمود كل عام أربعة ألاف صنية ليقسمها على مساكين تنبكت....»[3]

وكان يختص بالإشراف على التعليم، وتعيين المدرسين وإحصاء طلاب العلم، ومساعدة المحتاجين منهم، بالإضافة إلى بناء المساجد من أجل الصلاة والدراسة ،وتلقي المساعدات من الملك وأهل الإحسان، وكانت الأوقاف تشكل أهم مصادر احتياجات القاضي ويتولى الإشراف على تقسيم وتوزيع تلك الأموال وتسييرها ويساعده في ذلك معاونون يشرفون عليها .

ومن المهام الموكلة للقاضي كذلك تعيين الموظفين الدينيين من أئمة المساجد والعدول والأعوان ، وكان القضاة مستقلين إلى حد بعيد في أحكامهم طوال عهد الأساكي ، وقد فصلوا في القضايا التي لها صفة أخلاقية كالقضايا الشرعية من عقار وإرث وديون والزواج[4].

أما الجنايات التي يحكم فيها بالإعدام فكانت تعرض في البداية على القاضي ثم يوكل أمر تنفيذها إلى للأسكيا في حد ذاته ،وهي احكام مستمدة من الشريعة الإسلامية، وعلى ضوء

[1] عبد القادر زبادية: مملكة سنغاي ...،مرجع سابق، ص ص 76،75.

[2] سعد مطير غيث: مرجع سابق ،ص337.

[3] كعت :مصدر سابق،ص115.

[4] محمد عطية الفيتوري :مرجع سابق،.ص319.

مذهب الإمام مالك بن أنس الذي كان سائدا ببلاد السودان الغربي خاصة على أيام مملكة سنغاي[1]

كما اختص القاضي بالنظر في القضايا الإجرامية التي تتعلق بالأمن العام والإستقر أو المساس بالسلطة، فهنا يتدخل السلطان للنظر في القضية والحكم فيها ،والأحكام التي يصدرها الملك صارمة[2]،فيحكم بالقتل[3] والنفي والإهانة أما القاضي فكانت أقصى عقاب لديه هو الجلد والسجن، فمن خلال الصلاحيات المخولة له جعلت منه عنصرا فعالا ومؤثرا اجتماعيا وله القدرة على تغيير الوضعية التشريعية المحلية[4]،وأشار لذلك محمد المغيلي، بقوله:«...ولكن إذ كان في الورثة كبيرا استولى على جميع التركة وقال هذا مال إخوتي وأنا بمنزلة أبيهم اليوم... يتصرف فيه كيف شاء من غير إيماء ولا تقديم... »[5] .

والصلاحيات التي حظي بها القاضي كانت تتيح له الفرصة لنشر العقيدة الإسلامية في بلاد السودان الغربي ،وكانت صلاحيات منصب القضاة تختلف من مدينة لأخرى، فقاضي تنبكت له صلاحيات أكثر من غيره من قضاة المناطق الأخرى[6]، في إقالة أي قاض ،دون العودة إلى الملك ، إذا رأى منه ما يدعو لعزله وهذا يجعل قاضي تنبكت مميزا عن باقي قضاة المدن الأخرى[7].

أما عن الأماكن التي كان يستعملها القضاة لإصدار أحكامهم فكانت المساجد[8]، وفي بعض الأحيان تحت الأشجار[1]،وفي حالة غياب القاضي عن البلد ، للسفر إلى الأراضي المقدسة أو

[1] أسماء أحمد الأحمر: مرجع سابق،ص113.

[2] عبد القادر زبادية: مملكة سنغاي...،مرجع سابق،ص75.

[3] السعدي: مصدر سابق،ص84.

[4] سعد مطير غيث: مرجع سابق، ص ص 337،338.

[5] عبد الكريم المغيلي: أسئلة الأسقيا...،مصدر سابق، ص ص57 ،58.

[6] محمد غربي: مرجع سابق ، ص185.

[7] الأحمر أحمد أسماء :مرجع سابق،ص114.

[8] محمد ألفاجو: مرجع سابق،ص68.

الدراسة أو نحوها، فإنه يستخلف قاضيا مكانه يختاره[2] ، ويكون محلا لثقته ليخلفه لهذه المهنة البالغة الصعوبة، ومثال على ذلك ما قام به القاضي محمود بن عمر أقيت ، لما قام برحلته المشرقية عام 915[3]هـ/1509م جعلى نائبا له في شخص وهو الفقيه القاضي عبد الرحمن بن الحاج[4].

وكان القضاة يتمتعون بمكانة سامية لما اتصفوا به من الاستقامة والإخلاص في القيام بواجباتهم بأمانة وصدق ،فهذا أكسبهم احترام السلطة الحاكمة[5] ،وحب العامة وتقديرهم ،وذلك لما كانوا يقدمونه للدولة من عوامل استقرار لمشاركتهم في حفظ الأمن[6]،ومن سمو مكانته كذلك أن الملك لم يكن يصافح أحدا في مملكته إلا قاضيا[7]، وما دل على مكانة القاضي واحترامه في مملكة سنغاي أن قسم الولاء الذي كان يقسمه الأسكيا الجديد الذي سينصب حاكما يجري أمام القاضي والعلماء ،وكان القاضي في مقدمة من يحضرون جلسات الملك ،كما حرص ملوك السودان الغربي على تقريب القضاة وكسب ودهم في كل وقت، وكانوا يرافقونهم في تنقلاتهم وأسفارهم داخل أقاليم البلاد بل وحتى في المدينة الواحدة[8].

ويذكر القاضي كعت ،بقوله: «... ليس فيها حكم متولى الشرع ولا سلطان فيها والقاضي هو السلطان وبيده الحل والربط وحده...»[9]، وفيما يتعلق بدخل القضاة فهناك شواهد كثيرة تدل

---

[1] السعدي: مصدر سابق،ص57.

[2] الهادي مبروك الدالي: التاريخ السياسي...،مرجع سابق،ص138.

[3] أحمد بابا التنبكتي: **نيل الإبتهاج بتطريز الديباج** ، تق: عبد الحميد عبد الله ،ج1،منشورات كلية الدعوة الإسلامية ، طرابلس، ليبيا ،ط1 ،1989،ص 607.

[4] السعدي: مصدر سابق ،ص ص 57،58.

[5] مارمول كربخال :مصدر سابق،ج3 ،ص203.

[6] أسماء أحمد الأحمر: مرجع سابق،ص113.

[7] كعت: مصدر سابق،ص35.

[8] أسماء أحمد الأحمر: مرجع سابق،ص113.

[9] كعت: مصدر سابق،ص179.

على مدى رخاء عيشهم كما هي الحال في المغرب[1] ، فيدفعها الملك من خزينة المملكة ،وهي رواتب محترمة ،وكانت تدفع أحيانا من أموال الأوقاف، وكان بيت القاضي يحوي أثاثا فاخرا مادل على رخاء عيشهم[2].

4- أشهر القضاة :

نعطي هنا بعض نماذج لهؤلاء القضاة ،الذين تولوا هذه المهنة ومنهم نجد :

يعتبر من اول الفقهاء الذين تولوا منصب القضاء في تنبكت[3]، القاضي محمود عمر، الذي تولى هذا المنصب في الفترة ما بين عامي(904-955هـ/1498-1547م) حتى تاريخ وفاته[4]، اشتهر بعلمه وصلاحه في البلاد[5]،وبعده تولى نجله الفقيه محمد بن محمود (909-973هـ /1503-1565م) تولى منصب القاضي من 955هـ/1547م واستمر فيه حتى وفاته عام 973هـ /1565م ،وبعده تولى المنصب أخاه الفقيه العاقب بن محمود وذلك من عام 911هـ /1583 م ، ثم جاء بعده شقيقه القاضي عمر بن محمود أقيت، وظل فيه حتى عزل سنة 1003هـ /1594 م[6] .

كذلك من بين القضاة في بلاد السودان الغربي إضافة لما سبق ذكرهم القاضي محمد بن أحمد بن عبد الرحمن وهو من أسرة آل الحاج الشهيرة في المنطقة ،وتم تعيينه في منصب تنبكت عام 1003هـ/1594م ،من قبل الباشا المغربي محمود بن زرقون ،وذلك بعد ما قام بعزل القاضي

---

[1] محمد حجي: **الحركة الفكرية في المغرب في عهد السعديين**،ج2، دار المغربية للتأليف والترجمة والنشر،المغرب،1976، ص633.

[2] الهادي مبروك الدالي: التاريخ السياسي...،مرجع سابق،ص138.

[3] مطير سعد غيث: مرجع سابق، ص ص345،343.

[4] التنبكتي: نيل الإبتهاج ...،مصدر سابق،ج1،ص608.

[5] السعدي: مصدر سابق،ص38.

[6] محمد حجي: مرجع سابق، ص635.

عمر بن أقيت[1]واستمر في المنصب حتى وفاته. وعليه يمكن الاستنتاج بأن منصب القاضي أو بالأحرى النظام القضائي ظل موجود في شكله كمظهر إسلامي محظى[2].

لقد استطاع الملوك من خلال اعتمادهم على الشريعة الإسلامية كأساس لحكمهم أن يحققوا نوعا من التوازن بين الدين ومؤسسات الدولة خاصة فيما يتعلق بمؤسسة القضاء ،وذلك ما قام به الأسكيا محمد الكبير فمنذ توليه الحكم حرص أن يكون مستشاروه من الفقهاء والقضاة والعلماء ،وبفضل ذلك استطاع أن يقيما نظاما قضائيا قويا وفق الشريعة الإسلامية ومبادئها، وبفضل الدعم والصلاحيات الذي قدمها الأساكي أمكن تأسيس نظام قضائي فريد من نوعه في سنغاي ،فعمّ في ربوعها الأمن والطمأنينة وشهدت البلاد الاستقرار، أدى ذلك بدوره إلى ازدهار كافة المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لبلاد السودان الغربي[3].

ومن خلال ما سبق التطرق إليه، نجد أن التأثير العربي الإسلامي قد ساعد على تطور مملكة سنغاي ،خاصة على عهد الأسكيا محمد الكبير ،وخلق هذا التأثير العربي الإسلامي مزيجا يجمع بين التراث الإفريقي المحلي و التراث العربي الإسلامي الوافد للمنطقة [4]،تجلى واضحا في النظام السياسي و الإداري و القضائي، والحربي بالإضافة إلى باقي الميادين[5].

[1] كعت :مصدر سابق،ص182.

[2] أحمد أسماء الأحمر: مرجع سابق، ص ص114،115.

[3] سعد مطير غيث: مرجع سابق، ص ص345،348.

[4] محمد حجي: الحركة الفكرية...،مرجع سابق،ص635.

[5] أسماء أحمد الأحمر: مرجع سابق،ص120.

لم تقتصر المؤثرات العربية الإسلامية على الوضع السياسي فحسب بل تعدته إلى الحياة الاقتصادية والاجتماعية ،ويعود ذلك منذ بداية الوفود العربي للمنطقة والاتصال هذه الأخيرة بالحضارة العربية الإسلامية واتضح ذلك في كل من:

المبحث الأول: الجانب الاقتصادي:

اجتاحت مؤثرات الثقافة العربية الاسلامية على الحياة الاقتصادية في بلاد السودان الغربي، بصورة رئيسية من الشمال الإفريقي ،وعمل على تسهيل وتقدمها وتوسع رقعتها في تلك الأصقاع وارتفع بذلك النشاط التجاري[1]، الذي كان قائما بين شمال القارة وغربها، وبهذا اتضح الدور البارز لهؤلاء التجار[2]،الذي تجلى في فتح المراكز التجارية في الأماكن التي يرتادونها، وتوثيق علاقاتهم الاقتصادية مع الوطنيين الأفارقة، فلقوا ترحيبا كبيرا منهم وذلك لما اتصفوا به من أمانة وصدق في تعاملاتهم وتصرفاتهم ،وقد بلغ أثر الحضارة العربية الإسلامية على اقتصاد منطقة السودان الغربي ،من خلال تشجيع الفلاحة وتربية المواشي ،وذلك ما كان له الأثر البالغ في الإقلاع عن تربية الخنازير وأكلها ولحوم البشر[3].

لقد ساهم التواجد العربي بالمنطقة في وضع أسس ومفاهيم اقتصادية دخيلة لم تكن قد عرفت قبل لدى أهالي هذه المنطقة، مما أدى إلى احداث تغييرات جدرية على الأسس البنيوية للاقتصاد السوداني ،وساهمت في تطويره ونموه[4] وشمل ذلك نظم المعاملات التجارية كالمقايضة، والعملات، والمقاييس والمكاييل والأوزان والزراعة والثروة الحيوانية، بالإضافة إلى الصناعات والحرف ، مما أحدث تغييرات في التركيبة الاقتصادية، وتمثل ذلك في:

[1] سعد مطير غيث: مرجع سابق،ص349،350.

[2] ابن خلدون: العبر...،مصدر سابق،ج6،ص267.

[3] خير الذين شترة :مرجع سابق،ج2،ص291.

[4] غربي محمد: مرجع سابق،ص427.

1- أساليب التعامل التجاري ونظمه:

تعتبر من أهم المجالات التي تأثرت بالعرب المسلمين ،بحيث حظيت الحياة التجارية في المنطقة بازدهار وذلك يعود اتصالها بالحضارة العربية الإسلامية ، نتيجة توافد التجار العرب المسلمين إليها ،من كل من مصر ،وغدامس ،وفاس، وتوات...وغيرها[1] ،وقد عرفت بلاد السودان الغربي نظم معاملات تجارية عديدة كان من أبرزها:

أ- المقايضة:

وتعرف كذلك بالتجارة الصامتة[2] أو الخرساء وهي إحدى أهم الوسائل التي تعامل بها تجار السودان الغربي، وكانت من أولى نظم التعامل التجاري للمنطقة، التي كانت تتم بين أهالي السودان الغربي وتجار الشمال الإفريقي منذ القدم، وذلك بسبب قلة العملة وضعف استخدامها[3] ،حيث كانت تعتمد على التفاهم بين الطرفين وذلك من خلال ما يقومون بعرضه من سلع وبضائع[4] .

حيث كان المواطن السوداني يعرض الذهب كسلعة رئيسية إلى جانب بعض السلع الأخرى كالتوابل وريش النعام في حين يعرض التجار الوافدون الملح مع منتجات أخرى ثم يختفي الطرفان ،على أن لا تتم المواجهة بينهما بل تقتصر على عرض كليهما لسلعته وينسحب ،ولهذا أطلق

[1] عصمت دندش عبد اللطيف: مرجع سابق،ص48.أنظر:السعدي:مصدر سابق،ص21.

[2] هي التعامل والمساومة بين أقوام لا يعرف احدهم لغة الأخر ،حيث يحرص احدهم على سر منابع ثروته خوفا من النهب والسطو .أنظر: شوقي عبد القوي عثمان: **التجارة بين مصر وإفريقيا في عصر المماليك** ،المجلس الأعلى للثقافة ،مصر، 2000،ص59.القزويني:مصدر سابق،ص19.

[3] مبروك مقدم :مرجع سابق،ص219.

[4] سعد مطير غيث: مرجع سابق،ص351.أنظر: القلقشندي: مصدر سابق،ج5،ص280.

عليها المقايضة[1]، فإذا أخذ التجار الذهب ،فهو يعني أن المعاملة تمت ،وبذلك يأخذ السودانيين الملح أو السلع الأخرى ،وهناك نوع أخر من المقايضة يتم بحضور الطرفين وهو ما عرفته مدينة تنبكتو، فكان تجارها يقايضون الذهب بالملح لكثرته عندهم وعدم استخدامه في ضرب العملة[2].

ب- العملات:

بارتفاع نشاط الحركة التجارية وتضاعف حجمها ،تأثرت منطقة السودان الغربي بمظاهر الحضارة العربية الإسلامية، وظهر في الأفق ما يعرف بالتعامل النقدي ،ويعود ذلك لثبات قيمته ، وعلى هذا الأساس ظهر نظام العملات ،مثل: النقود الذهبية التي عرفت ببلاد السودان الغربي، منذ زمن مبكر من تاريخها ،وأشار لذلك مجموعة من الرحالة والمؤرخين حيث يشير المؤرخ الوزان الذي شهد أثناء مروره بسنغاي أن الناس يتعاملون بالذهب دون سكه، بقوله: «... والعملة الرائجة عند هؤلاء السودانيين هي الذهب غير المسكوك...»، كما وصف الكميات الهائلة من النقود والسبائك الذهبية المتوفرة في المنطقة لدرجة أن أهالي المنطقة ،أحيانا يتداولون الذهب الخالص عوضا عن العملات المسكوكة[3]، بقوله:«...ويملك الملك خزينة كبيرة من النقود والسبائك الذهبية...تستعمل قطع الذهب الخالص بدلا من العملة المسكوكة...»[4] وأضاف الرحالة البكري، بقوله: «... ودنانيرهم تسمى الصلع لأنها ذهب محض غير مختومة... »[5].

من بين العملات النقدية التي وفدت للمنطقة والتي كانت واسعة الاستعمال في التجارة نجد:

- **عملة نحاسية حمراء:** قيمتها منخفضة، 400 قطعة منها لا تساوي سوى دوخة واحدة.

---

[1] الهادي المبروك الدالي: التاريخ السياسي...،مرجع سابق،ص339.

[2] Oskar Lenz: **Tombouctou Voyage au Maroc au Sahara et au soudan**, tra: pierre Lehautcourt, librairie Hachbtb et Gie, paris, 1928, .p115.

[3] سعد مطير غيث :مرجع سابق،ص353.

[4] الوزان :مصدر سابق،ج2،ص ص 163، 167.

[5] البكري: المغرب...، مصدر سابق،ص181.

– **الكوري:** المستوردة من الهند أو فارس، غير أن قيمتها منخفضة تساوي 0.75 فرنكا.

– **الدوخة:** وهي نوعان ذهبية وفضية.

– **الدراخمة:** وهي عملة مستوردة من الخارج من قبل التجار.

– **المثقال الذهبي:** قيمته 4.25 غرام ذهب.

– **الدينار:** وقيمته 40 درهما، وينتشر في بلدان المغرب.

– **المحبوب:** عملة ذهبية منتشرة في بلاد المغرب.

– **القائمة:** عملة نحاسية .

– **البينيتو:** عملة أجنبية مستوردة من الخارج.

– **الدورو الفضي:** المستعمل ببلاد المغرب[1].

ج– المقاييس والمكاييل والأوزان:

فقد انتقلت إلى بلاد السودان الغربي العديد من المقاييس والمكاييل والأوزان التي عرفتها المنطقة العربية الإسلامية وقد وأدى ذلك إلى وحدة المعايير السودانية وخضوعها للدقة المطلوبة[2] و تمتلث في ما يلي:

[1] يحي بوعزيز: مرجع سابق، ص ص 145، 146.

[2] محمد غربي: مرجع سابق،ص428.

1- المقاييس:

وقد ورد ذكرها في المصادر الإفريقية ،كانت شائعة الاستعمال لدى العديد من المؤرخين ، ومثال ذلك: محمود كعت، وعبد الرحمان السعدي، وأحمد بابا التنبكتي[1]،لكن لم يسبق أن تم تحديد مقاديرها سوى ماقام به موني Mauny ،وأهمها فيما يتعلق بالمقاييس نجد :

– **الشبر**: وهو يساوي الامتداد بين الخنصر والإبهام ،حين تكون الكف مفتوحة ، وقد قدره موني ب: 21.5سم تقريبا.

– **الذراع**: وهو الامتداد ما بين نهاية المرفق ونهاية الأصبع الوسطى للرجل، حوالي 50 سم.

– **الميل**: ويستعمل في قياس المسافات بصورة خاصة ، وقد قدره موني أيضا ب: 1920 متر

– **الخطوة**: المسافة ما بين الرجل اليمنى واليسرى عندما يخطو الرجل وتعادل 1 متر.

– **الحبل**: لقياس الأرض كذلك وطوله عشرة أمتار.

– **القامة**: وهي طول الرجل المتوسط وتساوي عادة 1.70 سنتمتر.

– **القدم**: لقياس الأرض وتحسب قدما بعد أخرى ويستعمل بكثرة لمعرفة وقت الزوال

– **الفرسخ**: يستعمل في قياس المسافات الطويلة ،وكان يساوي ثلاثة أميال[2].

– **البريد**: ساعة واحدة بالسير المتوسط بالحصان[3].

[1] سعد مطير غيث:مرجع سابق،ص355.

[2] عبد القادر زبادية: الحضارة العربية ...،مرجع سابق ،ص53.

[3] علي جمعة :**المكاييل والموازين الشرعية** ،القدس للنشر والتوزيع، مصر، ط 1،2001،ص97.

2- المكاييل:

أما في ما يتعلق بالمكاييل تستعمل وتشتمل كل من:

- **المد:** الذي قدر بحفنة اليد، ،ويستعمل في كيل المواد الجافة كالحبوب والتمور.

- **الصاع:** وهو يساوي أربعة أضعاف المد أي يعادل ثلاثة لترات تقريبا.

-**القنطار:** وقد قدر في دائرة المعارف الإسلامية بمائة رطل تقريبا[1].

- **المودي:** وهو يعادل ما يحمله العبد أو الرجل من حبوب أو غيرها في كيس كان يتخذ من الجلد[2].

3- الموازين:

فكان من أهمها التي استعملت نجد :

- **المثقال:** كان يساوي وزن 72من حبات القمح ،المتوسطة الحجم، وكان يساوي أربعين درهما.

- **الدينار:** يساوي أربعين درهما.

- **الدرهم:** وكان يساوي أربعة أعشار الدينار، وبعضهم يرى أنه كان يساوي ، سبعة أعشار الدينار[3].

[1] باقر محمد جعفر الكرباسي: **النقود والمكاييل والأوزان في المعجمات العربية، مجلة دراسات الكوفة**،العراق، ع6، 2000،ص177

[2] كعت: مصدر سابق،ص249.

[3] باقر محمد جعفر الكرباسي: مرجع سابق،ص177.

– **الأوقية:** أشار موني أنها تساوي تقريبا حوالي 27.5غ ، وكانت من أشهر الموازين التي كانت سائدة في الجزيرة العربية[1].

وعلى إثر ذلك نستخلص أن منطقة السودان الغربي شهدت تطورا ملحوظا وازدهار وذلك لتعدد الأساليب التجارية ووصلت إلى مكانة ومستوى لبأس به، وهذا نتاج للمهارة التي ظهرت في ممارسة العمليات التجارية ،وبذلك تم القضاء والتخلي على ما سبقهم من تقاليد تجارية كانت سائدة من قبل والمتمثلة في التجارة الصامتة، والمقايضة ..الخ، وطبقوا النظم الحضارية في التعامل التجاري التي استمدوها من التأثيرات العربية[2]،وتغيرت الى أن أصبح التعامل بالنقود الذهبية والفضية والنحاسية ،كما استعانوا ببعض البضائع التي لها قوة النقد، مثل الودع إلى جانب ذلك، كما انتقلت بعض المرادفات والمصطلحات العربية والتي تعلقت ب:المقاييس والمكاييل والموازين بأسمائها العربية إلى اللغات الإفريقية المحلية[3].

2– الزراعة والثروة الحيوانية:

لعبت العقيدة الإسلامية التي اعتنقها أهالي السودان الغربي دورا كبيرا في تشجيع العمل الزراعي وتربية الماشية وصيد الأسماك، والتي كانت تعتمد في السابق على العيش على ما يتم صيده أو اقتطافه يتغدون عليه ،كما قام الإسلام بتحريم تربية الخنازير واكلها ،وذلك ما جاء في القرآن الكريم، في قوله تعالى:{ قُلْ لا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقاً أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}[4] .

[1] علي جمعة: مرجع سابق،ص20.

[2] سعد مطير غيث: مرجع سابق،ص357.

[3] عبد القادر زبادية: مملكة سنغاي ...،مرجع سابق،ص201.

[4] سورة الأنعام،الأية145.

وحث الإسلام على زيادة من تربية المواشي والأنعام ،لكون هذه الأخيرة لها أهميتها الاقتصادية حيث كانت لهم خير معين ،ولها الفضل في إقلاعهم عن عادة أكل لحوم البشر التي كانت سائدة ببعض المناطق ، فبانتشار المقومات الإسلامية بالمنطقة، من مودة وإخاء وتسامح جعل بلاد السودان الغربي، تتخلص من النزاعات القبلية والصراعات العشائرية، فساهمت في اطمئنان الأهالي واستقرارهم مما جعلهم يتوجهون الى ممارسة الزراعة وتربية الحيوانات، وشمل ذلك :

أ- الزراعة:

تشكل الزراعة إحدى أهم دعائم الاقتصاد غير أنها لم تحظى باهتمام كبير ولم تولى رعاية كبيرة ، وذلك نتيجة لولع أهل المنطقة بالتجارة ،فلم تظهر طرق جديدة للزراعة ولا لأساليب الري ، خاصة أمام نقص الوسائل الفلاحية ،فلم تحظى الزراعة بانتشار كبير خاصة في المناطق الحارة[1] ،ولم تعرف هناك طبقة من الفلاحين سواء على هيئة أقنان مرتبطين بالأرض ،أو رجال أحرار لفلاحتها ، ولم توجد أسواق لبيع المنتجات الزراعية، وعليه لم تكن الزراعة هامة ، ومع دخول الإسلام إلى المنطقة واعتناق السكان العقيدة الإسلامية لعبت دورا كبيرا وأثرا عميقا في تشجيع العمل الزراعي ،ما شجع الناس على الاتجاه للعمل الزراعي ليكسبوا ما يسد رمقهم[2].

نجد من أهم المزروعات [3] :

[1] عبد الحميد جنيدي :**مدينة تنبكت ودورها الحضاري خلال القرن 10هـ/16م**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ تخصص دراسات افريقية ،جامعة الجزائر(يوسف بن خدة)، الجزائر،2009،ص45.

[2] سعد مطير غيث: مرجع سابق،ص357، 358.

[3] أنظر: الملحق رقم6، ص ص 173،174.

– القمح:

أدخله المغاربة إلى السودان الغربي وزرعوه بالقرب من تنبكتو، ثم نقله بعض المزارعين إلى أرباض ديبني وضيعات غاو[1] ،و كان أغلبه يستهلك من طرف الأغنياء[2]، أما بقية السكان فلا يقدرون على اقتنائه فكانوا يعوضون مادة القمح بالذرة[3] .

– الفوني:

هو نبات سوداني يشبه الخرطال، وكان يزرع في مملكة سنغاي على أيام الأسقيين ، ويصنع منه مشروبات منعشة في شاكلة حساء وكان يستعمل قبل الإسلام في المنطقة أيام الأعياد الدينية الوثنية، لكن بفضل انتشار الإسلام قلت زراعته، وأبطل المغاربة زراعته[4].

– القطن:

جلبت بذرة القطن إلى السودان الغربي من شمال إفريقية ،وكان بعض الناس يقومون بغزله ، واختص أخرون في نسجه [5]،وكان يزرع بالمناطق المحيطة بالنيجر، وزراعته كانت في المناطق الشمالية من بلاد سنغاي كادت تكون معدومة ،واعتنى الفلاحون بزراعته عناية كبيرة ومحصول البلاد منه

---

[1] محمد غربي :مرجع سابق،ص483.

[2] عبد القادر زبادية: مملكة سنغاي...،مرجع سابق،ص174.

[3] ماجدة كريمي: **المغرب في خدمة التطور الاقتصادي للسودان الغربي (من نهاية ق5هـ إلى نهاية ق8هـ/11م إلى نهاية ق14 م نموذجا)** ، **العلاقات المغربية الإفريقية حصيلة وآفاق** ،منشورات الحسن الثاني ،المغرب،ط1، 2012، ص79.أنظر: الشريف لإدريسي:**نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**،ج1، مكتبة الثقافة الدينية ،مصر،1994،ص6 ، العمري :مصدر سابق،ج4،ص45.

[4] محمد غربي :مرجع سابق،ص483.

[5] الأمين عوض الله: **تجارة القوافل بين المغرب والسودان الغربي وآثارها الحضارية حتى نهاية القرن السادس عشر الميلادي**، **تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر** ،معهد البحوث والدراسات العربية ،بغداد ، 1984،ص89.

وفير، والتي توفرت بسبب الظروف المناسبة لزراعته في المناطق الوفيرة بالمياه حول الأنهار وفروعها، وكانت زراعته محدودة على أيام مملكة سنغاي ،واجتهد المغاربة في تجويد أنواعه والاعتناء بنبتته وتربته حتى أصبح من أهم المنتوجات الصناعية[1]، بالإضافة لذلك كانت حاجة سكان السودان الغربي ماسة إلى القطن الذي كان يستخدم في صناعة الملابس ،وخصوصا أن العقيدة الإسلامية التي أضحت عقيدة معظم سكان وأهالي المنطقة والتي شجعت على الاكتساء وستر العورة[2].

– قصب السكر:

أدخله المغاربة وزرعوه في الأماكن المرتفعة الجافة المتوسطية الأمطار وبالقرب من نهر النيجر ، ،وكان يزرع بكثرة في بلاد سنغاي ،ومحصولها منه وفير [3].

– الحناء:

جلبها العرب معهم من المغرب في عهود سابقة ، وكانت تزرع بصورة خاصة في شمال البلاد ومناطق الواحات ،أما الكميات التي كانت تجنى منها كبيرة تكفي احتياجات البلاد ،و كانت من ضمن السلع التي تصدر للخارج خاصة أن تجار ورقلة يجلبونها من السودان الغربي لتصديرها [4]، وازدادت أهميتة استعمالها من طرف السكان في الزينة والعلاج خصوصا بعد قدوم المغاربة.

– الكتان:

زرع في بعض المناطق الغربية ،واتخذ منه حبال للسفن والخيوط الغليظة من أليافه، خاصة في مملكة سنغاي ،والكميات التي تنتجها البلاد منه كانت كبيرة نسبيا.

---

[1] عبد الحميد جنيدي: مدينة تنبكت...، مرجع سابق،ص49.

[2] سعد مطير غيث: مرجع سابق،ص359.

[3] عبد القادر زبادية: مملكة سنغاي ...،مرجع سابق،ص176.

[4] Rozet et Carett ,op.cit ,P 313.

– النخيل:

كان يزرع في الواحات الشمالية ،ولم يكن المحصول من تموره يفي حاجة السكان ،لذا كانت تستورد منه كميات هامة من الخارج خاصة من الواحات المغربية [1]،وتحديد من ورقلة وبسكرة و الواحات الشرقية من الجزائر الحالية ،وتمر ورقلة وسكان السودان الغربي مولعون بتمر ورقلة وذلك لجودته وكان يباع في الأسواق[2]، وأكد على ذلك الإدريسي، بقوله: «...وليس في بلاد السودان شيء من الفواكه إلا ما يجلبه إليها من التمر...أهل وارقلان...»[3]، والتمر دائما من الفواكه المستوردة، حيث كانت التمور تجلبها القوافل التجارية القادمة من الشمال الصحراء خاصة من ورقلة نحو بلاد السودان الغربي، وكانت تصدر بأحمال كبيرة خاصة في عهد مملكة سنغاي على أيام الأسقيين ،وأخدت شهرة كبيرة في أسواق تنبكتو[4].

– الكروم والتين:

تعتبر من أشجار البحر المتوسط التي جرب المغاربة زراعتها في السودان الغربي دون نجاح كبير و كانت أثمانها مرتفعة[5] ،وكانت توجد كميات لابأس بها من أشجارهما في بلاد سنغاي ،في حين أن الكروم[6] كانت تتركز في المناطق القريبة من النيجر في وسط البلاد وشمالها، فالتين يتركز في الشمال أكثر ،ولم تكن تكفي احتياجات البلاد ،لذلك كان كل من الزبيب والتين المجفف من

[1] محمد غربي :مرجع سابق ،ص447،487.

[2] عبد القادر زبادية: مملكة سنغاي ... ،مرجع سابق،ص176.

[3] الإدريسي :مصدر سابق، ج1، ص20.

[4] عبد القادر زبادية: مرجع سابق،ص220.

[5] محمد غربي :مرجع سابق،ص487،488.

[6] الهادي مبروك الدالي :التاريخ السياسي ...،مرجع سابق،ص273.

المواد التي تستورد من الشمال الإفريقي[1]، ونجد أن التين المجفف من بين الفواكه التي كانت تجلبها القوافل التجارية المغربية القادمة من شمال الصحراء، الذي كان لديه قيمة استهلاكية كبيرة جدا.

– الحمضيات:

جلبت أغراسها من المغرب وأعطت ثمارا صغيرة وقليلة العصير، وكانت توجد أشجار الليمون والبرتقال بكثرة في سنغاي ،في كل من الواحات الشمالية وفي المناطق الجنوبية حول نهر النيجر ،وذلك يشير إلى اعتناء الفلاحين بزراعتها والمحافظة عليها[2] .

– الملح:

كان الملح معدوما داخل بلاد السودان الغربي لذلك كان تجار شمال الإفريقي يجلبونه للمنطقة[3] ، وأعتبر من الضرورية خاصة في المناطق الحارة[4]، وكان الملح السلعة التي لقيت اقبالا كبير من طرف السودانيون الذين ينتجون الذهب[5] ويدفعونه مقابل الحصول عليه ،وكانوا يتصارفون بالملح كما يتصارف بالذهب والفضة[6] ،كما كانوا يجلبونه من مملحة تاودني ،يذهبون إليها مرتين

[1] سعد مطير غيث :مرجع سابق،ص359.

[2] عبد القادر زبادية: مرجع سابق،ص177.

[3] القلقشندي: مصدر سابق،ج5،ص289.أنظر:عبد الحميد جنيدي: مدينة تنبكت...،مرجع سابق،ص47.

[4] هويكنز أ.ج.:**التاريخ الإقتصادي لإفريقيا الغربية** ،تق: محمد عبد الغني سعودي، تر: أحمد بلبع، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة، مصر،1998، ص223.

[5] ابي فارس عبد العزيز الفشتالي : **مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا**، تح: عبد الكريم كريم، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافة ،المغرب، د ت، ص ،117.

[6] ابن بطوطة: مصدر سابق،ج4،ص369.أنظر: فاطمة بالهواري: "**العلاقات التجارية بين بلاد المغرب وإفريقيا جنوب الصحراء خلال القرن 4هـ/10م** "، **دورية كان التاريخية** ، ع 10 ديسمبر 2010،ص ص 31،37.موقع http://www.kanhistorique.org/Archive/2010/Issue10/Trade اطلعت عليها يوم: 07-09-2015م.

في السنة ويعودون بقوافلهم محملة بصفائح الملح[1] ،وكذلك نجد مملحة أوليلي التي تعتبر من المصادر المهمة لتزويد بلاد السودان الغربي بالملح [2]،وكانت مملحة تغازة هي الأخرى تزود بلاد السودان الغربي بمادة الملح[3].

شكلت مادة الملح العنصر الأساسي في العلاقات التجارية بين ضفتي الصحراء الشمالية والجنوبية، فتاريخ التجارة الصحراوية منذ القرن العاشر ،وهو تاريخ تجارة الملح في الصحراء، وذلك لأهميته بالنسبة للأهالي منطقة السودان الغربي، لندرته وانعدامه في أراضيها[4]، حيث كان الطلب عليه كثيرا ،فمعظم الحمولة التي توجهها القوافل المغاربية نحو بلاد السودان أكثر من نصفها عبارة عن ملح، والذي كان ينفذ بسرعة ويشتريه أهلها بالذهب وبأثمان كبيرة[5]، وذلك لأهميته الكبيرة في حياة السودانيين وتعدد مجالات استخدامه، حيث كان يستخدم في الطبخ[6]، والجسم يحتاج إليه لأنه يفقد كميات كبيرة منه عند التعرق خصوصا تلك القاطنة في المناطق الحارة[7] .

فقد أشار المؤرخ الوزان عن مدى اهتمام سكان بلاد السودان الغربي به بدرجة كبيرة ،حيث كانوا عند أكلهم الخبز يمسكون قطعة الملح في يديهم، ويلحسونها مع كل مضغة، حتى لا

---

[1] MAG.A.Hacquard.**Mongrphie de Tombouctou**(Accompagnee de nombreuses illutrations et dune carte de regoin de tombouctou Societe des etude colonailis et maritimes.Paris.1900.p50. وعياش دراجي:"**تمبكتو جوهرة الصحراء**"، **برنامج تحت المجهر**، قناة الجزيرة الإخبارية ،الدوحة، قطر،2005/11/11، اطلعت عليه يوم،2015/09/07، على رابط: https://www.youtube.com/watch?v=Fm3daFKDAnw

[2] الهادي مبروك الدالي :التاريخ السياسي...،مرجع سابق،ص325.

[3] ابن بطوطة: مصدر سابق،ج4،ص368.

[4] الوزان :مصدر سابق،ج2،ص280. أنظر: القلقشندي: مصدر سابق،ج5،ص291.

[5] عبد القادر زبادية:الحضارة العربية...،مرجع سابق،ص 36.

[6] الخثلان سعد بن حمد: **دور التجار المسلمين في رواج التجارة بين بلاد المغرب والسودان الغربي فيما بين القرنين الثالث والخامس الهجريين** ،**مجلة جامعة الملك عبد العزيز للآداب والعلوم الإنسانية**، ع5،السعودية،1992،ص53.

[7] مصباح الأحمد إمحمد: **تاريخ العلاقات العربية الإفريقية** ، دار الملتقى للنشر، لبنان، ط1،2001،ص 175.

يستهلكوه بكثرة[1]، حيث لم يكن لديهم أي مانع في مبادلته بالذهب وزنا بوزن، وقد أكد على ذلك الرحالة هنري بارت هذه الحقيقة في حديثه عن تجارة تنبكتو، حيث ذكر بان الذهب والملح، من أهم الأصناف المعروضة، وأن الملح كان في بعض الأحيان أهم من الذهب نفسه[2]، وهو ما فسر تهافت التجار عليه، لأنهم يجنون منه أموالا طائلة[3].

– الخضر والفواكه:

عرف السودان الغربي أغلب أنواع الخضار مثل: البصل والثوم واللفت والفلفل والجزر[4] وقد جلب المغاربة أصناف لم تكن معروفة مثل القرع الصغير والبقدونس والنعنع المروي والحبحب (الدلاع) [5] والبطيخ والقرع ،وكانت تزرع في جميع أنحاء المنطقة وتتوفر محاصيلها في الأسواق، وأسعارها متدنية ورخيصة [6]،واعتبرت الفواكه من أهم المنتوجات الهامة التي تحملها القوافل التجارية[7] القادمة من الشمال الصحراء نحو بلاد السودان الغربي خاصة القادمة من ورقلة بعد ما تجلب من المغرب وافريقية لتعيد بيعه من جديد في أسواق المنطقة، وأكد على ذلك الإدريسي بقوله: «... وليس في بلاد السودان شيء من الفواكه الرطبة إلا ما يجلبه إليها من التمر من بلاد سجلماسة أو بلاد الزاب يجلبه إليهم أهل وارقلان...» [8] .

---

[1] الوزان:مصدر سابق، ج2،ص280.

[2] الأمين عوض الله: مرجع سابق، ص ص 84،85.

[3] الهادي المبروك الدالي: التاريخ السياسي...،مرجع سابق،ص203.

[4] عبد الحميد جنيدي: مدينة تنبكت...،مرجع سابق،ص48.

[5] محمد غربي :مرجع سابق،ص484.

[6] زبادية عبد القادر :مملكة سنغاي ...،مرجع سابق،ص174.أنظر: عطية مخزوم الفيتوري :مرجع سابق،ص320.

[7] زكية بالناصر القعود: **دور القوافل التجارية في التفاعل الثقافي بين ليبيا والمغرب العربي وما وراء الصحراء والسودان في العصر الوسيط، أفاق الثقافة والتراث**، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث ، الإمارات العربية المتحدة، ع86، 2014 ، ص132.

[8] الإدريسي :مصدر سابق، ج1،ص20.

ونتيجة الاتصالات التي كانت قائمة بين مزارعي السودان الغربي والخبرة الوافدة من الشمال الإفريقي ،أدت إلى ازدهار الزراعة في المنطقة ،وتوفر البدور الجديدة والخبرة المستحدثة [1]،بالاصافة إلى اكتساب مزارعي المنطقة لأساليب وطرق زراعية متقنة ،على سبيل ذلك استعملوا الأسمدة التي اتخذوها من فضلات الحيوانات ،كما قاموا بسحب الماء للري وبشق القنوات لإيصاله للمحاصيل الزراعية ،مثل بحفر الترع بالنيجر الأوسط[2] ،واخذو هذه الأفكار تحديدا من فلاحين وفدوا إلى المنطقة من توات للعمل في مجال الزراعة وأدخلوا معهم المحاريث والتي استخدمت على نطاق واسع.

ووفد مجموعة فلاحين من الأندلس وكان لهم دور مهما وبارزا في الفلاحة ،وأسهمت في عموم الزرع جل المنطقة ،وترتب عن هذه الخبرات الوافدة أنه نتج عنها نظام الاستغلال الجيد للأرض ، والإمكانيات المتاحة ،وقاموا كذلك باستغلال سفوح الجبال وشقوا المساطب والقنوات ، وأكد بازل دافدسن بأن أهالي السودان الغربي نقلوا من الشمال الإفريقي الخبرة الفنية ،وأضافوا إليها ما برعوا فيه من الماضي وطوعوا كل هذا بتجربتهم الذاتية واقتبسوا وطوروا واخترعوا كل ما احتاجوا إليه من أدوات التي اهتدوا له عن طريق الشمال الإفريقي[3].

«... وأخدت المزارع السودانية وخاصة في الغرب الشكل شكل البساتين الأندلسية فشهدت تطورا مهما من ناحية الإنتاج الغدائي وكان يشرف على تلك البساتين فلاحون من المغرب»[4]،

ومعظم الأراضي الزراعية في منطقة السودان الغربي تتركز على ضفتي نهر النيجر ،الذي يشق أراضيها ،وأجمل تلك الأراضي التي تقع على امتداده[5] ،وكانت الزراعة في السودان الغربي عبارة عن

[1] محمد غربي: مرجع سابق،ص51.

[2] عطية مخزوم الفيتوري :مرجع سابق،ص320.

[3] سعد مطير غيث: مرجع سابق،ص360.

[4] محمد غربي :مرجع سابق،473.

[5] الوزان: مصدر سابق،ج2،ص30.

مزارع للحكومة وللأهالي، وكانت أغلبية الساحقة من سكان سنغاي يمتهنون الفلاحة ويعيشون منها، وكان حكام مملكة سنغي يمتلكون مزارع خاصة بهم وإنتاجها يعودلهم، فمثلا: مزارع الأسكيا داوود، التي يشتغل فيها عبيدهم[1]، ويذكر في هذا الصدد كعت في تاريخ الفتاش، بقوله: «... ويحصد له من هذه المزرعة ألف صنون من الأرز وهذا عليه مقطوع لا يزيد ولا ينقص...»[2].

ب– الثروة الحيوانية[3] :

وتشمل الأغنام وبغال المغرب العربي، التي تتميز بالقوة والضخامة ، والقدرة على الكر والفر في الحروب، حيث كان البغل الواحد يستبدل من خمسة إلى عشرين عبدا من بورنو، كما كانت الجمال تباع أيضا خاصة التي عبروا بها الصحراء، وصارت ضعيفة ومرهقة بسبب ثقل الحمولة وطول المسافة التي قطعتها، فيتم شراء جمال أخرى تكون أكثر قوة[4].

– الجمال:

وتعتبر من الحيوانات التي كان لها دورا بارزا في بلاد السودان الغربي والتي وصلت من المشرق العربي إلى الشمال الإفريقي منذ بداية القرون الميلادية الأولى[5] ،واتضحت أهميته مع مرور الزمن[6]، ووجدت طريقها إلى السودان الغربي فيما بعد ،وارتبط هذا الحيوان بحياة البدو[7] الذين تمكنوا من ترويضه و استئناسه ،وأحدث دخول الجمل ثورة في وسائل النقل عبر الصحراء الكبرى ،فلم تعد

[1] عبدالقادر زبادية: مملكة سنغاي ... ،مرجع سابق،ص171.

[2] كعت: مصدر سابق،ص95.

[3] أنظر: الملحق رقم 09، ص179.

[4] يحي بوعزيز: مرجع سابق ،ص ص 117،118.

[5] سعد مطير غيث ،مرجع سابق،ص361.

[6] D.Armagnac: **Le Mzab et les Pays Chaamba**,Edi:Baconnier,paris,1934,p194.

[7] لخضر بن بوزيد: **الجمل في ما قبل التاريخ الشمال الإفريقي، مجلة علوم الإنسان والمجتمع** ،بسكرة ،الجزائر، ع6، 2013، ص80.

هنالك حواجز تقف في وجههم وتعزلهم، بل لم تعد القفار والرمال تشكل حاجزا أمامهم وهذا بعد استخدام الجمل الذي حطم الحواجز ،وأصبحت دروب الصحراء معابر للقوافل التجارية وأستخدم كوسيلة للنقل[1]، وأشار لذلك القلقشندي بأن أكثر مواشيهم من الجمال[2]،وأضاف كذلك صاحب مؤلف آثار البلاد بأنهم يستعملون الجمال في تنقلاتهم، بقوله:«...يستصحبوا معهم جمالا...»[3].

ويعتبر الجمل مصدر هام للغذاء، خصيصا لأهل الصحراء والواحات التي استفادوا من جلودها[4] لصناعة الصنادل والأكياس والقرب والفرش ومن وبرها الخيام واللباس[5]، واستعمل الجمل كوسيلة للتنقل من منطقة لأخرى[6]، وأيضا لنقل السلع التجارية غير أنه لم يقتصر على ذلك فقط بل ساهم في نقل الثقافة والأفكار والعقائد والعلوم ،لأنه كان يشكل وسيلة لنقل الكتب وركوب العلماء والفقهاء والدعاة الذين قدموا للمنطقة لنشر الإسلام والقضاء على الوثنية ولإحضار وتبشير المنطقة بحضارة جديدة متمثلة في الثقافة العربية الإسلامية[7] .

- **الخيول:**

من الحيوانات التي لعبت دورا مهما في بلاد السودان والتي وجدت مع الحضور العربي إلى بلاد السودان الغربي ،كان من أبرزها الخيول العربية التي وفدت إلى المنطقة من الشمال الإفريقي عبر

[1] عبدالقادر زبادية: مملكة سنغاي... ،مرجع سابق،ص186.أنظر: كربخال مارمول :مصدر سابق،ج3،ص202.

[2] القلقشندي: مصدر سابق،ج5،ص 286.

[3] القزويني: مصدر سابق،ص19.

[4] عطية مخزوم الفيتوري :مرجع سابق،ص320.

[5] القزويني :مصدر سابق،ص18.

[6] الوزان :مصدر سابق،ج2،ص166.

[7] الهادي المبروك الدالي :التاريخ السياسي...،مرجع سابق، ص ص 276،277.

طرق القوافل التجارية[1]، ومن الخيول التي عرفت في المنطقة ،تلك الخيول صغيرة الحجم تسمى (بوني) ،وكانت تستخدم في التنقل والمتاجرة داخل مناطق السودان الغربي وكان يستعملها الملوك والحاشية في تجوالهم داخل المدن[2] ، وأشار الوزان لذلك، بقوله :«... لا يولد في هذه البلاد من الخيل غير بعض البرادين الصغيرة التي يستعملها التجار في أسفارهم ،وأرباب الحاشية في تجوالهم في المدينة ،أما الجياد فتأتي من بلاد البربر ،تصل مع القافلة ...»[3] .

وتشكل الخيول أغلى الممتلكات الحيوانية في بلاد سنغاي على أيام الأسقيين وكان لا يمتلكها إلا الملوك والنبلاء ،وهذا بسبب غلاء أثمانها .وأدخل المغاربة الحصان العربي إلى منطقة السودان الغربي ،وكانت قد عرفت المنطقة نوع أخر متوحش صغير الحجم يدعى(كيمراس)، ولم تمضي إلا سنوات قليلة حتى تناسلت الخيول المغربية مع الصنف المحلي[4] ،أعطت نوعا جديدا وكانت الخيول نوعان وتمثلت في:

أ) النوع الإفريقي القصير القامة (بوني)، وهو الذي كان موجودا بكثرة في البلاد.

ب) النوع العربي (بارب)، هذا النوع يعتبر من أغلى الأنواع ،وأقلها وجودا بلاد السودان الغربي[5]،

فكانت تستورد و يجلب جلها من خارج المنطقة وتحديد من الشمال الإفريقي يجلبها التجار عبر طرق القوافل التجارية .

[1] سعد مطير غيث:مرجع سابق،ص362.

[2] القلقشندي :مصدر سابق،ج5،ص287.

[3] الوزان: مصدر سابق،ج2،ص166.

[4] محمد غربي :مرجع سابق،ص475.

[5] عبد القادر زبادية: مملكة سنغاي...،مرجع سابق،ص185.

وكانت الخيول تستعمل كذلك في الحروب والقتال وذلك لسرعة عدوها[1] ،و قد أكد على ذلك المؤرخ مار مول كربخال ،بقوله: «... عندما يخرج إمبراطور مالي من تمبوكتو يتبعه رجال حاشيته... يركبون الخيول إذا خرجوا للقتال...»، ويضيف كذلك: «... لا توجد خيول جيدة، ولكن فيها أحصنة قصيرة يمتطيها الوجهاء للذهاب إلى المدن. أما الخيول الجيدة، فإنها تستقدم من بلاد البربر ويأخذ الملك مايروقه منها...»[2] ،وذكر ذلك القلقشندي، بقوله: «... وتجلب الخيل العراب إلى ملوكهم، يتغالون في أثمانها...»[3]، فكانت الخيول تستورد جلها من بلاد المغرب وكانت ترافق مع القوافل التجارية التي تأتي من جميع البلدان العربية الوافدة إلى منطقة السودان الغربي [4].

وتميزت المنطقة نتاجا لمؤثرات الزراعية والفلاحية القادمة من الشمال بالاهتمام ببعض أصناف الحيوانات الأليفة منها:

– الأغنام:

اهتموا بتربيتها وكانت تأتي في الدرجة الثانية في مملكة سنغاي من حيث توفرها وأثرها في حياة السكان، ووجد نوعان منها: نوع سوداني أصيل قليل الصوف مرتفع القوائم، ونوع آخر مغربي صحراوي طويل الذيل كثيف الصوف[5].

[1] الهادي المبروك الدالي: التاريخ السياسي...،مرجع سابق ،ص 278.

[2] كربخال مارمول :مصدر سابق،ج3،ص ص 202،203.

[3] القلقشندي :مصدر سابق،ج5،ص287.

[4] الهادي المبروك الدالي :التاريخ السياسي...،مرجع سابق ،ص277.

[5] عبد القادر زبادية :مملكة سنغاي...، مرجع سابق،ص184.

– الماعز:

ظهر نوع جديد من الماعز، أخذ مميزات الصنفين السوداني المحلي والمغربي الوافد للمنطقة غير أن نسبتها ضئيلة، لأن تكاثرها كان ضعيفا في بلاد السودان الغربي، قليل مقارنة وقياسا [1]بالأغنام، وكانت تحتل المرتبة الثانية في مملكة سنغاي[2].

– الأبقار:

تميزت الأنواع السودانية صغيرة الحجم بشكل عام بقرون طويلة ملتوية في شكل حلزوني فوق رأس الثور، وسنام قليل البروز، وكانت متواجدة بكثرة في بلاد السودان الغربي، وتحظى بمكانة مهمة، تتخذ للحمل ومن جلودها بعض الخيام، وتبطن سقوف بعض الدكاكين والحجرات ،وكذا الأكواخ بها[3]، واستعملت كذلك كغذاء لهم كما أقبل السودانيون على شرب ألبانها[4].

– الحمير:

رمادية وصغيرة الحجم وقليلة العدد، توجد بكثرة حيث يستعملها السكان في قضاء حوائجهم، داخل البلاد[5] ، كما أستعمل كذلك في نقل مواد البناء التي يتم شراؤها في ضواحي المدينة[6].

---

[1] محمد غربي: مرجع سابق،ص476.

[2] الهادي مبروك الدالي:مرجع سابق،ص277.أنظر: القلقشندي: مصدر سابق،ج5،ص 286.

[3] عبد القادر زبادية: مملكة سنغاي...،مرجع سابق،ص183.

[4] محمد غربي: مرجع سابق،ص476.

[5] الهادي المبروك الدالي: التاريخ السياسي...، مرجع سابق، ص278.

[6] محمد غربي :مرجع سابق،ص504.

– البغال:

من بين الثروة الحيوانية التي شاع استعمالها ،فهي أكثر تحمل للأثقال من الحمير، وقد استخدمها منسا موسى في حمل زوجته وذلك أثناء رحلته للحج، وأشار لذلك المؤرخ كعت، بقوله: «... فقامت نسوة معها وهن خمسين وركبت على بغلتها...» [1].

– الدواجن:

كما كانت منطقة السودان الغربي، تزخر بمختلف أنواع الطيور منها الداجنة والبرية ،واعتبرت من مستلزمات البيوت السودانية ،ودجاج بلاد السودان الغربي صغير الحجم وقليل البيض، كما وجد الحمام، ويؤكد على ذلك القلقشندي، بقوله: «... وبها من الطيور الدواجن الإوز والدجاج، والحمام...» [2].

– النحل:

عرفت تربية النحل في السودان الغربي منذ فترة قديمة، وقام المغاربة بالاعتناء بها وذلك بجلبهم لأغراس الليمون ،وتخطيطا لاستنباط العسل الشمالي الذي كان يمتاز بنكهة خاصة، وموست على نطاق واسع في بلاد السودان الغربي ،وجني العسل من خلالها، وكان يستخرج شهده الشمع بكثرة ويصدر للخارج [3].

[1] كعت: مصدر سابق، ص 36.

[2] القلقشندي: مصدر سابق،ج5،ص288.

[3] عبد القادر زبادية :مملكة سنغاي...،مرجع سابق،ص186.أنظر: محمد غربي :مرجع سابق،ص477.

3 – الصناعة والحرف :

شهدت الصناعة والحرف[1] ببلاد السودان الغربي ازدهارا ملحوظا نتيجة لمؤثرات العربية ،وأوكلت مهمة القيام بالصناعات التي تعلقت بالاحتياجات المادية التي يحتاج إليها النبلاء والعلماء إلى فئة من عامة الشعب ويسمون الصناع[2]، كما قلد السودانيون المسلمين في الحرف ،والمهن المنتشرة في العالم الإسلامي خاصة الشمال الإفريقي ،مثل صناعة الأقمشة والأدوات الطينية ،والعاجية ،والخشبية ،والجلدية ،والمادية ،وقامت في المدن السودانية أحياء وأسواق خاصة لهذه الحرف على غرار ما هو موجود في الشمال الإفريقي[3].

إن تعمق وتجسد مفاهيم العقيدة الإسلامية من الأسباب الرئيسية التي أدت إلى ازدهار الصناعي ،ومثال لذلك محاربة العقيدة الإسلامية لعادة العري التي كانت منتشرة ومعروفة في المنطقة قبل انتشار الإسلام ،مما جعل الأهالي يحرصون على ارتداء الملابس ،وبذلك أذى إلى ازدهار صناعة النسيج وحياكة الملابس[4] ،وقد ازدهرت صناعة الأقمشة التي توفرت المواد الخام الأولية لصناعتها، ومن هذه المواد الخام نجد الصوف والوبر والقطن[5]، وانتشرت صناعتها بكثرة في سنغاي على أيام الأسقيين ،وكانت الحياكة تتم باليد [6]،و يوجد بتنبكتو لوحدها أكثر من 26 دكانا ،وفي كل واحد منها يوجد ما بين 50و100صانع، وهذا ما يوضح أن هذه الصناعة كانت مزدهرة وكميات إنتاجها كبيرة.

---

[1] أنظر: الملحق رقم 06، ص ص 174،175.

[2] سعد مطير غيث: مرجع سابق،ص364.

[3] يحي بوعزيز : مرجع سابق،ص152.

[4] سعد مطير غيث: مرجع سابق ،ص364.أنظر:نعيم قداح: **افريقيا في ظل الاسلام** ،مراجعة: عمر عبد الحكيم ،مكتبة أطلس، دمشق، سوريا، د،ت،ص143.

[5] عطية مخزوم الفيتوري: مرجع سابق،ص321.

[6] عبد القادر زبادية: مملكة سنغاي ...،مرجع سابق،ص191.

ويبدو أن صناعة الأقمشة من القطن بدأت أول الأمر في السنغال الحالي ،وذلك حوالي منتصف القرن الحادي عشر، وبعدها عمت بقية أنحاء المنطقة السودان الغربي[1]، ويؤكد على ذلك مارمول، بقوله: «...تزخر تمبوكتو بكثير من الدكاكين للتجارة والصناع ،أهم تجارتهم الثياب القطنية...»[2] ،ويضيف القلقشندي: «...ولباس عامة أهلها الصوف...»[3]، ويشير الرحالة الوزان، بقوله: «...ودكاكين كثيرة للصناع والتجار، لا سيما دكاكين نساجي أقمشة القطن... »[4] ،كما عمت وتطورت في المنطقة حرفة دبغ[5] الجلود التي كان استعمالها كلباس للإنسان ،وكذا في صناعة النعال والسروج وكنانات السهام والآلات الموسيقية ومنها الطبول الواسعة الانتشار، مما دفع هذه الصناعات الجلدية إلى تكاثر صناع الجلود وازدياد عددهم[6].

وعرف صناع السودان الغربي أيضا، استعمال الأصباغ عن طريق تجار الشمال الإفريقي الذين وفدوا للمنطقة واختلطوا بهم، وكان هؤلاء الصباغون يستعملون في تجسيمها قشور الرمان وأوراق النباتات من أجل الحصول على ألوان مختلفة ،ويضيفون لها مادتي الشب والملح من أجل تثبيت الألوان[7]، واستعملوا أدوات الدباغة التي كانت مشابهة لمثيلاتها في المغرب[8]، وانتشرت كذلك في ربوع السودان الغربي حرفة الوراقين تقليدا لما هو موجود في كل من مصر والحجاز والمغرب ، لنسخ

---

[1] محمد غربي :مرجع سابق،ص498.

[2] كربخال مارمول :مصدر سابق،ج3،ص202.

[3] القلقشندي: مصدر سابق،ج5،ص286.

[4] الوزان: مصدر سابق:ج2،ص ص 165،166.

[5] الدباغ: دابغ الجلود وبائعها. أنظر: عائشة غطاس :**الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700-1830**،منشورات المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر،2012،ص 392،مجموعة مؤلفين: **قاموس الوسيط الحديث**، منشورات دار أيوب، باتنة، الجزائر، ط1، 2013،ص188.

[6] سعد مطير غيث: مرجع سابق، ص 364.

[7] عبد القادر زبادية: مملكة سنغاي...،مرجع سابق،ص192.

[8] محمد غربي :مرجع سابق،ص500.

الكتب والمخطوطات وتجليدها وتطريزها والمتاجرة فيها على نطاق واسع[1]،و تولى القيام بذلك نساخون محليون لحساب بعض الملوك والعلماء، مثل: الأسكيا داوود الذي كان يضع في خدمته عددا كبيرا من الكتبة والنساخين والحرفيين، وكان يحتفظ بهذه المخطوطات في خزائنه، ويهدي بعضها الأخر للعلماء[2] .

وتعتبر هذه الحرفة تجسيدا لما هو سائر في العالم العربي خلال تلك الفترة وقد تأثر أهل السودان الغربي بتلك الحرفة واعتمدوها في نسخ الكتب و زخرفتها، وشاعت في بلاد السودان الغربي بعض الصناعات التي تختص بالاستخدام المنزلي، مثل صياغة الحلي[3]،كما كان يجلبها التجار المسلمين للمنطقة، واشتهرت عائلات وعرفت بهذه الحرفة و بالأخص في مدينة تنبكتو[4] ،وخاصة حي الغدامسية وحومة السوق، كما عرفت الصناعات الحديدية كالخناجر والدروع والخوذات والرماح والفؤوس وحدائد الخيل والمطارق والمسال والإبر ،وكذلك عرفت الصناعات الخشبية والتي على رأسها صناعة الأبواب والنوافذ والأعمدة[5].

كما عرفت بلاد السودان الغربي صناعة الزرابي ،التي كانت تصنع من أصواف الأغنام وشعر الماعز و وبر الإبل، وكانت هذه الصناعة تمارس من قبل النساء ،كما عرفت كذلك صناعة الحصير ،التي تستعمل كأفرشة للمساجد والمنازل[6]، وكانت تصنع من نبات يشبه الديس، إلا أنه أقوى منه وأكثر تماسكا، وأشار لذلك الباحث "الهادي المبروك الدالي" بأن هذه الصناعة انتقلت

[1] سعد مطير غيث: مرجع سابق،ص365.

[2] كعت :مصدر سابق،ص 94.

[3] عبد القادر ريادية: مملكة سنغاي...،مرجع سابق،ص192.أنظر: الملحق رقم 05، ص 172.

[4] عبد الحميد جنيدي: مدينة تنبكت...، مرجع سابق،ص49.

[5] الهادي المبروك الدالي :التاريخ السياسي...،مرجع سابق،ص290.

[6] كعت :مصدر سابق،ص106.

للمنطقة السودان الغربي من الشمال الإفريقي، لأنها معروفة في المغرب وتونس وطرابلس الغرب (ليبيا) منذ فترة مبكرة [1].

كما عرفت المنطقة صناعة السفن التي كانت تصنع من أشجار غليظة وشديدة ،تعد إعدادا جيدا وتنظف من بقايا الأغصان ثم تخاط بطريقة انسيابية، من أجل صناعة القوارب وسفن كبيرة، وكان الصناع يتفننون في صناعة السفن لنقل الملوك وغيرهم من علية القوم[2]، هذا وقد عرفت المنطقة، صناعة مواد البناء التي لم تحتكر على طبقة معينة أو حرفيين متخصصين بل كان باستطاعة أي عامل أجير أو صاحب بيت أن يعمل ،واستخدم البناؤون مختلف الأدوات التي كانت معروفة في الشمال الإفريقي[3]، حتى امتازت مدن منطقة السودان الغربي، بتطوير معماري كبير يشبه ما هو موجود في كل من المغرب والمشرق الإسلاميين، كما ظهرت بعض الحرف التي جاءت بفضل الإسلام مثل حرفة الحلاقة التي ظهرت في مملكة سنغاي ،وكانت هذه المهنة كل ما تعلق بها من آلات عربية المنشأ، وهذا يدل على مدى التأثير الكبير للعرب المسلمين على حرفيي بلاد السودان الغربي[4].

نجد أن السودانيين قلدوا المسلمين في الحرف، والمهن المنتشرة في العالم الإسلامي خاصة الشمال الإفريقي ،كصناعة الأقمشة والأدوات الطينية، والعاجية ،والخشبية ،والجلدية ،والمادية ، وقامت في المدن السودانية أحياء وأسواق خاصة لهذه الحرف على غرار ماهو موجود في الشمال الإفريقي[5].

[1] الهادي المبروك الدالي: مرجع سابق،ص291.

[2] سعد مطير غيث :مرجع سابق،ص367.

[3] غربي محمد :مرجع سابق،ص504.

[4] بشار أكرم الملاح :مرجع سابق، ص ص 245،246.

[5] يحي بوعزيز :مرجع سابق ،ص 152.

4 – المصادر المالية للدولة:

من المصادر الأساسية للموارد المالية في بلاد السودان الغربي الضرائب التي كانت تجنى من الولايات والإمارات والمدن بواسطة جباة وجامعي الضرائب الذين ينتشرون في أسواق المنطقة وعبر حدودها التي تمر عبرها القوافل التجارية [1]،وكان هؤلاء الجباه يعملون مع مفتش الضرائب الذي يسير تلك الوظيفة المسماة موندي[2] والواقع أن هذه الضرائب كانت تعطى كأجور للموظفين والقضاة والفقهاء والعلماء[3].

أما فيما يتعلق بأملاك السلطان التي كان مصدرها الأساسي ناتج عن حركة الجهاد ضد القبائل الوثنية المحاذية للمنطقة وكان ينفق ربعها لنفقته الخاصة وأفراد عائلته وخدمه[4]، و كان يخصص جزءا من هذه الثروات للأعمال الخيرية كبناء المساجد والمدارس لتعليم القرآن الكريم، والتصدق على الفقراء بمنحهم اللباس والطعام[5] ،ولاسيما في الأعياد والمواسم الدينية المختلفة ، وصرف المنح والهدايا لطلبة العلم وحفظة القرآن الكريم[6]،في كل جمعة وذلك بصورة مستمرة، كما خص الحجيج بمنحة فالذين يقصدون قصره أثناء ذهابهم وإيابهم فيعطى لهم نصيب من الميرة والهدايا، والامر ذاته بالنسبة لطلاب العلم في مساجد تمبكتو ،وجني وغيرهما، فكان القاضي هو المكلف بالنظر في شؤونهم وينفق على المحتاجين منهم من أملاك الأوقاف وكذا صدقات المحسنين وعلى مايتم جمعه من زكاة [7].

---

[1] سعد مطير غيث: مرجع سابق،ص334.

[2] كعت :مصدر سابق، ص 55.

[3] الوزان :مصدر سابق،ج2،ص167.

[4] عبد القادر زبادية: مملكة سنغاي ...،مرجع سابق،ص61.

[5] سعد مطير غيث: مرجع سابق،ص 335.

[6] كعت : مصدر سابق، ص ص 38،59.

[7] عبد القادر زبادية: مرجع سابق،ص61.

المبحث الثاني: الجانب الاجتماعي :

حملت مؤثرات الحضارة العربية الإسلامية ،في ثناياها جملة من التغيرات الهامة في مظاهر الحياة الاجتماعية المختلفة لمنطقة السودان الغربي، كالعادات والتقاليد ،ونظام الأسرة ،وساهمت في نهاية الأمر إلى حدوث امتزاج بين العادات والتقاليد العربية الإسلامية الوافدة للمنطقة وبين العادات والتقاليد السودانية المتوارثة[1].

1- العادات والتقاليد الاجتماعية:

تأثر سكان السودان الغربي بالعديد من العادات والتقاليد الوافدة من المنطقة العربية سواء من المشرق أو المغرب العربيين، ومن ذلك:

أ- الزواج ونظام الأسرة:

إن عادة الزواج في مجتمع السودان الغربي أو بالأحرى كما حال المجتمعات الغير مسلمة ،قبيل خضوعها لمؤثرات المسلمين العرب كانت تتسم بالفوضى ،وفقدانها لنظام ،بحيث لا يوجد تحديد لعدد الزوجات ،بل إن المرأة الواحدة يجتمع عليها أكثر من رجل، كانوا يتناكحون بغير صداق[2] ،كما أن الزواج كان يحصر داخل العشيرة الواحدة محاولة منهم الحفاظ على رابطها وتماسكها وكان الرجل في تلك المنطقة ينسب لأمه ويسمى باسمها وبعدها باسم عائلة أمه وقبيلتها التي تنتمي اليها، وكانت السيطرة تعود للأم في النظام العائلي[3]. بحيث أصبحت تشكل القاعدة المتبعة

[1] أسماء أحمد الأحمر :مرجع سابق،ص154.

[2] الوزان: مصدر سابق،ج2،ص ص159،160و مارمول كربخال: مصدر سابق،ج3،ص 203.

[3] سعد مطير غيث، مرجع سابق ،ص369.

والمتمثلة في الوراثة من ناحية الأمومة ،قد أشار لذلك القلقشندي بقوله:«...على قاعدة العجم في تمليك البنت وابن البنت...»[1] .

وبانتشار الإسلام في منطقة السودان الغربي ،وعبور مؤثرات العربية الإسلامية نحوه انتشرت العديد من العادات الاجتماعية التي تأثرت بالحضارة العربية الإسلامية خاصة نظام الزواج هذا الأخير أصبح يتم وفق الشريعة الإسلامية مع الحفاظ على بعض العادات الخاصة بهم والتي تتناسب مع الشريعة الإسلامية، لكن بدأت بعض المظاهر تندثر وتضمحل ،وعلى سبيل ذلك أن العديد من الأهالي بعد اعتناقهم الإسلام قد تخلوا عن أسمائهم السابقة واستبدلوها أسماء عربية ،وبذلك صار الشخص ينسب لأبيه [2]، بدل أمه ،وهذا حسب ما جاء في الشريعة الإسلامية[3].

ب- الملبس:

تعد الملابس من المظاهر التي عرفت تطورا ملموسا منذ بداية اتصال مجتمع السودان الغربي بالعربية المسلمين ،إذ أن قبائل هذه المنطقة قبل خضوعها لمؤثرات الحضارة العربية الإسلامية كان بعض أفرادها يسيرون عراة والبعض الآخر منهم يسترون أجسادهم بالجلود وغيرها، لكن بانتشار الإسلام واستقرار المسلمين بالمنطقة صار أهالي السودان الغربي يقلدون الزي الخاص بهؤلاء المسلمين ،وأشار لذلك القلقشندي بقوله: «... ولباسهم عمايم بحنك مثل العرب وقماشهم بياض من تياب قطن يزرع عندهم وينسخ في نهاية الرفع واللطف يسمى الكيمصا ومنهم شبيه بزي المغاربة...»[4].

[1] القلقشندي :مصدر سابق،ج5،ص294.

[2] نعيم قداح :مرجع سابق،ص94.

[3] سعد مطير غيث :مرجع سابق،ص369.

[4] القلقشندي :مصدر سابق ،ص299.

حيث كان للإسلام أثر كبير في تحول شكل الملابس بما ينسجم وتعاليمه[1] ومع الوقت وبعد اعتناقهم الإسلام ،تغيروا وذلك بعد أن كانوا لا يغتسلون يوميا فأضحوا بعد الإسلام يتأنقون في ملابسهم من أجل الصلاة ،مع شروعهم في الاغتسال يوميا لأن الشريعة الإسلامية تتطلب منهم الطهارة بل إنهم أصبحوا يتباهون أمام مواطنيهم الوثنيين بملابسهم البيضاء النظيفة [2]،و لأنه يعتبر نوع من الأناقة للفرد ،ويضفي على صاحبه الاحترام ،مما جعل الناس يحرصون على ارتداء أنسب ما يملكونه وخاصة في المناسبات الاجتماعية والأعياد الدينية[3].

فقد كان الوجهاء يحرصون على الظهور في لباس زاه فضفاض أمام عامة الشعب ،في حين هذه الأخيرة كانوا يكتفون بارتداء حسب قدرتهم، فمنهم من يستخدمون الجلود للاكتساء وخاصة في فصل الشتاء وهذا في المناطق الصحراوية، والعديد من الباحثين أجمعوا على أن أهالي مملكة سنغاي قد تجاوزوا مرحلة العري منذ زمن طويل ،وهذا بعد انتشار الإسلام في المنطقة ، أضحى الناس جمعاء على هذا العهد الأخير يقتنون الملابس وذلك تجسيدا لما جاء في الشريعة الإسلامية[4] .

كما كان الأسكيا داوود(956-990هـ/1549-1582م) يرتدي ملابس مغربية ذات جودة عالية ،قميص سوسي- نسبة إلى منطقة السوس في المغرب الأقصى- ويشير مؤرخ كعت لذلك بقوله: «... وقميص سوسي عال أزرق...وكذلك القميص السوسي العال الأخضر أحب اللباس...» ،ولم يقف الأمر فقط عند الأسكيا داوود لوحد بل حتى عبيده الذين يقفون بين يديه يوم الجمعة ،كانوا يرتدون ملابس حريرية ، وهذا ماكده محمود كعت بقوله: « ...وعبيده الخصيان

[1] بشار أكرم الملاح: مرجع سابق،ص174.

[2] نعيم قداح : مرجع سابق ،ص173.

[3] عبدالله عيسى :مرجع سابق،ص288.

[4] أسماء أحمد الأحمر: مرجع سابق ،ص ص160،161.

واقفون على رأسه وكانوا نحو سبعماية [سبع مئة] وعلى كل واحد منهم لباس الحرير...»، وما تعلق بكفون الموتى فكانت هذه الأخيرة يتم إعدادها من الشفوف السوسية العالية[1].

وكان لباس الشرفاء وأولادهم من جلابيب طويلة وعمائم وشعورهم طويلة تصل إلى شحمة الأذن وذلك اقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم [2]وتيمنا بسيرته ،وكان أهالي منطقة السودان الغربي يرتدون الملف والقفاطين المصنوعة من الحرير، ويذكر حسن الوزان، بقوله: «...وتصل تنبكتو أقمشة من أوربا يحملها إليها التجار البربر...»[3]،بالإضافة إلى ذلك يرتدون البرنس[4]،و فيما يتعلق بلباس المرأة فقد تميزت نساء سنغاي بتحليهن بتطاريز من اللؤلؤ[5] وأساور من ذهب وفضة في معاصمهن وحول رقابهن[6] ،ولباسهم يتكون من الملاحف وما يؤكد على ذلك ما قام به الأسكيا داوود لما منح لعجوز ملحفة كل سنة .

لقد كانت نساء مدينة جني ،تتميزن بلبسهن اللثام الكبير ليغطين رؤوسهن المصنوع من القطن وكان بلونين اما الاسود او الأزرق أما نساء مدينة تنبكت فكن يختلفن بعض الشيء عن نساء مدينة جني ،فكانوا متحجبات مع وضع اللثام ،باستثناء الإيماء اللاتي كن يبعن الأكل في الشوارع ،كما نجد تشديد الأساكي على إلزامهم نساء المملكة بضرورة ارتداء الحجاب ومثال على ذلك ما عمله الأسكيا محمد الكبير، وهذا ينبأ بمدى تأثر هذا الأخير بالحضارة العربية الإسلامية و تجسدت ملامح ذلك التأثير على أرض الواقع[7]، اما بما تعلق برجال قبائل الفلان فكانوا يرتدون

[1] كعت: مصدر سابق ،ص ص114،130.

[2] سعد مطير غيث: مرجع سابق،ص372.

[3] الوزان: مصدر سابق،ج2،ص165.

[4] كعت: مصدر سابق،ص144. أنظر: السعدي: مصدر سابق، ص216.

[5] بشار أكرم الملاح :مرجع سابق،ص178.

[6] السعدي: مصدر سابق،ص17.

[7] سعد مطير غيث: مرجع سابق ،ص373.

داراريع مفتوحة من الأمام ،وأحذيتهم تصنع من جلد البقر والابل والنمور[1]،حيث كانوا قبل ذلك يسيرون حفاة، وكان كل من نسائهم ورجالهم يضفرون شعرهم على سواء ،مع تزينهم بالحلي والسيوف والحراب[2] .

ج- المسكن:

بعدما كانت المنازل ببلاد السودان الغربي تبنى بأغصان الأشجار وجلود الحيوانات تطورت وادخلت عليها مواد جديدة لم تكن مستخدمة من قبل من بينها السقف بالتبن وبعضها بالحجر المركب بالطين والجير، وقد شوهدت التطورات المختلفة في هندسة المنازل والقصور ذلك التطور العديد من المنازل والقصور ،وعرفت البنايات نظام الأقواس و الزخارف والنقش على طريقة الطراز العربي الإسلامي ،وأخدت بيوت المنطقة الشكل المربع ،ووضع بها سور من الطوب اللبن[3] قليل الارتفاع كإطار للبيت من أعلى، وله فتحات متساوية لئلا تستقر مياه الأمطار على السطح[4] ،وأصبح من المألوف أن يكون للمنزل فناء تتوسطه بركة من ماء صناعية ،وكانت تلك ديار السادة ،وبعدها عمت ربوع المنطقة، وكان الفلاحون في الأرياف يبنون مساكنهم في حقولهم في قرى صغيرة قرب عدة آبار أو ينبوع ،أو على حافة نهر النيجر وروافده[5].

2- التصاهر العرقي والجيل الهجين:

تعد من أبرز الظواهر الاجتماعية التي تعرضت لها بلاد السودان الغربي وشهدتها ،حيث أفضت الصلات التجارية والثقافية التي جمعت الشمال الإفريقي بالسودان الغربي إلى استقرار

---

[1] القزويني :مصدر سابق،ص19.

[2] سعد مطير غيث :مرجع سابق ،ص ص373،374.أنظر: كعت :مصدر سابق،ص180.

[3] الوزان :مصدر سابق، ج2،ص165.

[4] سعد مطير غيث: مرجع سابق ،ص ص 374،375.

[5] عبد القادر زبادية: مملكة سنغاي ... ،مرجع سابق،ص166.

العديد من التجار بالمنطقة والذين انصهروا وامتزجوا بالمجتمع الإفريقي عن طريق المصاهرة، حيث نتج عن ذلك جيل جديد [1]،وقد أشار لذلك الأمر المؤرخ الوزان، بقوله: «... والسكان أغنياء مترفون، ولاسيما الأجانب المقيمين في البلاد، حتى إن الملك الحالي زوج اثنين من بناته من أخوين تاجرين لغناهما...»[2]، وأضاف المؤرخ كعت إلى أن الشريف أحمد الصقلي تزوج في تنبكت من مرأة مغربية الأصل تدعى زينب مقيمة في المنطقة ،وأنجب منها: مزوارا ومحمد وسليمان ورقية وزينب [3].

وبامتداد الحكم المغربي للمنطقة منذ عام 1000هـ/1591م نتج عنه ظهور وتكون هجين جديد من خلال زواج جيوش الحملة المغربية واداريها من نساء الطبقة الاستقراطية المحلية في المنطقة وقد سمي هؤلاء بالرماة أو الأرما، مفرد رام ،واللفظة مشتقة من الكلمة العربية (رامي) من جنود المشاة المسلحين بالبنادق أو الرماة[4].

3- الاحتفالات بالمناسبات الدينية:

كانت الشعائر وطقوس السائدة بالسودان الغربي ذات طابع وثني[5] ،وذلك قبل انتشار الحضارة العربية الإسلامية بالمنطقة، لكن وجدت بعض منها التي لا تتعارض مع التعاليم الإسلامية ، لكن رغم أنه من الصعب أن تغير ما إعتاد عليه أهالي المنطقة بين عشية وضحاها، إلا أن العقيدة الإسلامية ومبادئها انتشرت بشكل واسع في بلاد السودان الغربي، وتأثر سكانها بالثقافة العربية الإسلامية ،فأصبحوا يحيون الاحتفالات الدينية كاحتفال بقدوم شهر رمضان المبارك، و

[1] الهادي مبروك الدالي: التاريخ السياسي...،مرجع سابق،ص82.

[2] الوزان : مصدر سابق،ج2،ص166.

[3] كعت :مصدر سابق،ص180..

[4] سعد مطير غيث :مرجع سابق،ص377.

[5] أسماء أحمد الأحمر :مرجع سابق،ص168.

الاحتفال بعيدي الفطر والأضحى....وغيرها، وسيتضح ذلك من خلال ما يتم الإشارة إليه في ما يلي:

1- الاحتفال بشهر رمضان المبارك:

بقدوم هذا الشهر الفضيل ،كان الأهالي يستعدون له بشتى أصناف الأطعمة والحلوى، ويكثرون من العبادات وفعل الخير والتردد على المساجد ،و ذلك من أجل أداء الصلاة في مواقيتها ،وصلاة التراويح ،وصلاة الفجر[1]كما أن شهر رمضان بالرغم أنه شهر عبادة ،فقد كان الأهالي يأتون إلى أبواب المساجد قبل الغروب حيث يجلبون حبوب من التمر وقطع من الخبز والحساء ، من أجل تأدية العمل الخيري ويوزعون ذلك على المحتاجين من الفقراء[2]، ويضيف القاضي محمود كعت، بقوله: « ... وكان قاضيها في شهر رمضان من كل عام على عادتهم القديمة بصدقاته وهداياه ويفرقها عليهم وإذا كانت ليلة القدر يأمر بطبخ الطعام ثم يجعل المطبوخ في المائدة أي القدح الكبير ويحملها فوق رأسه وينادي قراء القرآن وصبيان المكتب ويأكلون وهم قائمون يأكلون تعظيما لهم... »[3].

أما حينما يرون هلال شهر رمضان المعظم، فإن العدول من الرجال يتوجهون إلى المشور ليدلوا بشهادتهم برؤية الهلال ويهرع العلماء من أجل حضور صلاة التراويح مع الباشا بعد صلاة العشاء ،ثم يتم سرد صحيح البخاري بالجامع الكبير ولا تنتهي إلا بنهاية الشهر، كما كانوا يكثرون من تلاوة القرآن الكريم وقراءة الشفاء للقاضي عياض، ويكلفون أحدا لشرحه للأطفال لقاء أجز أو هدية[4]، كما كانوا ويحتفلون بليلة القدر بكثرة الدعاء وتلاوة القرآن الكريم ،ويتكلف

[1] الهادي مبروك الدالي: التاريخ الحضاري ...،مرجع سابق،ص70.

[2] سعد مطير غيث :مرجع سابق،ص378.

[3] كعت: مصدر سابق،ص180.

[4] سعد مطير غيث: مرجع سابق،ص378.

حاكم المدينة في هذه الليلة بطبخ الطعام وتوزيعه على حفظة القرآن الكريم ،وصبيان الكتاب ،وعامة الناس احتفالا بها ،وسعيا لاكتساب توابه في هذا الشهر الكريم ،وهنا يعطينا مدى تعمق وتجسد الثقافة العربية الإسلامية بالمنطقة وتعمقها في نفوس سكان السودان الغربي.

وكثيرا ما يلتقي الأقارب في رمضان بالأقارب لتحقيق صلة الرحم، واستمرت ذات المظاهر التي تقام خلال شهر رمضان المبارك حتى خلال الوجود المغربي، وقد كانت تمنح كسوة سنوية للقاضي والمداحين ،وذلك بعد إنهاء سرد صحيح البخاري في نهاية شهر رمضان المبارك[1].

2- الاحتفال بعيدي الفطر والأضحى:

امتدت تأثيرات الحضارة العربية في السودان الغربي ،لتشمل الاحتفال بالأعياد الدينية كعيد الفطر الذي تهيأ له المراسيم ،وتطلق المدافع إيذانا بقدومه ويطل بعد انسدال ستار شهر رمضان المبارك ونهايته ،وكان لهذه الحفاوة بذلك العيد منذ الليلة السابقة له، حيث تتم مراقبة الهلال ،ومع التأكد من رؤيته يتم إطلاق طلقات من المدافع، وذلك من على أبراج قصبة تنبكت ،التي وضعت خصيصا لذلك الغرض، وقد نقلت هذه العادة من الشمال الإفريقي[2].

ومع ديوع خبر العيد تتعالى الصيحات ،وخاصة في المدن الكبيرة بالتكبير والتهليل ممزوجة بزغاريد النسوة تعبيرا عن الفرحة معلنة في ثناياها قدوم عيد الفطر المبارك، ويتسارع الناس إلى الطرقات مصطحبين الأطفال الذين يحملون الفوانيس المضاءة والمنيرة في تجولاتهم لشراء لوازم العيد من أطعمة وملابس وهدايا ،وكانت الفوانيس تعلق لإنارة الطرقات طوال ليالي العيد، وفي صباح يوم العيد ينطلق الرجال إلى الساحات العامة من أجل تأدية صلاة العيد ،وبعد الانتهاء منها

[1] الهادي مبروك الدالي: التاريخ الحضاري...،مرجع سابق، ص ص70،71.

[2] سعد مطير غيث: مرجع سابق، ص 379.

يتصافح الجميع لتهنئة بعضهم البعض بالعيد السعيد ،وتقوم الأسر والأفراد بزيارة بعضهم البعض لصلة الرحم والتصدق على الفقراء والمساكين[1].وكان لهذا العيد وقعا في نفوس سكان المنطقة[2].

أما الملوك فكانوا يصلون صلاة العيد ،على حصائر لا يفرشونها إلا للعلماء تكريما لهم ،أما في فترة الباشوات، فكان الباشا يخرج إلى المصلى في موكبه الرسمي ،على جواده محاطا بمجموعة من رجال الدولة، وقادة جنوده، وحملة من رجال الأعلام والموسيقى ،وتذبح أضحية العيد الخاصة بالباشا والقاضي ،وتحمل على ظهور الجياد السريعة وتقام ألعاب الفروسية والحفلات والموسيقى في الشوارع وتخرج الناس لمشاهدة تلك الألعاب بملابسهم الجديدة[3].

3- الاحتفال بالمولد النبوي الشريف:

كانت الاحتفالات التي تقام لإحياء ذكرى مولد النبوي الشريف، تأخذ طابعا فريدا ومميزا في منطقة السودان الغربي، وذلك لأن مولد سيد البشر صلى الله عليه وسلم يعتبر بمثابة العيد الرسمي للدولة[4]، وتجلى ذلك خاصة في المدن الكبرى على غرار تنبكت وجني ونحوها ،فكانوا يخرجون ليلة المولد النبوي إلى الشوارع يمدحون الرسول صلى الله عليه وسلم [5]،ويقومون بتزيين المساجد ويخرج الناس رجالا ونساء ومعهم حرائرهم وإمائهم يرتدون أبهى ملابسهم وزينتهم، فكانت مدن السودان لا تنام أو تهدأ فيها الحركة[6].

كما أن الاحتفال بميلاد النبوي الشريف ليس مستبعد ولا حتى مستغرب خصوصا في مجتمع انتشر فيه الإسلام واعتنق وتتبع ما جاء العقيدة الإسلامية ،وخير ما دل عن ذلك ما أشارت إليه

[1] سعد مطير غيث: مرجع سابق، ص 379.

[2] كعت: مصدر سابق،ص11.

[3] الهادي مبروك الدالي: التاريخ الحضاري...،مرجع سابق ،ص 72.

[4] محمد غربي :مرجع سابق،ص621.

[5] أسماء أحمد الأحمر :مرجع سابق،ص169.

[6] محمد غربي :مرجع سابق،ص619.

المصادر التاريخية ،خاصة ما قام به الشيخ أبا القاسم التواتي أحد أكابر علماء توات[1]، حيث أشار لذلك الموضع المؤرخ السعدي ،بقوله: «... الإمام سيد أبي القاسم التواتي...وأكثر إطعامه للمداحين لشدة محبته لمدح النبي صلى الله عليه وسلم...»[2]، وذكرت المصادر التاريخية أن أهالي تنبكت كانوا يجتمعون في الأعياد الدينية في ساحة تسمى (كلصخ)، اتخذوها موضعا يمتدحون فيه الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو موضع في مدينة تنبكت بالقرب من جامع سنكري يعظمه الأهالي كثيرا ،وسبب التعظيم أن أحد الصالحين رأى الرسول صلى الله عليه وسلم في المنام على ناقته في هذا المكان[3].

كما وجد بتنبكت موضع أخر اتخذ لمديح الرسول صلى الله عليه وسلم ،قيل أنه الموضع الذي أم فيه أحمد الشريف الصقلي أهالي تنبكت لما قدم من المشرق أوائل القرن 10هـ/16م، وقد جعلوا منه مكانا لمدح الرسول صلى الله عليه وسلم، يسردون فيه سيرته الفضيلة والعطرة وذلك في الأعياد الدينية، ومن القصائد التي كانت تقال في مدحه صلى الله عليه وسلم في مولده الشريف قصيدتا البردة والهمزية للبوصيري، والقصائد العشرينيات للفزاوي بتخميس ابن مهيب، ودلائل الخيرات للجزولي[4].

كما يتنافس ويتبارى شعراء المنطقة وذلك في من أجل تدبيج وتنظيم قصائد في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، قد ذكرت بعض المصادر التاريخية أن الفقيه محمد بابا بن محمد الأمين بن حبيب التنبكتي (ت 1605م)[5]، أنشأ قصيدة في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم في كل ذكرى مولد النبي، وذلك قبل وفاته بخمس سنين وتعرف ب: "جياد ملاح في الأمداح"، ومن الفقهاء

[1] سعد مطير غيث: مرجع سابق، ص ص380، 381.

[2] السعدي :مصدر سابق ،ص ص 58، 59.

[3] الهادي مبروك الدالي: التاريخ الحضاري... ،مرجع سابق،ص73.

[4] كعت:مصدر سابق،ص 18.أنظر:السعدي:مصدر سابق،ص59 .

[5] سعد مطير غيث: مرجع سابق، ص381.

الذين عرفوا بمدحهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم القاضي عمر بن محمود أقيت النحوي ،الذي وصف بأنه: «... المادح لرسول الله صلى الله عليه وسلم صباحا ومساءا ...»[1] .

وكانت تقام احتفالات دينية أخرى ،مثل الاحتفال بأول السنة الهجرية وعاشوراء[2]، وختم القرآن الكريم في الجامع الكبير وبذكرى مرور أربعين يوما على وفاة أحد العلماء أو كبار القوم. وقد أكثر أهل بلاد السودان الغربي من الصلوات التي لا تصحبها وترافقها حفلات أو مظاهر ملفتة للنظر، ومنها صلوات الاستسقاء ،والخوف والشكر وصلاة الكسوف' ومن الاحتفالات الاجتماعية الأخرى التي كانت تقام، تتمثل في، العقيقة والختان وختم جزء الرحمان ، وختم القرآن، والاحتفالات الجماعية بمناسبة خروج موكب الحج[3].

المبحث الثالث: الفنون

اشتهرت شعوب بلاد السودان الغربي بفنونها منذ القديم وكان فن النحت على الطين و الخشب والموسيقى المعتمدة على الطبول والأبواق، والأغاني والرقص من أبرز تلك الفنون وأكثرها انتشارا، بالإضافة إلى الفن المعماري[4]،فالفنون من الميادين والمجالات التي خضعت لمؤثرات الثقافة العربية الإسلامية[5]،وتشتمل ما يلي:

الموسيقى والغناء والرقص :

تعتبر كل من الموسيقى والرقص والغناء والنقش والنحت من الأقسام الرئيسية التي بلغ فيها الإفريقيون درجة معتبرة في الحذق والمهارة ببلاد السودان الغربي' وقد لاحظ العديد من الكتاب

[1] السعدي: مصدر سابق ،ص ص218،31.

[2] محمد غربي: مرجع سابق،ص621.

[3] الهادي مبروك الدالي: التاريخ الحضاري... ،مرجع سابق،ص73.

[4] محمد غربي :مرجع سابق ،ص ص616،622.

[5] سعد مطير غيث: مرجع سابق،ص381.

والرحالة العرب ذلك على أيام الممالك الإسلامية خاصة في كل من مالي وسنغاي عن مدى ولع الإفريقيين بالفنون باختلافها[1]،كما عرفت المجتمعات الإفريقية على العموم والمجتمع السوداني على وجه الخصوص، بمدى ميله الكبير لممارسة الفنون الشعبية من موسيقى وغناء ورقص والطبول ومختلف صنوف الطرب[2]، وقد برعوا في ذلك، حيث وصفهم القلقشندي بأنهم بارعون في الغناء والرقص و الموسيقى[3] .

وأشار لذلك المؤرخ مارمول كربخال بوصفه لأهالي المنطقة، بقوله: «...أهل السودان أشخاص يتصفون بالليونة والظرافة وحسن المعاملة والبشاشة، يغنون ويرقصون على نغمات طبول ومزامير...»[4] ،كما أشار المؤرخ الوزان لذلك، بقوله: «... وقد فطر أهل تنبكتو على المرح،

وتعودوا على التجول في المدينة بين الساعة العاشرة ليلا والواحدة صباحا، وهم يعزفون على آلات الطرب ويرقصون...»[5].

و نجد أنه بالرغم من خضوعها لمؤثرات الثقافة العربية ،قد احتفظت الموسيقى السودانية بإيقاعها في العهد المغربي ،وعلى رغم من دخول الآلات المغربية كالآلة الوترية التي تسمى (الكنبري) وأشكال من المزامير القصبية أو الفخارية[6] ،فإن الأوزان والسلاليم ظلت سودانية صرفة، وكان الغناء جماعيا وسريعا على العموم، كما تعتبر الطنابير الملكية التي كانت لا تفتأ تدق في كل مناسبة يخرج فيها الملك للقيام بجولة في المدينة أو للسفر، أما فيما تعلق بخروج الجيش للمعارك

[1] عبد القادر زبادية: الحضارة العربية...،مرجع سابق،ص86.

[2] الهادي مبروك الدالي: التاريخ الحضاري...،مرجع سابق،ص31.

[3] القلقشندي :مصدر سابق،ج5،ص224.

[4] كربخال مارمول :مصدر سابق،ج3،ص203.

[5] الوزان: مصدر سابق،ج2،ص167.

[6] أنظر: الملحق رقم 05، ص 172.

فكانت ضربات الطبول لا تتوقف حتى وهو في المعركة ،وأثناء الدخول في المعارك يهتف الناس مغنين ومنشدين حتى يندفعوا بحماس وشجاعة من أجل إرهاب أعدائهم[1].

وفيما يتعلق بالغناء فكان المغني بمثابة لسان حال مجتمعه ،ولم يقتصر الغناء على المرأة فقط بل حتى الرجل كان يمتهن هذه المهنة ،بحيث كان يتغنى بجمال المرأة وحسبها وأخلاقها، ويتضمن الغناء مدح قبيلة أو سلطان أو أشخاص ،واستعملت نساء سنغاي أثناء الغناء آلات منها المزمار والعمود والدفوف، وكان يتخلل ذلك العزف على الآلات الموسيقية مقاطع غنائية متنوعة مع زغاريد ،وكانت الأغاني تمس الجانب الاجتماعي وتراعي بما يحيط بالمجتمع وما هو سائر به[2]. وأدخل البربر آلة تشبه الأرغن تعزف على أربعة عشر إيقاعا، ومع امتداد الحكم المغربي إلى منطقة السودان العربي، و بفضل التأثير المغربي شاع استعمال الصنجات الخشبية الأندلسية والرباب والكنبري والغيطة[3]، وكانت نساء المغاربة يقومون باستدعاء فرق الغناء إلى بيوتهن في المساء، ويطربن لسماع الموسيقى والغناء والرقص ،كما أن الباشوات لا يتنقلن للسفر في النهر أو في البر إلا وبصحبتهم جوقة موسيقية ،وفي العاصمة فإن الموسيقيين يجتمعون في فناء المشور بعد صلاة العصر، بحيث يسعون للرقص لفترة طويلة من الزمن[4].

وعرفت الطبول بأنواعها منها الكبيرة التي يستعملها الحرس الملكي بالجيش، أما الصغيرة منها فيستعملها عامة الناس، كذلك اعتمد رؤساء الولايات وكبار الموظفين في مملكة سنغاي فقد كان لكل منهم فرقته الخاصة به تضرب الطبول وتغني وترقص، سواء بقدومه إلى العاصمة أو في تنقلاته داخل الأقاليم[5].

---

[1] سعد مطير غيث: مرجع سابق، ص382

[2] السعدي: مصدر سابق،ص87.

[3] محمد غربي: مرجع سابق،ص ص616،617.

[4] الهادي مبروك الدالي: التاريخ الحضاري...، مرجع سابق،ص32.

[5] عبد القادر زبادية: مملكة سنغاي...، مرجع سابق، ص 164.

أما على المستوى الشعبي فكان أصحاب الموسيقى يتوجهون إلى السوق في المساء ويقمون حفلات عمومية يكثر فيه المشاهدون ويدفعون لهم المال مع انتهاء كل وصلة[1]، كما عرف لديهم الأبواق واتخذوها في الأغلب من قرون الأبقار وأنياب الفيلة، غير أن استعماله كان رسميا أكثر منه شعبيا وعاما، واستعملوا قصبات اليرع كمزامير وكانت هذه الأخيرة متعددة الثقوب، وكذا الدفوف والقنين والقنينات التي أتى بها الأسكيا محمد بنكن على أيام مملكة سنغي[2]، وأثناء الغناء بداية تكون بشخص واحد ثم يشاركه الحضور في الغناء، أما في المواكب الرسمية فكانت لاتغني سوى المجموعة المخصصة لذلك الغرض، وهذا يعطينا صورة على أن الولع بالغناء والموسيقى والرقص وتعاطيهم كان يشمل الرسميين من الدولة وعامة الشعب في آن واحد[3].

وكانت مهنة الغناء تختص بها قبائل معينة في المنطقة ،فقبيلة المابي في تنبكت وجاو، هي التي امتهنت هذه المهنة بالدرجة الأولى ،وكانت يتعاطون مقابل ذلك على هدايا، كان هناك الشعراء الذين ينظمون القصائد، وأغلبها في مدح القبيلة أو شخص ما يتقاضون أموالا طائلة مقابل ذلك[4]، و نتاجا لولع أهل بلاد السودان الغربي بالغناء والموسيقى والرقص فقد اعتادوا على ممارسة عادة الطبول، وهذه الأخيرة رغم عدم وجودها في الإسلام ،غير أنهم لم يستطيعوا التخلص منها بسهولة، رغم قبولهم بالأنماط الإسلامية ،غير أنهم طوعوها وذلك لما قاموا بإدخالها في حلقات الأذكار، التي كانت تمارسها الحركات الصوفية التي كانت منتشرة في المنطقة، مثل الطرق الصوفية التي كانت منتشرة في المنطقة، مثل الطريقة القادرية حيث كان مؤيدوها يضربون الطبول، ويمارسون

[1] محمد غربي :مرجع سابق، ص617.

[2] السعدي: مصدر سابق ،ص 87.

[3] عبد القادر زبادية :مملكة سنغاي...، مرجع سابق،ص ص164،165.

[4] الهادي مبروك الدالي: التاريخ الحضاري...، مرجع سابق،ص33.

بعض الحركات البهلوانية، التي هي بالتأكيد امتداد لممارساتهم التي كانوا يقومون بها في حلقات الغناء والرقص والطرب قبيل اعتناقهم للعقيدة الإسلامية وخضوعهم لمؤثرات وتعاليمها[1].

أما الرقص هو الآخر كانوا يشتركون فيه أيضا بشكل جماعي، ويسيرون على ضربات الطبول ، ولكن بدون انتظام إيقاعي دقيق، وذلك لأن الرقص كان يثير فيهم نوعا من الهوس، فكانوا يندفعون كلما استمر ذلك، فيختل النظام وتسود الجلبة والصخب[2]،ولكن بفضل انتشار الإسلام في المنطقة، ورسوخ مفاهيم العقيدة الإسلامية في تلك الأصقاع زالت واختفت بعض المظاهر الصاخبة وما تحتويه من جلبة وضوضاء، كانت تقترن بالحفلات الوثنية التي كانت تقام [3]، ولم يبقى ويعد هناك وجود لمدلول العبارة الشهيرة والمعروفة عن إفريقيا الوثنية وتمثلت في المقولة التالية: « إذا غربت الشمس رقصت أفريقيا »[4].

أما فيما يتعلق بفن النحت فقد تضاءلت أهميته مع انتشار الإسلام وتشدد العلماء في تحريم تقليد صور الحيوانات والأشخاص التي هي من مخلوقات الله وحده، فنجد أن العديد من الطقوس والعادات الإفريقية زالت بفضل انتشار الإسلام وعقيدته وترسخها العميق في نفوس سكان منطقة سودان الغربي[5].

[1] سعد مطير غيث: مرجع سابق، ص383.

[2] عبد القادر زبادية : مرجع سابق،ص165.

[3] أسماء أحمد الأحمر :مرجع سابق،ص169.

[4] كربخال مارمول: مصدر سابق،ج3،ص 203.

[5] محمد غربي :مرجع سابق،ص616

شهدت منطقة السودان الغربي على أيام مملكة سنغاي ،التي اعتبرت من أكثر الممالك الإسلامية في المنطقة، تطبعا بمفاهيم الإسلام مما جعلها تولي اهتماما كبيرا لنشر العلم وتشجيع رجال التعليم وجموع طلاب العلم ،كما نجد النظم التعليمية ببلاد السودان الغربي تشبه كثيرا في سماته النظم التعليمية السائدة في الأقطار العربية الإسلامية خلال فترة الدراسة، ولا سيما في بلدان الشمال الإفريقي، خاصة في كل من فاس ومراكش وتلمسان والقيروان...إلخ[1]

المبحث الاول: الجانب العلمي:

أ- مراحل التعليم:

لم تختلف نظم التعليم السائدة في بلاد السودان الغربي في فترة الدراسة عن ما كان سائدا في بلاد المغرب الإسلامي ،حيث انقسمت مراحل التعليم التي كانت سائدة في بلاد السودان الغربي إلى المراحل التالية:

1- مرحلة التعليم الأولى (الكتاتيب)[2] : ويتلقى فيها الولد المبادئ الأولية لتعليم، فيتعلم كيفية القراءة والكتابة[3]، وتعرف ب: (المدارس القرآنية)[4] وتعتبر هذه المرحلة الوحيدة التي يراعى فيها إلى حد ما، مستوى السن فكان التلاميذ في هذه المرحلة لا يتجاوزون في الأغلب مرحلة الصبا، و

[1] عبد القادر زبادية :مملكة سنغاي...،مرجع سابق،ص141.

[2] الكتاتيب: جمع والمفرد كتاب، يتلقى فيها الصبيان مبادئ القراءة والكتابة والحساب وحفظ القرآن الكريم وأصول الذين وقصص الأنبياء والسيرة النبوية ، وكانت الكتاتيب تسمى في المشرق العربي (المكتب القرآني) ،وفي السودان الشرقي (الخلوة)،وفي ليبيا (الكتاب)، وفي بلاد المغرب (المسيد)، وهو تحريف لكلمة مسجد ،وفي بوادي بلاد المغرب (جامع)، لأن التعليم منذ الأيام الأولى لانتشار العقيدة الإسلامية كان يمارس بالجوامع والمفرد جامع. أنظر: مطير سعد غيث: مرجع سابق،ص220.

[3] زينب سالمي: **الحركة العلمية في إقليم توات خلال القرون 08-10هجرية**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، جامعة أبي بكر بلقايد ،الجزائر، 2011-2012،ص59.

[4] سينيكي مودي سيسوكو: مرجع سابق،ص220.

هذه المرحلة هي حجر الأساس في التعليم، مدة بقاء الطالب فيها تتراوح ما بين الخمسة إلى ستة أعوام أو سبعة في المتوسط، أي حتى السنة الثانية عشرة أو الثالثة عشرة من العمر[1]، كما يدرب خلالها على الصلوات الخمس و تحفيظ القرآن الكريم عن طريق الألواح وهكذا بكتابة بعض الآيات من القرآن الكريم، و عندما يحفظها ويعرضها على معلمه يقوم بمحيها وهكذا [2]،

وأما فيما يتعلق بأماكن التدريس في هذه المرحلة يتخذ المعلمون لطلابهم مجالس في العراء أو تحت ظلال الأشجار لتعليمهم، أو في مدارس ملحقة بالمساجد ،فكانت بجانب كل مسجد غرفة أو اثنان مخصصة لتعليم، كما كانت هنالك نزلا لإقامة الطلاب القادمين من أماكن بعيدة، غير أن المساجد ظلت بمثابة المقر الرئيسي لتلقي العلم فكان يقام بها حلقات الدراسة والمناقشة في المسائل الدينية[3].

ومن المواد التي كان يدرسها الطلاب في هذه المرحلة مواد مهمة وأساسية كحفظ القرآن الكريم والصلاة والإلمام بمبادئ اللغة العربية و الفرائض وإتقان الخط، أما عن توقيت الدراسة فكانت المدارس تفتح صباحا نحو 3 ساعات ،والمساء نحو9 ساعات بعد الظهر غير أن الأطفال يتوجهون بالتناوب وباستمرار في ساعات مختلفة طيلة اليوم، ومن حفظ القرآن يعتبر قد أنهى دراسته، وفيما يتعلق بأسلوب وطريقة التدريس فكان الأطفال يلتفون حول مدرسهم في شكل دائري، و أشار المؤرخ السعدي، بقوله: « ...وروى أنه كان في مدرسته ذات يوم، تحت الصومعة من خارج يقرأ

[1] عبد القادر زبادية: **القرن 16 وحركة التعليم في تمبكتو مركز التبادل الثقافي الأول مع العرب، مجلة المؤرخ العربي** ، بغداد، العراق، ع14،1980، ص213.

[2] الهادي مبروك الدالي :التاريخ الحضاري ...،مرجع سابق،ص144.

[3] أسماء أحمد الأحمر: مرجع سابق،ص145.

وحوله عصابة من الطلبة... »[1] ،فكان هذا منظرا جميلا لنواة المجتمع العلمي ،وقد يصل عدد الصبيان في المدرسة إلى 123صبيا[2].

اما ما تعلق بمنهج الدراسة في هذه المرحلة كان ذا طابع مغربي ،وذلك نتيجة للعلاقات الثقافية التي ظلت تربط منطقة السودان الغربي بالشمال الإفريقي منذ القرن 5هـ/11م ،وقد وضحت معالم هذا المنهج في الأسلوب والكتابة والخط[3]، وفي بداية هذه المرحلة كان التعليم يقتصر على الفقهاء والدعاة الوافدين من الشمال الإفريقي ،لكن سرعان ما تكونت وظهرت طبقة مثقفة من الوطنيين الأفارقة ،تولت مهمة التعليم في سنغاي ،ومعظمهم من الذين أتقنوا اللغة العربية لغة الذين والثقافة[4]، فهده المرحلة الابتدائية يركز كثيرا على الحفظ وقوة الذاكرة، وفي الغالب الأعم ، عندما يتمكن الصبي من حفظ القرآن الكريم يقام له احتفال كبير حيث يركبونه دابة ويطوفون به شوارع المدينة[5]، و في ذكر لعدد الكتاتيب في السودان الغربي، أشار لذلك القاضي محمود كعت ،بقوله: «... وفيها مدارس معلم للصبيان الذين يقراون القرءان ماية وخمسين او ثمانين مكتبا...»[6].

[1] السعدي :مصدر السابق،ص51

[2] عبد الحميد جنيدي: **الحياة الثقافية في مدينة تنبكت (تمبكتو) في القرن 10هـ/16م، مجلة دراسات وأبحات**، جامعة الجلفة، الجزائر، ع6، 2012 ،ص207.

[3] عبد الله الطالب محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي الولاتي: **فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور**، تح: محمد ابراهيم الكتاني، محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط1، 1981 ،ص10.

[4] عصمت عبد اللطيف دندش: مرجع سابق،ص168.

[5] مطير سعد غيث: مرجع سابق،ص221.

[6] كعت: مرجع سابق،ص180.

2- مرحلة التعليم الثانوي :

لم تعرف فوارق واضحة بين التعليم الثانوي والتعليم العالي، ويرجع ذلك أن هذه المرحلة كان التعليم فيها حرا بالنسبة للانخراط الطلبة، لا يشترط عرف معين في العمر فالتعليم في هذه المرحلة كانت تدرس فيه المواد الأكثر وضوحا وبساطة كالنحو والبلاغة والفرائض وكانت كتب المقررة والتي تدرس في هذه المرحلة لا تحوي الكثير من التفصيلات، أما أماكن الدراسة في هذه المرحلة تتم في مساجد صغيرة كمسجد الونكريين في تنبكت ...وغيرها[1].

3- مرحلة التعليم العالي:

يعتبر التعليم العالي أعلى مرحلة في السودان الغربي آنذاك ،وهي تحاكي المرحلة الجامعية في عصرنا هذا ،وتعتبر مرحلة متقدمة في السلم التعليمي ،حيث ينتقل الطالب في هذه المرحلة من دراسة المجمل إلى المفصل، ومن الاختصاصات إلى الشروح والتعليقات والمسائل الدقيقة، وتناقش مسائل فيها على مستوى أمهات الكتب والمؤلفات الكبيرة التي عرفها المسلمون حتى ذلك العهد[2]، وكانت حلقات التدريس التي يتصدرها الأساتذة عبارة عن ندوات تجري فيها المناقشات الجدالية والفقهية ،فقد كان منطق أرسطو والفلسفة اليونانية ومقامات الحريري مدرجة في قائمة مواد المنهاج، وكانت طريقة دراسة النحو تعتمد على الاستنتاج ،إذ يقرأ الطلاب النص الأدبي ويناقشون من خلاله بعض المسائل النحوية ثم تستخرج القاعدة[3].

واحتضنت تنبكت هذا التعليم متمثلة في جامعة سنكري التي كانت المركز الأساسي للتعليم العالي في المنطقة ، ولا يجلس فيها إلا الأساتذة الذين لهم باع ومتضلعون ،وكان من بينهم كثير من المغاربة الذين كان لهم دور كبير في المساهمة في تنشيط الحركة التعليمية وتعميقها ، ومن أشهرهم

[1] عبد الحميد جنيدي: الحياة الثقافية...،مرجع سابق،ص207.

[2] عبد القادر زبادية: مملكة سنغاي ... ،مرجع سابق،ص144.

[3] مرزقلال لعماري :مرجع سابق،ص87.

محمد بن عبد الكريم المغيلي، سيدي يحي التادلسي ، مخلوف البلبالي، إبراهيم الزلفي ...إلخ، بالإضافة إلى عدد من علماء توات، ومما دل على تضلعهم هو أنا أمهات الكتب التي كانت تدرس في المشرق والمغرب العربيين ،كانت تدرس كذلك بالمنطقة خلال هذه الفترة [1]، ومن العلوم التي كانت تدرس: الحديث والفقه والعلوم الإنسانية كالتاريخ والمنطق والفلك والعلوم العلمية كالرياضيات والهندسة[2] .

ب– هياكل التعليم ومراكزه: المسجد في التاريخ الإسلامي لم يكن أول معهد للتعليم فقط، بل كان كذلك مقرا ومكانا للعبادة والقضاء ،ومنبرا للحث على الجهاد، وتجييش الجيوش...إلخ ، ولم يقتصر دوره في البداية على الوعظ والإرشاد والتربية والتعليم الإسلامي البحث فقط ،بل تجاوزه إلى تدريس المواد الأخرى ،مثل العلوم اللغوية والفلسفية والتاريخية وغيرها.

فالمساجد كانت بمثابة النواة الأولى للتعليم الجامعي في الإسلام ،كما كانت المكتبات ملحقة بها تضم عددا كبيرا من الكتب في مختلف العلوم[3] ،فجامعة القرويين[4] بفاس تعتبر من أقدم الجامعات في العالم ،إضافة إلى الجامع الأزهر[5] بمصر والزيتونة بتونس...وغيرها، تعتبر المساجد

---

[1] عبد القادر زبادية: مملكة سنغاي....، مرجع سابق،ص144.

[2] سينيكي مودي سيسوكو: مرجع سابق،ص220.

[3] محمد فاضل علي باري وسعيد إبراهيم كريديه: مرجع سابق،ص102.

[4] جامعة القرويين :من أقدم جامعات العالم الإسلامي ،فقد سبقت في الظهور جامع الأزهر بمصر بعشر سنوات والزيتونة بتونس، وكانت مركزا لدراسة أبناء السودان الغربي، تأسست جامعة القرويين بفاس عام 245هـ/859 م، ولم تلبث حتى ذاعت شهرتها، وقصدها الطلاب من كل مكان خاصة من إفريقيا والأندلس ،لتلقي علوم التفسير ،والحديث والفقه، و الأصول، والفلك والطب والهندسة، وعلوم العربية من لغة وشعر وأدب ،كما أصبحت هذه الجامعة شاهدا على ديمقراطية التعليم، وعلى طرق التدريس ومراحل التعليم والدرجات العلمية ،والإجازات الفخرية ،والمساكن الجامعية للأساتذة والطلاب ، والمكتبات الجامعية العامة...إلخ. أنظر: عصمت عبد اللطيف دندش :مرجع سابق، ص167.

[5] الجامع الأزهر: كان مركزا ثابتا ومنارة للإشعاع العلمي ،أنشأه القائد الفاطمي جوهرة الصقلي، مولى الخليفة المعز لدين الله الفاطمي ،سنة 859هـ، الذي ارتبط اسمه ببناء القاهرة ،قصده الأفارقة من جميع أنحاء القارة طلبا للعلم وغيرهم من دول

حارسة عالم الإسلام[1] ، ومراكز رئيسية لنشر و ترسيخ الثقافة العربية الإسلامية بين أفراد وطبقات المجتمع ومنها انطلقت شهرة الكثير من العلماء والفقهاء والأدباء، ليصبحوا مع مطلع القرن 16م بمثابة جامعات إسلامية ومراكز للثقافة والتربية والتعليم تستقطب الطلاب المتشوقين للعلم من كل مكان من منطقة السودان الغربي وخارجه[2]، وفيما يلي لمحة موجزة عن هذه المساجد:

1- المسجد الكبير[3]:

يعتبر المسجد الكبير أول مسجد تم بناؤه في مدينة تنبكت، ويسمى عند أهل تنبكت " بجنكر بير" أو "جنجر بير" ومعناه المسجد الكبير ،تم تشييده عام 726هـ/1327م، على يد السلطان منسى موسى بعد عودته من الحج، وهو من تصميم المهندس الأندلسي أبوعبد الله الساحلي[4]، صومعته متكونة من خمسة صفوف، وفي خارجه توجد القبور من جهة اليمين والغرب، وتلك عادة أخدها أهل المنطقة عن المغاربة، حيث لا يدفنون موتاهم إلا في رحاب مساجدهم وجوامعهم خاصة أضرحة العلماء والصالحين، وقد أدخلت عليه تحسينات ووسعت مساحته مرتين خلال القرن السادس عشر الميلادي من طرف قاضي تنبكت العاقب بن القاضي

العالم الإسلامي ،مما جعله المركز الإسلامي الأول آنذاك ،وخصصت لهم أروقة خاصة لإقامة طلابهم، كان أشهرها رواق التكرور. أنظر: شوقي عطا الله الجمل: الأزهر...،مرجع سابق،ص11.

[1] حسين مؤنس: **المساجد** ،عالم المعرفة ،الكويت،1981،ص28.

[2] شوقي عطا الله الجمل: الحضارة العربية...، مرجع سابق ،ص ص 148، 149.

[3] أنظر: الملحق رقم 03،ص 170، الملحق رقم 04،ص171.

[4] هو الشاعر الغرناطي الأندلسي أبوعبد الله الساحلي، كان مهندسا معماريا بارزا، التقى بسلطان مالي الحاج موسى الأول في موسم الحاج فجلبه معه إلى بلاد السودان الغربي سنة 1326م، فبنى له في مدينة تنبكت مسجدا وقصرا ،أما في العاصمة "يني" آنذاك فبنى له قصرا أخر ،ومنذ ذلك الوقت اخد الفن المعماري على الطراز الإسلامي المغربي الأندلسي نشر في المنطقة السودان الغربي. أنظر: زبادية عبد القادر: الحضارة العربية...،مرجع سابق،ص65وشوقي عطاالله الجمل: مرجع سابق،ص159.

محمود[1] ،لكي يسع جموع قاصديه من الطلبة والمصلين[2] ،وقد تحول فيما بعد إلى مركزا ثقافي كبير ومنارة علمية لدراسة العلوم الإسلامية ،على غرار ماهو سائد في المناطق الإسلامية[3].

2- مسجد سنكري[4]:

يقع في الجزء الشمالي من مدينة تنبكت[5]،بنته سيدة أغلالية فاضلة، قيل أنها كانت من الموسيرات، لكن تاريخ بنائه يبقى غير معروف، ويقول السعدي في إشارته لذلك «... أما مسجد سنكري فقد بناها [بنته] امرأة أغلالية ذات مال كثيرة في أفعال الخير ولكن لم نجد لبنائها تاريخا...»[6]، لكن هناك من يعيد تأسيسه إلى القاضي العاقب وذلك سنة 989هـ /1581م ، ومنهم من يرى بأنه بني قبل المسجد الكبير أي قبل سنة 1327م، بينما يرجع البعض بناءه إلى أعوام قليلة بعد سنة 1325م، في حين يرجع الباحث "سينيكي مودي" تاريخ بناءه إلى النصف الأول من القرن 9هـ/15م[7].

أما الرحالة الألماني هنري بارث يشير بأن مسجد سنكري بني قبل المسجد الكبير ،أي قبل عام 1327م[8]، هناك من يؤكد بأنه أنشئ للدراسة عام 1450م، غير أن التاريخ الذي تبت من خلال الإشارتين التاريخيتين التي قدمهما المؤرخ السعدي والتي من خلالهما يمكن تحديد تاريخ تأسيسه، وأن بنائه تم في الفترة التي سبقت القرن 10هـ/16م، الأولى تفيد بأن الفقيه محمود بن

---

[1] السعدي :مصدر سابق ،ص ص 56،57.

[2] عبد القادر زبادية: مملكة سنغاي...،مرجع سابق،ص65.

[3] محمد فاضل علي باري وسعيد إبراهيم كريديه: مرجع سابق،ص104.

[4] أنظر: الملحق رقم 03، ص 170.

[5] عثمان بريما باري عثمان :مرجع سابق،ص24.

[6] السعدي: مصدر سابق،ص62.

[7] سينيكي مودي سيسكو: مرجع سابق،ص219.

[8] عبد الحميد جنيدي: الحياة الثقافية...،مرجع سابق،ص203.

عمر أقيت هو أول من تولى الإمامة بجامع سنكري، وذلك بقوله: «... فتولى امامتها كثير من الأشياخ رحمهم الله تعالى...أما الذين عرفنا ترتيبهم فالولى [الأول] أبو البركات الفقيه محمود بن عمر بن محمد أقيت...»[1] ، الذي عاش خلال النصف الثاني من القرن 9هـ/15م والنصف الأول من القرن 10هـ/16م[2].

أما الرأي الثاني فيفيد ويظهر، ما أشار إليه السعدي ،بقوله: «... ولما أكل بمجيئه أحضر ألف جمال رحل فقهاء سنكري ومشى بهم إلى بير فقال إن شأنهم هو الأهم عليه ومشى بهم الفقيه عمر بن محمد أقيت...»[3]، و تفيد هذه الإشارة أن "أكل" سلطان الطوارق عندما سمع بمهاجمة سني علي لتنبكت، عمل على ترحيل علماء سنكري خارجه ،مما دل على ان المسجد كان موجودا زمن سني علي أي في القرن 9هـ/15م[4].

وفيما يتعلق بالإفادة التي قدمها القاضي محمود كعت فيذكر أن مؤسسه هو القاضي العاقب سنة 989هـ/1581م على قياسات وأبعاد الكعبة، وذلك بقوله: «...شرع في بناء مسجد سنكري رحمه الله وأخبرني بعض الشيوخ أنه لما حج واراد الانصراف والقفول إلى تنبكت استأذن خدم الكعبة المشرفة ان يحد الكعبة ويكيله بقدمه طولا وعرضا فأذنوا له وكاله بالحبل ... فلما أراد بناء مسجد سنكري اخرج ذلك الحبل...»[5]، غير أن هذه الإفادة في حقيقة الأمر يقصد بها إعادة بنائه وترميمه وتوسعته وإعادة تجديد بعض أجزائه، وخاصة أن القاضي العاقب بن محمود أقيت اشتهر بترميم وإعادة تجديد عدد من مساجد المنطقة[6].

---

[1] السعدي :مصدر سابق، ص ص 62،63.

[2] سعد مطير غيث: مرجع سابق،ص194.

[3] السعدي :مصدر سابق،ص65.

[4] لعماري مرزقلال: مرجع سابق،ص95.

[5] كعت: مصدر سابق ،ص 121.

[6] مطير سعد غيث: مرجع سابق ،ص195.

وتفسر الرواية الشفوية بتنبكت سبب تسميته سنكوري، وذلك لأن السيدة فاطمة الأغلالية التي سبق الإشارة إليها كانت امرأة تقية فاعلة للخير دون رياء[1]، لهذا السبب رفضت أن يسمى هذا الجامع على الذي أنفقت على تشييده من مالها الخاص، لهذا سمي سنكوري ومعناها باللهجة المحلية السودانية تعني: (السيدة البيضاء) ، وهناك من يرى أن تسميته أطلقت على حي من أحياء تمبكتو كان به المسجد، وكانت أخر توسعة شهدها المسجد عام 1585م. وهذا يعطي إشارة على مدى تكاثر الطلبة و ازدهار التعليم فيه، مما جعله ينفرد باحتلال المرتبة الأولى من بين جوامع تنبكت.

حيث قامت به نهضة علمية وثقافية زاخرة ،وذلك بحمله شعلة لواء الوعظ والإرشاد والإقراء، و درست به مختلف العلوم ليتطور فيما بعد إلى أكبر جامعة في مجال التعليم العالي في بلاد السودان الغربي ومن أهم مراكز التعليم في العالم الإسلامي في ذلك الوقت، ومكنها ذلك من تبوئها مكانة المدينة الأولى للعلم والثقافة في العالم الإسلامي، وقد انفتحت وارتبطت هذه الجامعة على العديد من مراكز العلم في الأندلس والشمال الإفريقي في كل من فاس ومراكش وبجاية وتونس وطرابلس الغرب[2].

كما كان التشابه واضحا بينها وبين جامعات القرويين بفاس في التدريس وأساليبه وفي المناهج التي كانت تدرس والمقررات في هذه الجامعة وفي مدينة تمبكتو [3]،وأصبح المسجد واحد من أكبر مراكز المعرفة الكبرى ومنارة علمية، وكذلك أضحى مقرا وملجأ لمثقفي الأندلس الذين فروا إلى الشمال الإفريقي ومر بعضهم إلى السودان الغربي بعد سقوط غرناطة سنة 1492م حاملين معهم

[1] عياش دراجي: مرجع سابق.

[2] عبد الجليل التميمي: **الروابط الثقافية المتبادلة بين تونس وليبيا ووسط وغرب إفريقيا خلال العصر الحديث ،مجلة التاريخية المغربية** ،تونس، ع7،1981،ص ص9،12.

[3] سعد مطير غيث: مرجع سابق،ص195.

ثقافة بلادهم، ويحتمل أن تكون المنطقة (تنبكت) قد اكتسب ميزاتها المعمارية بعدما استقبلت هذه الهجرات[1].

3- مسجد سيدي يحي:

ويسمى كذلك مسجد "سيدي يحي التادلسي" ويعد أول مسجد بني في مدينة تنبكت على ملك مقشرن، فترة دولة الطوارق وذلك خلال القرن 5هـ/11م[2]، أما المؤرخ "عبد القادر زبادية" فيذكر بأنه، بني وشيد تخليدا لأحد علماء المغرب الذين باشروا التعليم في تمبكتو خلال النصف الأولى من القرن السادس عشر فاجتهدوا في تعليمهم وأفادوا الناس، كما عمل على نشر تعاليم الدين الإسلامي[3]،أما الباحث "سينيكي مودي" فيرى أن تاريخ تأسيسه يعود لنصف الأول من القرن الخامس عشر[4].

وهناك رأي أخر يفيد بأن تأسيسه وتشييده يعود "محمد نقى" هذا الأخير من قبيلة "آجر" الصنهاجية وحاكم تنبكتو، وذلك من قبل السلطان الطوارق آنذاك وهو السلطان "آكل"، ولكن من المحتمل أن يكون قد شيد حوالي منتصف القرن 9هـ/15م ، وذلك لأن فترة حكم الطوارق لهذه المدينة مدة أربعين عاما (837-876هـ/1433-1471م) وظل الحكام يجددونه بين فترة وأخرى، وقد بني على الطراز المغربي الإسلامي، وهو أصغر حجما بكثير ،مقارنة بالمسجدين السابقين[5]، جدرانه أقل ارتفاعا ،ويتوسط المدينة اندثر هذا المسجد وخرب بعد زوال وانهيار دولة الطوارق ،لكن سرعان ما قام حاكم تنبكت الجديد محمد نض الشنقيطي بإعادة بنائه

[1] الهادي المبروك الدالي: التاريخ الحضاري...،مرجع سابق،ص132.

[2] محمد فاضل علي باري، وسعيد إبراهيم كريديه: مرجع سابق،ص106.

[3] عبد القادر زبادية: الحضارة العربية...،مرجع سابق،ص65.

[4] سينيكي مودي سيسوكو: مرجع سابق،ص219.

[5] عبد الحميد جنيدي: الحياة الثقافية... ،مرجع سابق،ص204.

وتجديده ،ونصب الولي الصالح سيدي يحي التادلسي إمام عليه، وبذلك حمل المسجد اسمه، واستمر في إمامته حتى انتقل إلى رحمة الله سنة 888هـ /1483م،بعد ذلك قام القاضي العاقب بناء هذا المسجد ووسعه عام976 هـ /1568م، وكانت المرة الثالثة التي يتم فيها تجديده وذلك على أيام الأسقيين خلال القرن 10هـ/16م ،فوسعه وأضفا عليه، إضافات هامة ، ولايزال قائما إلى يومنا[1] .

4- مسجد الهناء:

أطلق عليه "جامع الهنابي" و"سوق تنبكت"[2]و" مسجد الهناء" ، يقع في الجهة الشمالية الغربية من تنبكت، يرجع تاريخ تأسيسه إلى سنة عام 949هـ/ 1542م من طرف القاضي العاقب، الذي فرغ من تجديده لمساجد الأخرى الأنفة الذكر[3].

5- مسجد التواتين:

يعود تأسيسه إلى محمد بن علي التواتي الذي قدم من توات إلى تنبكت عام 920هـ /1514م مع مجموعة من أهالي توات ،ويقال أنه قد حدثت خلافات دينية بينهم وبين بعض علماء تنبكت ،ما دفع هؤلاء التواتيين من بناء هذا المسجد لهم من أجل تأدية الصلاة والدراسة فيه ،وقد انضم إليهم في ذلك مجموعة من أهالي تنبكت[4]، وهناك رأي أخر يعود لمؤلف كتاب "السعادة الأبدية" الذي يعيد تاريخ بنائه إلى سنة 1190هـ/1776م[5]. أمه مجموعة من الأئمة

[1] الهادي المبروك الدالي: التاريخ الحضاري...،مرجع سابق ،ص137.

[2] كعت: مصدر سابق، ص ص122،121.

[3] محمد فاضل علي باري ،وسعيد إبراهيم كريديه: مرجع سابق،ص107.

[4] الهادي المبروك الدالي: مرجع سابق ص ص 137، 138.

[5] محمد فاضل علي باري، وسعيد إبراهيم كريديه: مرجع سابق،ص107.

وكان أخرهم الفقيه محمود الزغراني التنبكتي واستمر حتى انتقل إلى رحمة الله سنة 1011هـ /1602م .

كما وجدت مساجد أخرى غير التي سبق الإشارة إليها وثمتلث في كل من: مسجد القصبة ،ومسجد الكبير ومسجد تندرم ، كما أضاف الرحالة الفرنسي "رونيه كالييه" بإحصاء خمسة مساجد أخرى لكنها صغيرة، أما الرحالة الألماني بارث: أكد على وجود ثلاثة مساجد أخرى ، باستثناء مسجد الجامع – مسجد سنكري- مسجد سيدي يحي ،وهم جامع سيدي حاج محمد، وجامع مسعد بلال وجامع سيدي بامي (البامي)[1].

2 – المواد الدراسية ومقرراتها:

من المواد التي كانت تدرس في بلاد السودان الغربي ،علوم القرآن الكريم ، لأنها تعتبر أساس العلوم الإسلامية ، وهذا ما لاحظه ابن بطوطة أثناء زيارته لمنطقة على أيام مملكة مالي حيث أكد على مدى حرص الأهالي على تحفيظ أبنائهم القرآن الكريم ،بقوله: «... ومنها عنايتهم بحفظ القرآن الكريم ،وهم يجعلون لأولادهم القيود إذا ظهر في حقهم التقصير في حفظه فلا تفك عنهم حتى يحفظوه...»[2]،وقد كان القرآن الكريم أساسا للنظام التعليمي في مساجد ومدارس أو كتاتيب وحتى جامعات المنطقة [3].

كما كان الأساكي أنفسهم حافظين لكتاب الله مثل الأسكيا داوود، وقد كان تحفيظ القرآن الكريم وقراءته في الغالب الأعم على روايتين الإمامين ورش[4] وقالون دارية[1]، الذي كانا منتشرتين

[1] عبد الحميد جنيدي: الحياة الثقافية...، مرجع سابق، ص 205.

[2] ابن بطوطة: مصدر سابق،ج4،ص264

[3] سعد مطير غيث: مرجع سابق،ص227.

[4] فصارت تلاوة أهل السودان الغربي تتطابق مع تلاوة أهل الغرب الإسلامي ،وهي قراءة نافع من رواية ورش. أنظر: لعماري مرزقلال :مرجع سابق،ص99.

بعموم المنطقة وذلك لما أشار إليه المؤرخ السعدي في ذكره لأحد أعلام القراءات في المنطقة وهو سيدي عبد المولى الجملالي الذي يعلم تلاميذه في السودان الغربي القرآن الكريم على روايتي ورش وقالون[2] .

كما سار الأساكي على طريقة أهل المغرب في دراسة العلوم الإسلامية التي تتفرع عنه كالتوحيد والعقائد والتفسير والنحو والبلاغة والصرف والفقه[3] والفرائض والتصوف ،وتأثروا كثيرا بمؤلفاتهم وكتبهم ومتونهم العلمية، وهذه الدراسات هي التي تغدي المراحل التعليمية العليا[4]، وإلى جانب تعليم القرآن الكريم وعلومه كانت هناك علوم أخرى تدرس ،ومنها كتب الحديث الشريف مثل الصحيحين: البخاري ومسلم[5]،كما كانوا يدرسون الكتب المشهورة في الفقه المالكي[6]، مثل: المدونة لأبي سحنون، والرسالة لأبي زيد القيرواني [7]، وأضاف المؤرخ السعدي إلى أن تداولها على نطاق واسع بين أيادي طلاب بلاد السودان الغربي وعلمائهم، مما يترجم قيمتها وأهميتها العلمية العالية[8]، أما مختصر خليل[9] ،فأدخل لأول مرة لبلاد السودان الغربي على يد الفقيه محمود بن

---

[1] كعت: مصدر سابق،ص64.

[2] السعدي: مصدر سابق،ص218.

[3] محمد بن محمد بن عمر بن قاسم مخلوف: **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**،ج1، تع: عبد الحميد خيالي،دار الكتب العلمية لبنان، ط1، 2003،ص677.

[4] البخاري محمد إصلاح: مرجع سابق،ص232.

[5] السعدي: مصدر سابق،ص46.

[6] العمري: مصدر سابق،ج4،ص46.

[7] سعد مطير غيث: مرجع سابق،ص228.

[8] السعدي: مصدر سابق ،ص53.

[9] مختصر خليل: صاحب المختصر هو خليل بن إسحاق بن موسى بن شعيب المالكي المصري من رجال القرن 8هـ/14م،وهو إمام شهير، وقد حمل لواء مالك في مصر في زمانه، وقد وضع مختصرا على مذهب الإمام مالك بن أنس رضي الله تعالى عنه ، وقد داع صيته ببلاد السودان الغربي وألفت العديد من الكتب في شرحه ،توفي الشيخ خليل ابن إسحاق عام 767هـ/ 1364م، أنظر: مطير سعد غيث: مرجع سابق،ص228 .

عمر، وقد تحدثت مصادر عديدة عن تدريسه على نطاق واسع في المنطقة [1]وكذلك موطأ الإمام مالك ،وكتاب الشفا للقاضي عياض[2].

وفي علوم اللغة يركزون على ألفية ابن مالك [3]وشروحها المختلفة ،ويدرسون الصرف والبلاغة والأدب ، وفقه اللغة ،وكتب الفتاوي والنوازل، مثل: المعيار للونشريسي[4]، كما يدرسون رجز المغيلي في المنطق وشروحه. ومن العلوم الأخرى التي تدرس كذلك في منطقة السودان الغربي، علم الخط، والتاريخ والتراجم ،والتصوف والسيرة النبوية ،والجغرافيا والحساب، و الهندسة، والكيمياء ،والفلك ،والطب والفنون وغيرها، ويلاحظ أن المواد والمقررات كانت تدرس في غالبا الأحيان على المذهب المالكي ،المذهب السائد في بلاد المغرب[5].

[1] أحمد بابا التنبكتي :**نيل الابتهاج** ...، مرجع سابق، ج2،ص 607 أنظر: السعدي: مصدر سابق ،ص38 و البرتلي : مصدر سابق،ص32.

[2] السعدي: مصدر سابق،ص46.

[3] هو نظام يصل إلى ألف بيت ،لمؤلفه محمد جمال الذين المكنى بأبي عبد الله والمشهور بابن مالك .أنظر: لعماري مرزقلال: مرجع سابق ص 99.أنظر:محمد بن قاسم: شجرة النور...،ج1،ص688.

[4] هو أحمد بن يحي بن محمد بن عبد الواحد بن علي أبو العباس التلمساني، عرف بالونشريسي نسبة إلى جبال الونشريس بالجزائر ،تعلم بمسقط رأسه تلمسان وأخذ على كبار علمائها؛ كابن سعيد العقباني، وابن مرزوق الكفيف وأبي عبد الله الجلاب وغيرهم، وبسبب أرائه ومواقفه غضبت عليه السلطة الحاكمة في تلمسان آنذاك صودرت أملاكه وتمكن هو الفرار إلى مدينة فاس واستقر بها وأصبح مدرسا بجامعة القرويين، ترك إنتاجا ضخما لايزال أغلبه مخطوطا نذكر منه: المعيار المعرب عن فتاوي علماء إفريقيا والأندلس والمغرب ،إيضاح السالك إلى قواعد الإمام مالك ،الفروق في مسائل الفقه...أنظر: لعماري مزقلال: مرجع سابق،ص99.

[5] عبد القادر الودغيري: اللغة العربية...،مرجع سابق،ص21.

3- الإجازات والشهادات العلمية: فكانت تتمثل في ما يلي:

إجازة سماعية وتعني أن الطالب سمع من أستاذه وحفظ أقواله، وفي مثل هذه يقول الأستاذ بأن الطالب قد سمع وفهم وتتبع دروسه التي كان يلقيها في حلقات الدراسة[1]، ثم شهادة العرض يقوم بسرد الطالب على أساتذته مع إستذكاره للنصوص ومعرفته بشروحها[2]، أما الإجازة الكاملة فغالب ماتكون في آخر المرحلة التي من خلالها يصل الطالب إلى ذكر الأسانيد ،وإرجاعها إلى مصادرها الأولى،مع معرفته للروايات بعد التمكن من علم من العلوم[3].

4- الكتب والمكتبات:

ساهمت التجارة الصحراوية بدور كبير في توافد المؤثرات الحضارية على بلاد السودان الغربي [4] ،بتدفق الكتب التي تحوي العلوم العربية الإسلامية من بعض أنحاء العالم الإسلامي والتي كانت تلقى رواجا كبيرا يتم نسخها وبيعها بعد جلبها من طرف التجار الوافدين من بلاد المغرب ومصر والحجاز[5]، ما أكد عليه الوزان بقوله: «... وتباع مخطوطات كثيرة تأتي من بلاد البربر تدر أرباحا تفوق سائر البضائع»[6]، كانت تلقى إقبالا كبيرا عليها من طرف الأهالي[7]، خاصة في عهد الأسكيا الحاج محمد الكبير التي اعتبرت من أغلى البضائع وهو ما يدل على المستوى الثقافي الذي

[1] إصلاح محمد البخاري حمودة:مرجع سابق، ص203.

[2] السعدي: مصدر سابق،ص46.

[3] الهادي المبروك الدالي: التاريخ الحضاري...، مرجع سابق، ص149.

[4] علي هدهودي: **المدارس القرآنية بإفريقيا الغربية ودور المغرب في نشر اللغة العربية** ، **مجلة العلاقات المغربية الإفريقية**، أعمال مجموعة البحث حول المغرب وإفريقيا ،منشورات جامعة الحسن الثاني، المغرب ،ط1، 2012 ،ص113.

[5] محمد غربي: مرجع سابق،ص450.

[6] الوزان :مصدر سابق،ج2،ص166.

[7] يحي بوعزيز: **طرق القوافل والأسواق التجارية بالصحراء الكبرى كما وجدها الأوربيون خلال القرن التاسع عشر** ،مقال ضمن كتاب **تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر**، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ،معهد البحوث والدراسات العربية ،العراق، 1984،ص135.

بلغته المنطقة حتى نشأت بعدها في السودان حرفة الوراقين كتقليد لما كان في المغرب ومصر ،وألف السودانيون عدة مؤلفات، غير أن عملية الاستيراد ظلت قائمة على نطاق واسع[1].

كما اهتم كل من الناس سواء تجار أو علماء أو ملوكا بجمع الكتب في خزائنهم مما أدى إلى توسيع الحركة الفكرية في المنطقة وازديا تجارة الكتب التي أصبحت تلقى رواجا وأصبح الناس ينتفعون بها[2]، ويعود ازدهار المكتبات ووفرة الكتب يرجع إلى تبادل العلوم والمعارف مع العالم الإسلامي ،وذلك نتيجة رحلات الحج التي كان يقوم بها الملوك كانت موردا هاما للحصول على الكتب والمخطوطات نتج عن ذلك توفر مكتبات بلاد السودان الغربي على عدد من الكتب ساهمت بدور كبير في ازدهار الحياة الثقافية بالمنطقة[3]، ومن أشهر المكتبات التي عرفت في المنطقة مكتبة آل قيت التي اقتنوها من التجار الوافدين للمنطقة ومما كان يجلبه الحجيج معهم من المشرق العربي[4]، ساهمت في نشر اللغة العربية بالمنطقة[5].

ج- المشاركة في عملية الإنتاج الفكري [6]: من أبز الميادين الفكرية التي شارك فيها العلماء السودانيون نجد:

1- العلوم الشرعية : كالفقه وأصوله ،والتوحيد ،وعلم الحديث ،وعلم القراءات ،والتفسير وحتى التصوف ،وعلم الكلام، والمنطق:

---

[1] جبران محمد مسعود: **التفاعل العلمي والمعرفي بين الغرب الإسلامي والسودان الأوسط والغربي،حولية المجمع** ، الجماهيرية العربية الليبية، ع4، ليبيا،2006، ص171.

[2] زبادية عبد القادر: مملكة سنغاي...،مرجع سابق،ص222.

[3] البخاري محمد إصلاح: مرجع سابق، ص217.

[4] عبد القادر أيت الغازي : **نكبة علماء آل أقيت الأبعاد والدلالات، مجلة كلية الأدب**، ع10،جامعة السلطان مولاي سليمان كلية الآداب والعلوم الإنسانية،المغرب،2009،ص ص 223،221.

[5] عز الذين عمر موسى: **دراسات في غرب إفريقية**، دار الغرب الإسلامي، ،لبنان، ط2،2003،ص ص 109،108.

[6] أنظر: الملحق رقم 09، ص 178.

أ– الفقه : من أهم التأليف في مجال الفقه نجد مؤلفات الإمام المغيلي كمصباح الأرواح في أصول الفلاح جاءت في كراسين، حاشية على مختصر خليل سماها: إكليل مغني اللبيب وقطعة على البيوع ،سماها: مفتاح الكنوز و إيضاح السبيل في بيوت أجال خليل و تنبيه الغافلين عن مكر المبلسين بدعوى مقامات العارفين والمفتاح وشروحه، وكذلك الفقيه العاقب بن عبد الله الأنصمي فقد ألف: الجواب المجدود عن أسئلة القاضي محمد بن محمود ،وأجوبة الفقير عن أسئلة الأمير ،ومن خلالها أجاب عن أسئلة الأسكيا محمد الكبير التي وجهها إليه، على غرار الأسئلة الموجهة للمغيلي[1]، والفقيه محمد بن أحمد التازختي: له شرح على مختصر خليل ،عنونه بمقاليد وطراز على مختصر خليل، والفقيه محمود بن عمر بن أحمد أقيت رغم أنه كان من أساطين الحركة العلمية في سنغاي، إلا أنه لم يعثر له على أي أثر إلا ما تناقلته الرواية الشفوية بأنه خلف بعض الأعمال هي: تعليقين على مختصر خليل، كما ألف معجما بلغة السنغي.

وسيدي أحمد بن أبي بكر الوداني الحاجي: الذي كان حيا عام 1525م[2]، له شرح على مختصر خليل جاء في مجلدين، سماه: موهوب الجليل بشرح مختصر خليل[3]، كما ألف في الفقه كذلك أحمد بابا التنبكتي منها: تنبيه الواقف و ترتيب جامع المعيار للونشريسي ومعراج الصعود إلى نيل حكم مجلوب السود واللمع في الإشارة إلى حكم التبغ...وغيرها[4]، أما أحمد بن محمد بن سعيد: 1523-1559م، ألف حاشية على مختصر خليل.

ب– التوحيد : نجد أحمد بابا التمبكتي الذي أنتج الكثير في هذا المجال، من أهمها: اللآلئ السودانية في الفضائل السنوسية ،ألفه سنة 1595م و المطلب والمأرب في أعظم أسماء الرب

[1] الهادي المبروك الدالي: التاريخ الحضاري...،مرجع سابق،ص167.أنظر: البرتلي :مصدر سابق،ص34.

[2] لعماري مرزقلال :مرجع سابق ،ص ص 127،128.

[3] البرتلي: مصدر سابق،ص112.

[4] محمد بن الطيب القادري:**نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني**،تح: حجي محمد والتوفيق أحمد ،ج1،دار المغرب، الرباط، المغرب،1977،ص ص 271،272.

حول أسماء الله الحسنى ،ألفه سنة 1598م بمراكش وشرح العقيدة البرهانية للسلالجي، وهي شرح لرسالة السلالجي في التوحيد، وشرح الصدر وتنوير القلب ،يتكلم فيه عن غفران الذنوب، أما أحمد بن أحمد أقيت (والد أحمد بابا): له شرح على صغرى السنوسي في التوحيد[1] .

ج- التصوف: نجد أبو بكر بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت التنبكتي الاصل، له كتابات صغيرة عن التصوف، منها: معين الضعفاء في القناعة وغيره[2]،و أحمد بابا التنبكتي: له مؤلفات في مجال التصوف، أهمها: الدر النظير في كيفيات الصلاة على الشفيع البشير و خمائل الزهر ونشر العبير ورسالة في التصوف، تتحدث عن وجوب وجود شيخ لمن أراد التصوف[3].

د- المنطق: برع جزء من علماء السودان الغربي في هذا المجال، ويتصدر لهذا العلم الفقيه: أحمد بن عمر أقيت الذي أنجز شرحا لكتاب "منح الوهاب في رد الفكر إلى الصواب" للمغيلي، عنونه ب :إمناح الأحباب في منح الوهاب، وكذلك محمد بن محمود بن عمر أقيت الذي كان له اهتمام كبير بأعمال المغيلي من أعماله في هذا الجانب نجد أرجوزة على شرح منظومة المغيلي، وشرح وتعليق على رجز المغيلي، أيضا لابن أحمد بابا رسائل كلامية منها تنوير القلوب بتفكير الأعمال الصالحات للذنوب وشرح صغرى السنوسي...وغيرها[4].

هـ- علم التفسير: عرفت مساجد الأسقيين وجامعاتهم ،تدريس هذا النوع من العلوم الذي يساعد على فهم كتاب الله و استنباط أحكامه ،تضلع فيه ثلة من العلماء فهما وتدريسا من بينهم الفقيه أحمد بن محمد بن عثمان بن عبد الله التنبكتي الذي كان من كبار المفسرين

---

[1] لعماري مرزقلال: مرجع سابق، ص ص 128،129.

[2] التنبكتي: نيل الإبتهاج...،مصدر سابق،ج1، ص151.

[3] الهادي المبروك الدالي:التاريخ الحضاري...،مرجع سابق، ص ص 172،173.

[4] القشاط محمد سعيد: **أعلام من الصحراء**، دار الملتقى للطباعة ،لبنان،ط1،1997،ص29.أنظر: محمد قاسم: مصدر سابق،ج1،ص678.

ومدرسا له في جامعة سنكري بمعية علوم أخرى[1]. وأتقن أحمد بابا التنبكتي هذا العلم كما كان مدرسا للقرآن الكريم بتفسير الجلالين المحلي و السيوطي ،جاء في كتاب فتح الشكور نقلا عن: أحمد بن الحاج محمد فهدي أحد طلبته: «... فقرأت عليه رحمه الله تعالى [يقصد أحمد بابا] القرآن العظيم بتفسير ذي الجلالين المحلي و السيوطي... قراءة تحقيق وتفهم وتدقيق ...»[2]. وعلى الرغم من إتقانهم لهذا العلم ،إلا أنه لم يذكر من مصادر على مؤلف مستقل تركوه في هذا المجال ،ويستثنى من ذلك ،أنه هناك مؤلفين للإمام المغيلي هما: تفسير فاتحة الكتاب والبدر المنيرفي علوم التفسير[3].

و- علم القراءات: لم يسبق أن وجد مؤلف يختص بفن القراءة وأحكامها على عهد الأساكي ولا حتى قبله، إلا أن كتب التاريخ والتراجم تورد لنا الكثير من القراء الذين[4] أتقنوا هذا الفن وبرعوا فيه قراءة وتجويدا ،بل واشتغلوا بتدريس أحكامه، ومن مشاهير القراء نذكر: عبد المولى الجملالي ،حامل لواء هذا العلم على روايتي ورش وقالون ،وعبد الله بن الفقيه أحمد بري توفي عام 1010هـ /1601م، وهو أحد أفراد أسرة أندغمحمد الشهيرة وتلميذها الفقيه محمد بابا بن محمد الأمين بن حبيب الذي أخذ عنهما فن القراءة بالروايتين السابقتين[5]، توفي عام 1014هـ/ 1605م[6] ومن خلال تاريخ وفاتهم يتضح أنهم كانوا من علماء القرن السادس عشر الميلادي .

[1] سعد مطير غيث :مرجع سابق،ص239.

[2] البرتلي: مصدر سابق،ص33.

[3] الهادي المبروك الدالي: التاريخ الحضاري...،مرجع سابق،ص182.

[4] لعماري مرزقلال: مرجع سابق،ص130.

[5] البرتلي: مصدر سابق،ص111.

[6] السعدي: مصدر سابق،ص217.

2- علوم اللغة وآدابها: حرص أهالي السودان الغربي على تعلم اللغة العربية وآدابها ،لأنها تمثل لغة القرآن الكريم ،كما أنه لا يمكن تعلم العبادات ومعرفتها وممارستها إلا بإتقان اللغة العربية[1] ،وقد تحدث عن هذا المعنى ابن خلدون ،بقوله: «... ومعرفتها ضرورية على أهل الشريعة إذ مأخذ الأحكام الشرعية كلها من الكتاب والسنة وهي بلغة العرب ونقلتها من الصحابة والتابعين عرب وشرح مشكلاتها من لغاتهم فلا بد من معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللسان لمن أراد علم الشريعة ...»[2]، وهذا ما دفع علماء السودان الغربي إلى الاهتمام بتعلم اللغة العربية وآدابها، وتركوا فيه آثارا واضحة بالتذييل والشرح والتعليق والنقد، كما وصل بعض منهم أحيانا إلى الإبداع ،ومن هذه العلوم وأعلامها[3].

أ – النحو والبلاغة: شهدت منطقة السودان الغربي في فترة الدراسة إلى بروز عدد من الأعلام في مجال النحو والبلاغة لقبوا بالنحويين، كما تولوا تدريسه وصنفوا في ذلك مؤلفات شهيرة ،ومن أبرز هؤلاء الأعلام عبد الكريم المغيلي ،الذي ألف مقدمة في العربية[4]، والفقيه أبو عبد الله أندغمحمد بن الفقيه المختار النحوي الذي اشتهر في علوم العربية[5]، وكذلك الحاج أحمد بن عمر أقيت[6]، الذي نهل من علوم العربية من مجالس خاله الفقيه المختار الشهير بالنحوي، وقد اشتهر بطول باعه في عدة علوم من بينها علم النحو[7]، وقد وصفه كل من: حفيده أحمد بابا والبرتلي صاحب فتح الشكور و الأرواني صاحب السعادة الأبدية بالعالم النحوي العروضي المحصل،

---

[1] سعد مطير غيث: مرجع سابق،ص249.

[2] عبد الرحمان ابن خلدون: **مقدمة ابن خلدون**، تع: عبد الله محمد درويش، دار يعرب،سوريا،ط1، 2004،ص603.

[3] مطير سعد غيث: مرجع سابق،ص249.

[4] التنبكتي: نيل الابتهاج...،مصدر سابق،ج2،ص578.أنظر: الهادي المبروك الدالي: التاريخ الحضاري...،مرجع سابق ،ص170.

[5] السعدي: مصدر سابق،ص29.

[6] مطير سعد غيث: مرجع سابق،ص249.

[7] التنبكتي : مصدر سابق،ج1،ص137.

والفقيه محمد بن أندغمحمد بن أحمد (970-1045هـ/1562-1635م) سليل أسرة أندغدمحمد الشهيرة العالم بفنون العلم[1]، وقد وصفه صاحب فتح الشكور بالنحوي اللغوي[2]،كما اشتهر بمؤلفاته المعروفة والتي ذاع صيتها: مؤلف الفتوح القيومية في شرح الأجرومية[3]، وهو عبارة عن شرح ألفه حول(الآجرومية) في النحو[4].

وكذلك الفقيه أبي عبد الله محمد بابا ابن حبيب الله المختار التنبكتي، صاحب المؤلف المعروف في مجال النحو: المنح الحميدة في شرح الفريدة، الذي شرح فيه لألفية السيوطي في النحو، وقد ظل ينتفع بعلمه حتى توفي سنة 1014هـ/1605م[5]. كما ألف أند عبد الله بن سيدي أحمد بن محمد بن محمود الولاتي توفي حوالي عام 1038هـ /1628م، شرحا على الآجرومية[6]، ومن علماء النحو في منطقة السودان الغربي كذلك نجد الأمين بن أحمد بن محمد (957-1041هـ/1550-1631م)، وقد قام السعدي بتقديم وصفا له حيث لقبه بالفقيه نحوي تصريفي لغوي[7]،كما ألف أحمد بابا التنبكتي مؤلفات عديدة في مجال النحو، منها مسألة مساواة الفاعل للمبتدأ[8]، وشرح الألفية [9]، وهذا ما دل على ازدهار الثقافة العربية الإسلامية بمنطقة السودان الغربي.

---

[1] السعدي: مصدر سابق،ص29،30.

[2] البرتلي: مصدر سابق،ص39.

[3] سعد مطير غيث: مرجع سابق، ص250.

[4] الآجرومية :عبارة عن كتاب شهير في النحو ألفه محمد بن محمد آجروم الصنهاجي توفي عام (723هـ/1323م).انظر: نفسه،ص250. محمد قاسم: مصدر سابق،ج1، ص675.

[5] البرتلي: مصدر سابق،ص159.

[6] سعد مطير غيث: مرجع سابق،ص251.

[7] السعدي: مصدر سابق،ص247.

[8] القادري : مصدر سابق،ج1،ص272.

[9] البرتلي: مصدر سابق،ص37.

ب- الأدب: الشعر والنثر شهدت الحياة الأدبية في منطقة السودان الغربي ازدهارا ملحوظا في ميدان الشعر والنثر يمكن تلمسه من خلال بعض الأعمال الأدبية[1]، حيث يقول محمد غربي:« أن المغاربة عند حلولهم بالسودان الغربي نظموا نمطا من الأدب شعرا وقصصا وطرفا يستمد أصالته من الحكايات الافريقية وقصص البطولات والحروب ،ولم يكن مكتوبا بل يلقى في حلقات القصاصين بالأسواق ويدار في المجالس، وينقل بالرواية من مكان إلى آخر ومن شخص لأشخاص آخرين ولكن كانت هناك محاولات سجلت على الأوراق لم تبلغ شأنا يمكن الاعتداء به ،كما لم تتجاوز بعض المدن السودانية »[2]، ففي ميدان الشعر تنوعت الأغراض وتعددت فمنها: المدح والشوق والحنين والرثاء ،ففي مجال المدح يمكن ذكر والإشارة إلى القصيدة الميمية الشهيرة التي قيلت مدحا في الرسول صلى الله عليه وسلم، ودبجت عند قبره[3]، والتي تنسب إلى الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي[4]، وتسمى قصيدة بشراك يا قلب [5]، ومن أبياتها :

بشـراك ياقلـب هذا سيــد الأمـم وهذه حضــرة المختار في الحـرم

وهـــذه الروضــة الغــراء ظاهـرة وهذه القبة الخضــراء كالعلــم

وقبر المصطفى الهادي وحجـرته وصحبــه وبقيـــع دائــر بهــم

فطب وغب عن هموم كنت تحملها وسل تنل لك كل ماترجوه من كرم

ياسيدي يارسول الله خذ بيدي فالعبد ضيف وضيف الله لـم يضم

[1] الهادي المبرواك الدالي :التاريخ الحضاري...،مرجع سابق،ص174.

[2] محمد غربي: مرجع سابق،ص543.

[3] لعماري مرزقلال: مرجع سابق،ص132.

[4] سعد مطير غيث :مرجع سابق،ص252.

[5] التنبكتي: نيل الابتهاج...، مصدر سابق،ج2،ص578.

ثم الصـــلاة وتسليـــم الإلـــه على هذا النبي الرفيـع القـدر والشيـم

محمـــد المـــصطفى والآل ثـــم عـــلى أصحـابه ماســرى ركب لربعـــهم

وقد أظهر بعض المؤرخين والعلماء الذين جاؤوا بعد المغيلي إعجابهم الكبير بهذه القصيدة، حيث وصفها أحمد بابا التنبكتي، بقوله: «... إن للمغيلي عدة قصائد كالميمية على وزن البردة ورويها في مدحه صلى الله عليه وسلم »[1]، وكذلك القصيدة التي قالها مود سالم سوار التكروري (803- 907هـ/1400-1501م)[2] مدحا للشيخ عبد القادر الجيلاني، ومن أبياتها:

سعد لنا قطب الوجود إمامنا هـــو شيخنا وحبيبنا الجيلاني

سعد لنا وبه استجرنا وكلنا وبه توسلت إلى الرحمن

كما أن للفقيه المختار بن أبداه قصيدة قيل أنها جاءت في مدح أحمد بابا التنبكتي ،عند سفر الأخير إلى مراكش بعد امتداد الحكم المغربي إلى السودان الغربي ،وجاءت القصيدة في واحد وثلاثين بيتا[3].

ويضيف المؤرخ "مطير سعد غيث"، أنه برغم من أن أحمد بابا لم يكن شاعرا موهوبا، فإن مطالعة متأنية لبعض كتاباته يتضح من خلالها أنه كثيرا ما يستدل ببعض الأبيات الشعرية لشعراء كبار ،وخاصة ما تعلق بالأبيات التي لها مدلول الحكم والأمثال. وهذا ما دل على أنه حافظ لمجموعة من دواوين لجهابذة الشعراء العرب وكان يستذل بهم في كتاباته[4]، وأنه كان مهتما

[1] التنبكتي: نيل الإبتهاج...، مصدر سابق ،ص578.

[2] مجهول: **تذكرة النسيان في أخبار مولوك السودان**، تحت رقم:6097، مخطوط بموقع قاليك: http://gallica.bnf.fr/ark:/12148/btv1b10510177r/f2.image.r، ص 4 .

[3] الهادي المبروك الدالي: التاريخ الحضاري...،مرجع سابق ،ص 178.

[4] لعماري مرزقلال: مرجع سابق،ص132.

ومولعا بالشعر[1] ،وهذا ما يؤكد عليه أحد تلاميذه ، أن أحمد بابا: «...فإن كان لسانه معقدا لا يفهم إلا بعد مصاحبته أمدا طويلا فعقله فصيح يقول الشعر...»[2].

3- التاريخ والتراجم: لقد كانت كتابة التاريخ وتراجم الملوك والرؤساء والقضاة والعلماء على رأس قائمة ما اهتم به الكتاب والمؤرخون السودانيون ،سواء في القرن السادس أو ما سبقه[3] ،فالحديث عن الماضي كان من مستلزمات الأسمار والمجالس ،فتعلق السودانيون بأنباء البطولات وأخبار العظماء وسير الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم[4]، مما أعطى لهذا الجانب أهميته ،و بذلك أصبح الإنتاج السوداني فيه أكثر استقلالية ،وأبرزه إلى جانب كل من: العلوم الشرعية وعلوم اللغة وآدابها، بحيث أضحت هذه المظان الثلاث تقريبا تحتكر الإنتاج الثقافي والفكري جله[5].

ومن بين الكتابات التاريخية نجد ما جاء في كتاب دور الحسان في أخبار بعض ملوك السودان لمؤلفه بابا كور ابن الحاج محمد بن الحاج الأمين، الذي تتبع فيه تاريخ سنغي، وبالذات زمن سني علي والأسكيا محمد الكبير وبعض أبنائه، وانتهى به إلى دخول المغاربة إلى منطقة السودان الغربي وذلك في عهد الأسقيين وما سبقهم غير أنها فقدت، ومن هذه المؤلفات كذلك جواهر الحسان[6] الذي اعتمد عليه كثيرا المؤرخ محمود كعت في كتابه تاريخ الفتاش[7]، كذلك مؤلفات الفقيه الإمام أبي بكر سن بن عمر ،التي كانت حول مملكة سنغي ، والذي أخد منه

[1] سعد مطير غيث: مرجع سابق ،ص256.

[2] القادري :مصدر سابق،ج2،ص274.

[3] لعماري مرزقلال :مرجع سابق،ص133.

[4] السعدي: مصدر سابق،ص3.

[5] محمد غربي :مرجع سابق،ص538.

[6] سعد مطير غيث: مرجع سابق،ص257.

[7] كعت: مصدر سابق،ص44.

القاضي محمود كعت وذلك ما تعلق بالأسكيا إسحاق الثاني وحروبه مع الباشوات المغاربة، كما كان الفقيه أحمد بن عمر أقيت مهتما هو الآخر بعلم التاريخ والتراجم ،وتظهر بعض الأدلة على أنه شرع في كتابة تراجم الرجال المشهورين، لكنه لم يتم إنجاز هذا العمل وقام بإكماله حفيده "أحمد بابا" تحت عنوان نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، وهو موسوعة في تراجم بعض مشاهير علماء لمذهب المالكي، وما ذل على ذلك ما ذكره ،أحمد بابا بقوله: «... هكذا لخصت هذه الترجمة من خط جدي الفقيه الحاج أحمد بن عمر رحمه الله ... »[1].

وكتاب "نصيحة أهل السودان" ، الذي يرجع للإمام التكروري ، أرخ لفترة حكم الأسكيا محمد الكبير وعن رحلة حجه للأراضي المقدسة وكذا عن لقائه بالإمام شيخ الإسلام حافظ الحفاظ جلال الذين السيوطي الذي لقنه وأعطاه دروسا وجملا في آداب الشريعة وأحكامها ،كما تحدث عن بعض الأساكي مثل: الأسكيا داوود وأفعاله الحسنة ،و عن الأسكيا إسحاق والأحداث التي وقعت في عهده...وغيرها ، وهذا المؤلف الذي فقد ذكره الأفراني في كتابه "نزهة الحادي في أخبار ملوك القرن الحادي" [2]، وكذلك من المؤلفات نجد: كتاب "بستان الفوائد" لمؤلفه القاضي محمد الكابري[3].

ومؤلفات التاريخ والسير، ولعل هذا ما شجعه على تسجيل سيرته وأعماله ،ومن سبقه من الملوك وقد انتدب لهذا الغرض القاضي محمود كعت[4] ،فألف له كتاب عنونه " تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس وذكر وقائع التكرور وعظائم الأمور و تفريق أنساب العبيد من الأحرار"[5] ، وذكر أنه بدأ تأليفه مند عام 925هـ/1519م ، قام بتقديم وصف دقيق

[1] التنبكتي :نيل الابتهاج...،مصدر سابق،ج1،ص35.

[2] الأفراني: مصدر سابق، ص ص 89،90.

[3] البرتلي: مصدر سابق، ص 177.

[4] محمد غربي: مرجع سابق،ص530.

[5] كعت: مصدر سابق، ص ص 11،17.

للحياة السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية لمملكة سنغاي على أيام حكم الأسقيين[1]، ،تناول بعض الأحداث منها الغزو المغربي للمنطقة والأزمات السياسية بين البلدين... وغيرها، يعتبر من المصادر الأساسية والرئيسية لدراسة تاريخ الإسلام والثقافة العربية في منطقة السودان الغربي، وامتدت الأحداث التي جاءت في كتاب تاريخ الفتاش إلى سنة 1007هـ[2]/1599م.

– **التراجم:** يعتبر أحمد بابا التنبكتي أول عالم سوداني رفع لواء هذا العلم في القرن السادس عشر الميلادي[3]،يقول عنه أحد من طلبته: «...كان أخونا أحمد بابا من أهل العلم والفهم والإدراك التام الحسن ...وذكراته في الأسانيد والرجال والتاريخ ،وكان من أوعية العلم رحمه الله تعالى ، وناولني المسلسل بالمالكية »[4]، يتجلى ذلك من خلال مؤلفه الشهير تحت عنوان "نيل الإبتهاج بتطريز الديباج"[5] جاء محتواه الحديث في طبقات علماء المالكية[6].

وهو معلمة ببليوغرافية للأعلام المغاربة، فقد ترجم لثمان مائة واثنين من العلماء المالكيين، من المغرب والمشرق والأندلس، وكذا العلماء السودانيون ،وقد ألفه كتكملة لمؤلف ابن فرحون " الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب "،وسعى من خلال هذا المؤلف إلى ذكر علماء المذهب المالكي من العلماء السودانيين الذين لم يكن ابن فرحون يعلم ولا يعرف عنهم شيئا، لهذا لم يدرجهم ضمن مؤلفه[7]، بدأ في تأليفه في مدينة تنبكت قبل رحيله إلى المغرب

[1] الهادي المبروك الدالي: التاريخ الحضاري...،مرجع سابق،ص175.

[2] كعت: مصدر سابق ،ص184.

[3] مرزقلال لعماري :مرجع سابق،ص135.أنظر: الهادي مبروك الدالي: مرجع سابق،ص174.

[4] البرتلي: مصدر سابق،ص33.

[5] سعد مطير غيث: مرجع سابق ،ص260.

[6] عبد القادر زبادية: الحضارة العربية...،مرجع سابق،ص55.

[7] محمد غربي :مرجع سابق،ص541.

الأقصى وأتممه في مدينة مراكش عام 1005هـ/1596م[1]، ومما عمل على تكوينه الثقافي ، وساعده في تأليفه وفرة المادة العلمية، وإطلاعه على المكتبات المزدهرة في ظل حكم الأسرة السعدية، وخاصة مكتبة السلطان أحمد منصور الذهبي ومكتبة جامع الشرفاء الذي كان يدرس به[2].

ومن مؤلفاته كذلك كتاب "كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج " الذي ضم ما يزيد عن سبعمائة ترجمة اشتملت حول علماء مالكيين مشارقة ومغاربة وسودانيين ،ثم اختصره عام 1012هـ[3]/ 1603م، أثناء إقامته بالمغرب ،مقتصرا على المشاهير من الأئمة وأولى التصانيف وقد ذيل المؤلف كتابه في ذكر مصادره التي اعتمدها وشيوخه ومقروءاته وكذلك مؤلفاته ،في تكملة أسماها "تكملة الديباج" من ثمانية عشر جزءا تضم تراجم لعلماء جاء تحت عنوان "ذيل الإبتهاج بالذيل على الديباج "،ليعنون فيما بعد "كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج"، وقد أصبح المؤلفان يعتبران من أهم المصادر التاريخية في موضوعهما ، معظم أنحاء العالم الإسلامي ،ولا يزالان كذلك لليوم[4]، واعتبرهما المؤرخ "محمد غربي" أن ما تركه العالم السوداني أحمد بابا يعد بمثابة فتح كبير ليس فقط على مستوى السودان والمغرب ، وإنما على صعيد العالم الإسلامي أجمع قديما وحديثا[5].

[1] التنبكتي: نيل الابتهاج...،مصدر سابق،ج2،ص641.

[2] سعد مطير غيث: مرجع سابق،ص294.

[3] التنبكتي: **كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج**، تح: محمد مطيع، ج1، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ،المغرب ،2000، ص67.

[4] زبادية عبد القادر: الحضارة العربية...،مرجع سابق،ص55.

[5] غربي محمد :مرجع سابق،ص539.

د- نماذج لبعض العلماء وإسهاماتهم العلمية:

1- محمد بن عبد الكريم المغيلي:

ينتسب إلى قبيلة مغيلة التي تقطن بنواحي تلمسان، وقد كان من مثقفي وأولى الفكر في عصره[1]، نشأ وتربى بتلمسان[2] ودرس بها مبادئ القرآن الكريم وحفظه وواظب على الدراسة و التحصيل العلمي[3]،ووصفه التنبكتي بأنه خاتمة المحققين والعالم العلامة والقدوة الصالح السني أحد الأذكياء ، تتلمذ على يد علماء عصره، مثل: الإمام عبد الرحمن الثعالبي والشيخ يحي بن دير... وغيرهم[4]وببروز أفكاره وآرائه النقدية ،وتضايقه لما آل إليه حال المسلمين بسبب خروجهم عن التقاليد الإسلامية في حكم رعاياهم ،كانت سبب وراء انتقاله إلى توات ومنها إلى بلاد السودان، فتظهر قرائن الأحوال أنه لما سافر لبلاد السودان كانت شهرته كفقيه وعالم عصره سبقته إلى تلك المنطقة ، فالإمام المغيلي كان مستواه العلمي يضاهي العالم المصري الشهير الإمام عبد الرحمن السيوطي[5].

قام بدور هام في منطقة السودان الغربي في كل من الحياة السياسية والثقافية والاجتماعية ، ويعود له الفضل في ادخال الطريقة القادرية ونشرها في منطقة السودان الغربي[6]، اقام بداية في بلاد

---

[1] إسماعيل أبو بكر ميقا: **دعوة الإمام المغيلي الاصلاحية في السودان الغربي في أواخر القرن التاسع وأوائل القرن العاشر الهجريين وأثرها على الرعاة والرعية وانتعاش الحركة العلمية في المنطقة ، مجلة جامعة محمد بن سعود الإسلامية** ، السعودية، ع7، 1463،ص192.

[2] محمد بن عبد الكريم المغيلي: **رسالتان في أهل الذمة**، در ،تح: عبد المجيد الخيالي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2001،ص11.

[3] مطير سعد غيث: مرجع سابق،ص267.

[4] التنبكتي: نيل الابتهاج ...،مصدر سابق،ج2،ص ص 578،576.أنظر:محمد بن عبد الكريم المغيلي: مصدر سابق، ص12.

[5] القشاط محمد سعيد: مرجع سابق،ص180.

[6] خير الذين شترة: مرجع سابق،ج1،ص303.

الهوسا وبعدها انتقل الى جاو أين منحه الأسكيا محمد الكبير ، منصب مستشار السياسي والفقهي ،حيث قام بالإصلاحات الكبرى تمثلت في تصحيح مفاهيم العقيدة الإسلامية وإحياء السنة والقضاء على البدع، كان لها أثر كبير في حركة التجديد في بلاد السودان [1]، له تأليف عديدة منها البدر المنير في علوم التفسير ومصباح الأرواح في أصول الفلاح، وشرح مختصر خليل، وتأليف في المنهيات ومختصر تلخيص المفتاح وشرحه، ومفتاح النظر في علم الحديث .

وكذلك تنبيه الغافلين عن مكر الملبسين بدعوى مقامات العارفين، وشرح خطبة المختصر ومقدمة في العربية وكتاب الفتح المبين وعدد من القصائد في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم كالميمية[2]،وأسئلة الأسكيا وأجوبة المغيلي، وضياء السلطان وغيره من الأخوان في أهم مايطلبه عمل في أمور الزمان... وغيرها، توفي الإمام المغيلي عام 909هـ/1503م ،عن عمر يناهز المائة سنة[3] .

2- العاقب بن عبد الله الأنصمي المسوفي :

من أهل أكدس بلدة قريبة من بلاد السودان، ولد بقرية أنصمن ،ينتمي لقبيلة مسوفة الصنهاجية التي تقطن بتلك الربوع، وصفه أحمد بابا التنبكتي بأنه الفقيه النبيه ذكي الفهم وقاد الذهن ، مشتغل بالعلم، تلقى تعليمه في مسقط رأسه ،ودرس على يد الإمام عبد الكريم المغيي، وعن الإمام السيوطي لما حج وغيرهما [4]، من آثاره العلمية: أربعة كتب في الفقه[5]، من بينها الجواب

[1] إسماعيل أبو بكر ميقا: دعوة الإمام...، مرجع سابق، ص ص 192،193.

[2] التنبكتي: نيل الإبتهاج ...، مصدر سابق،ج2، ص ص577، 578.

[3] الهادي المبروك الدالي: التاريخ الحضاري...،مرجع سابق، ص ص183،185.أنظر: محمد بن عبد الكريم المغيلي : رسالتان...، مصدر سابق، ص13.

[4] التنبكتي: مصدر سابق ،ج1،ص353.

[5] مرزقلال لعماري: مرجع سابق،ص121.أنظر: الهادي المبروك الدالي: مرجع سابق: ص 203.

المحدود عن أسئلة الفقيه محمد بن محدود وأجوبة الفقير عن أسئلة الأمير...وغيرها[1]،يذكر التنبكتي أنه كان حيا في 950هـ /1542م بينما يرى محمد غربي، أنه توفي في 1543م.

3- محمود بن عمر بن محمد أقيت: ابن عمر بن علي بن يحي الصنهاجي المسوفي، ولد في تنبكت عام 1463م،لقبه التنبكتي بأبو المحاسن عالم التكرور وصالحها ومدرسها[2] وفقيهها[3]، درس على يد الفقيه محمد الكابري[4] ، عين قاضيا سنة 904هـ[5]، تولى مهنة التدريس فدرس مدونة الإمام سحنون ورسالة أبي زيد وفقه ابن مالك ،أول من درس مختصر خليل ،ألف في ذلك كتابا من جزئين، جادل علماء وناقشهم وهو في طريقه للحج عام 1509م من بينهم إبراهيم المقدسي والقلقشندي...وغيرهم، وبعد عودته إلى تنبكت تولى مهنة التدريس[6]،توفي سنة 955هـ/1548م أشاد له التنبكتي بأنه بلغ من جلاله وتعظيم مبلغا لم يصله غيره[7].

4- محمود كعت: محمود بن عمر يلقب بأبي الثناء مؤرخ سوداني، ولد عام 873هـ/1468م في منطقة كورما[8] غرب عاصمة غاو ،انتقل الى تنبكت أخذ العلم على يد علماء وفقهاء عصره، برع في الأدب والفقه معا، كان فقيها زاهدا تولى منصب القضاء ،من العلماء الذين رافقوا الأسكيا محمد الكبير إلى الأراضي المقدسة عام 902هـ/1496م ليصبح بعدها من مستشاريه المقربين

[1] سعد مطير غيث: مرجع سابق،ص274.

[2] التنبكتي: نيل الإبتهاج...،مصدرسابق،ج1،ص 353؛ كفاية المحتاج...،مصدر سابق،ج2،ص245.

[3] السعدي :مصدر سابق،ص60.

[4] البرتلي: مصدر سابق،ص117.

[5] التنبكتي: نيل الإبتهاج ...،مصدر سابق ،ج2،ص607.

[6] غربي محمد :مرجع سابق،ص516.

[7] التنبكتي: مصدر سابق ،ص607.

[8] إسماعيل أبوبكر محمد ميقا: **أشهر علماء تمبكت وجني وغاو وأثرهم في ازدهار الحركة العلمية والثقافية في مدن السودان الغربي في القرون الثامن والتاسع والعاشر الهجرية ،مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية** ، الرياض، السعودية ،ع11، 1995م،ص235.

فعينه كاتبه الخاص ،وكذا لبعض من خلفاء الأسكيا محمد من بعده، أتاح له الفرصة للاطلاع على خفايا مملكة سنغاي[1] ،فكتب عنها في مؤلفه الشهير "تاريخ الفتاش" ،توفي سنة 1002هـ[2]/ 1593م.

5- أحمد بابا التنبكتي: هو أبو العباس أحمد بابا بن أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد بن أقيت[3] أطلقت عليه ألقاب عديدة اشتهر بها من بينها: المالكي لأن هذا كان مذهبه الذي أخلص له[4]، الصنهاجي ،التنبكتي ،المسوفي، التكروري...وغيرها، ولد بمدينة تنبكت عام 963هـ[5] /1556م، تتلمذ على يد والده وألف وعلماء عصره وبرع في عدة فنون من العلم ،وألف ما يزيد على مائة مؤلف وتتلمذ على يديه عدد من الطلاب من بينهم عبد الواحد السجلماسي مفتي مراكش، وأبو العباس قاضي مكناس وعبد الرحمان السعدي...وغيرهم. ومكث أحمد بابا التنبكتي سنتين بمدينة مراكش ثم غادرها ليعود إلى تنبكت[6] ،توفي عام1036هـ[7] /1627م ومن مؤلفاته: مرآة التعريف ،تحفة الفضلاء، غاية الإجادة ،المنهج المبين ،جواب عن القوانين ،النحث الوفية بشرح الألفية، شرح صغرى السنوسي، وترتيب جامع الونشريسي ،ونيل الابتهاج بالذيل على الدباج،وكفاية المحتاج...وغيرها[8].

---

[1] نبيلة حسن محمد: **تاريخ افريقيا الإسلامية**، دار المعرفة الإسلامية ،مصر ،2013،ص ص25،23.

[2] السعدي : مصدر سابق ،ص 211.أنظر: احمد بن خالد ابو العباس الناصري: **الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى** الدولة السعدية ،تح: جعفر الناصري ،محمد الناصري، ج5، دار الكتاب ،الدار البيضاء ،المغرب ،1955، ص125.

[3] القادري: مصدر سابق ،ج1،ص272.

[4] شوقي عطاالله الجمل: **أحمد بابا التمبكتي السوداني في بعض مخطوطاته بدار الوثائق بالرباط، المناهل**،مج6، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية الرباط،المغرب، ع6،ص1976،ص 145.

[5] البرتلي: مصدر سابق،ص37.

[6] البخاري محمد إصلاح: مرجع سابق،ص213.

[7] البرتلي: مصدر سابق،ص37.

[8] القادري: مصدر سابق،ص272.

المبحث الثاني: الجانب الثقافي

أ- المراكز الحضارية[1]:

كان للروابط والصلات البشرية والحضارية بين أجناس الكون إلى حدوث مراكز للتجمع البشري والذي هو بالعمران، تعرف بالحواضر أو المراكز الحضارية «... والمدن إنما اتخذت للتحصن والاعتصام...»[2]، وفيما يتعلق ببلاد السودان الغربي ،نتاجا لتفاعلها الحضاري مع كل من المشرق العربي على غرار مصر والحجاز ،إضافة لبلدان المغرب العربي، فإن الذين حملوا الرسالة المحمدية ، استغلوا كل من التجارة والمصاهرة والفتوحات أسسوا مراكز علمية وثقافية كبيرة لترسيخ مبادئ الذين وثقافة[3]، ومن هذه الحواضر نجد:

1- تنبكتو:

تقع مدينة تنبكت[4] على الحافة الجنوبية للصحراء الكبرى عند منحنى نهر النيجر[5] ، تسميتها مشتقة من اسم امرأة [6]من الطوارق كانت تقطن هناك تدعى بكت عرفت بالأمانة ،أضيف على اسمها "تن" وتعني هذه الأخيرة في لغة الزنج[7] ،مكانا وبكت اسم المرأة وبجمعهما أصبحت تلفظ تنبكت[8] ،وقد وجد اختلاف حول كيفية نطقها في المصادر التاريخية فمنهم من ينطقها "تمبكتو"

---

[1] أنظر: الملحق رقم 07، ص 176.

[2] ابن خلدون: مقدمة...، مصدر سابق، ص ص48،49.

[3] مطير سعد غيث: مرجع سابق،ص185.

[4] John.o.Hunwick, **les rapporte intellectiols entre le Maroc et l'Afrique sub-saharienne a travers les ages**, publication de l'institut des etudes Africaines, Maroc, 2014, p14.

[5] محمد فاضل علي باري، سعيد إبراهيم كريديه: مرجع سابق، 95.

[6] محمد محمود الأرواني: **تاريخ الصحراء والسودان وبلد تنبكت وشنقيط واروان في جميع البلدان**، در،تح،تق: الهادي المبروك الدالي ،دار الكتب الوطنية ،ليبيا ،2010، ص37.

[7] الهادي المبروك الدالي :التاريخ الحضاري...،مرجع سابق،ص86.

[8] محمد محمود الأرواني: مصدر سابق،ص37.

وغالبا ما توجد في الكتابات المعاصرة[1]، أما ما وجد لدى كل من: المؤرخ مارمول كربخال والوزان وابن بطوطة[2] ،فكتبوها "تنبكتو"، كما نجد كل من المجهول صاحب تذكرة النسيان[3] ،والسعدي[4] ومحمود كعت[5] والتنبكتي، نيل الابتهاج وكفاية المحتاج[6] فيسمونها "تنبكت" ،تأسست في نهاية القرن الخامس الهجري، الحادي عشر ميلادي[7] من طرف طوارق مقشرن الذين كانوا في البداية ينزلون بها صيفا للرعي ثم يرتحلون خريفا إلى أن استقروا في النهاية بها[8].

ومنهم من يرجع تأسيسها إلى فترة إمبراطورية مالي على أيام الملك منسا موسى عام 610هـ /1213م، وذلك ما أشار إليه المؤرخ حسن الوزان، بقوله:«...اسم هذه المملك حديث، وتنبكتو اسم مدينة بناها ملك يدعى منسا سليمان عام 610هـ، على بعد نحو اثني عشر ميلاد من أحد فروع النيجر...»[9]، وتعد تنبكتو من أهم المراكز الثقافية بالسودان الغربي، فقد أشار الى مكانتها أنداك القاضي محمود كعت في قوله: «...فتنبكت يومئذ لا نظير لها في البلد من بلاد السودان إلى أقصى المغرب من بلاد مل مروة وحرية وتعففا وصيانة وحفظ العرض ورأفة ورحمة

[1] عبد القادر زبادية:مملكة سنغاي...،مرجع سابق، ص 100.

[2] كربخال: مصدر سابق، ج3،ص201.أنظر: الوزان: مصدر سابق،ج2، ص165 و ابن بطوطة: مصدر سابق، ج 4 ، ص451.

[3] مجهول :تذكرة النسيان...، مصدر سابق، ص3.

[4] السعدي :مصدر سابق،ص21.

[5] كعت: مصدر سابق، ص23.

[6] التنبكتي: نيل الابتهاج... ، مصدر سابق،ج2،ص607.

[7] عبد السلام أبو أسعد : **العلاقات الثقافية بين الشعوب الإفريقية والإسلام واللغة العربية في ترسيخها**، مقال ضمن **ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الإفريقية على جانبي الصحراء(12.14 ماي 1998م)**، مراجعة عبد الحميد عبد الله العرامة، منشورات الدعوة الإسلامية ،طرابلس ،ليبيا ،1999م، ص18.

[8] السعدي:مصدرسابق،ص20.

[9] الوزان: مصدر سابق، ج2، ص165.

بالمساكين والغرباء وتلطفا بطلبة العلم وإعانتهم...»[1]، خاصة على ايام الملك منسى موسى ،وذلك لما اصطحب معة أثناء عودته من رحلة حجه الشهيرة التي قام بها سنة1325م مجموعة تتالف من التجار ورجال الدين وبعض المهندسين على رأسهم أبي إسحاق الساحلي[2]، الذي قام بتصميم وبناء الجامع الكبير في مدينة تنبكت ليكون ملتقى للأصحاب العلم والمهتمين بالمعرفة من أنحاء المنطقة ومن خارجها، ثم بنت سيدة فاضلة مسجد سنكري[3]، وبذلك تحولت تنبكت من مركز تجاري إلى حاضرة ثقافية وفكرية من أهم حواضر العالم الإسلامي منذ القرن السادس عشر ميلادي[4].

2- جني:

حاضرة من حواضر بلاد السودان الغربي ،تقع جنوب غرب تنبكتو تفصلها عنها مسافة ستمائة كيلومتر، تعتبر من أهم مدن سنغاي ،تأسست في القرن الثالث هجري ،وانتشر الإسلام بين سكانها بعد إسلام ملكها كنبر، ازدهرت بفضل سلاطينها الذين أولوها اهتماما كبيرا فشيدوا المساجد والمساكن لطلبة العلم كما دعموا الطلبة وشجعوا العلم[5]، ووصفها السعدي، بقوله: «...هي مدينة عظيمة ميمونة مباركة ذات سعة وبركة ورحمة جعل الله ذلك في أرضها...»[6]، أما ما تعلق بالميدان الثقافي فقد كانت تحتل الدرجة الثانية في الأهمية من بعد تنبكتو، فكانت عامرة

[1] كعت: مصدر سابق، ص179.

[2] ابن خلدون: العبر...، مصدر سابق،ج6،ص267.

[3] الهادي المبروك الدالي :التاريخ الحضاري...، مرجع سابق ،ص 132.

[4] قناة بي بي سي عربي الإخبارية : **تنبكت جوهرة الصحراء المتربعة على الرمال ،تقرير إخباري عن مخطوطات تنبكت**، لندن، بريطانيا ،1ديسمبر2009.

[5] يوسف راضية : **التفاعل الحضاري في إفريقيا، مجلة إفريقيا قارتنا**،ع4،2013، ص3.

[6] السعدي: مصدر سابق،ص11.

بجملة من العلماء وطلاب العلم، جعلت الملوك مجبرون على احترامها خاصة الأساقي[1]،وما يدل على ذلك أنه كلما مر جيش بها ،قدموا لقاضيها الهدايا أو يساعدوه على بناء مأوى لطلاب العلم أو بناء مسجد من المساجد[2]، وبذلك أضحت مركزا ثقافيا له تأثير قوي في تقدم الإسلام في السودان الغربي[3].

3- غاو:

عرفت غاو في كتابات الرحالة والمؤرخين بتسميات مختلفة من بينها:كاغ ،جاغ، كوكو[4]،كانت عاصمة مملكة سنغاي، تقع على بعد أربعمائة ميل جنوب شرق تنبكتو، تم تأسيسها قبل دخول الإسلام إليها في القرن السادس للهجرة[5]،حيث ذكرها البكري، بقوله:«...على تسع مراحل من مدينة أنبارة مدينة كوغة ،وبينها وبين غانة مسيرة خمس عشرة مرحلة وأهلها مسلمون...»[6]، تعد من المحطات الهامة إلى جانب تنبكتو التي تقفها عندها القوافل التجارية حيث كانت همزة وصل بين بلاد المغرب والسودان[7]، وصفها المؤرخ الوزان بأنها مدينة عظيمة وسكانها أثرياء[8]، وقد بلغت

[1] عبدالقادر زبادية:مملكة سنغاي...،مرجع سابق، ص106،107.

[2] السعدي: مصدر سابق، ص38.وكعت:مصدر سابق،ص64.

[3] توماس أرنولد: مرجع سابق،ص355.

[4] مطير سعد غيث: مرجع سابق،ص202.

[5] سامح كريم عباس :**الصلات التجارية بين المغرب والسودان الغربي، مجلة كلية التربية الأساسية** ،جامعة بابل ،العراق ، ع 4،2010،ص ص 52،53.

[6] البكري: مصدر سابق،ص179.

[7] العماري الحسن: **العلاقات التجارية بين المغرب والسودان الغربي بداية العصر الحديث من خلال كتاب وصف إفريقيا** ، مقال ضمن دورية **كان التاريخية**،2010، ع9،ص37.

[8] الوزان: مصدر سابق،ج2،ص169.

مدينة غاو أوجها على عهد الأسكيين[1]، زارها الرحالة ابن بطوطة وأعجب بها وذكر بأنها من أحسن مدن السودان[2].

ب: فن العمارة الإسلامية :

كان المعمار ببلاد السودان يأخذ الطابع المستدير والمغطاة سطوحه بالأخصاص والقش على شكل هرمي وذلك من أجل التكيف مع المناخ ،لأن المنطقة تتعرض إلى هطول كميات غزيرة من الأمطار، أما حوائط المباني فتبنى بالطوب نادر ما تتخللها الحجارة ،والفرق كان واضحا بين الذوات والأغنياء عن بناء العامة، حيث تميزت الأولى تكون بالآجر (الطوب المشوي المحروق)[3] في حين أن الثانية المتمثلة في بيوت ميسوري الحال والفقراء فتميز بناءها بالطوب المجفف أي اللبن الذي يكون ممزوجا بالتبن أحيانا ليزداد صلابة ويذكر المؤرخ حسن الوزان، بقوله:«...ودور تنبكت عبارة أكواخ مبنية بأوتاد مملوطة بالطين مسقوفة بالتبن...»[4].

ويرى من خلال ملاحظات التي رصدها الرحالة والجغرافيون والمؤرخين والباحثين حول مؤثرات الثقافة العربية الإسلامية في عمارة بلاد السودان الغربي ،بأن طابع الفن المعماري المغربي انتقل إلى المنطقة [5]،وفي ذلك يقول السعدي واصفا تنبكت ،بقوله :« ما أتتها العمارة إلا من المغرب »[6]، كما يمكن أن يذكر أنه قد وجدت لدى سكان السودان الغربي عادة بناء حوش أو زريبة أمام

[1] سعد مطير غيث: مرجع سابق،ص202.

[2] ابن بطوطة: مصدر سابق،ج4،ص271.

[3] عبد القادر زبادية: الحضارة العربية ...،مرجع سابق ،ص ص87،88.

[4] الوزان: مصدر سابق،ج2،ص165.

[5] محمد بن سوسي: **العمارة الإسلامية في تمنطيط** ،مقامات للنشر والتوزيع، الجزائر ،2013،ص105.

[6] السعدي: مصدر سابق،ص21.

المنازل لإيواء الحيوانات فيه، وعموما يمكن استنتاج أن بواكير مؤثرات العربية الإسلامية للعمارة في بلاد السودان الغربي برزت منذ 1325م [1] في أعقاب رحلة الحج التي أداها منسا موسى

واصطحب خلال عودته بعض المهندسين المعماريين على رأسهم إبراهيم الساحلي الغرناطي[2] ،هذا الأخير الذي يعود له الفضل في إدخال مؤثرات الحضارة العربية ،وفن البناء وزخرفته على الطراز المغربي الأندلسي إلى منطقة بلاد السودان الغربي أضحت هذه الأخيرة تحمل فن البناء والطراز المغربي الإسلامي[3]، وأشار لذلك العمري لهذا التطور في الجانب المعماري، حيث قال: «... وهو أنه يبنى تقدير نصف ذراع بالطين ثم يترك حتى تجف ثم يبنى عليه مثله هكذا حتى يتباهى سقوفها قباب وجلمونات كالأقباء ،وأرضها تراب مرمل »[4] .

ولقد تمكن المهندس الساحلي الغرناطي من تشييد وبناء كل من دورا للسلطان ،كما بنى مساجد بمجرد حلوله بالمنطقة وذلك بالتعاون مع مساعديه : مساجد كل من غاو وجني، و من أشهرها المساجد الثلاث في تنبكتو : وهي جنقربير وسنكوري[5] وسيدي يحي، وتم تشييد هذه المساجد على الطراز العربي الأندلسي وتزال مشيدة إلى اليوم وتؤدى فيها شعائر الصلاة ،كما اجتاح التأثير العمراني العربي الإسلامي إلى المتاجر وقام التجار العرب الذين سكنوا المنطقة ببناء دكاكين على الطريقة المغربية ،وتجلى ذلك في مخازن البضاعة التي كانت أسفل دور السكن وقلدهم الأهالي في ذلك، وعمل المعماريون العرب المغاربة دورا كبيرا في تخطيط مدينتي جاو وجني وغيرهما

[1] عبد القادر زبادية: مملكة سنغاي...،مرجع سابق،ص166.

[2] محمد حجي علاوة: **تمبكتو إذ تستعيد مقاماتها ،العربي الجديد،** ع 396،2015،ص24.

[3] سعد مطير غيث: مرجع سابق،ص385.

[4] العمري :مصدر سابق،ج4،ص ص 61،62.

[5] محمد حجي علاوة: مرجع سابق،ص25.

وامتازت هذه الأخيرتين الشوارع الضيقة والبيوت ذات السطوح العالية و الأبواب الضخمة ،مثل الأساسية المدن العربية في الشمال الإفريقي[1].

كما أن تخطيط مدن السودان الغربي كان متأثرا بالنمط المعماري العربي الإسلامي في العصور الوسطى ،فقد كان لكل مدينة مسجدها الكبير الذي يجتمع فيه السكان ،فقد نظمت المدن الإسلامية من حيث تخطيطها لتلائم حياة الطوائف الاجتماعية مع مراعاة الأغراض الاقتصادية ومن ذلك بناء وتنظيم المخازن والمتاجر والحوانيت التي بنيت بجانب المسجد ،والتي كانت تبيع المسابح والعطور والكتب، أما باقي الأبنية الأخرى تكون في شكل مستدير حول المسجد لتقوم فيها أعمال التجارة والصناعة ،وتأتي في نهاية هذه الأبنية حوانيت الحدادين[2].

ويعتبر بناء المساجد فن عربي إسلامي قائم بذاته في كل مكان دخله الإسلام ،فقد بنيت المساجد في معظم المدن التي تقع على طرق القوافل التجارية ،ولم تقف هذه المساجد عند دورها الدعوي ،بل تحولت إلى مركز إشعاع علمي وثقافي وديني حيث امتد تأثير الثقافي العربي الإسلامي إلى فن تشييد القصور الملكية ،التي تأثرت بالنمط المعماري العربي الإسلامي ،وأشار لذلك المؤرخ مارمول كربخال بأن قصور جاو مبنية على الطراز العربي الأندلسي[3] كما امتد الأثر كذلك إلى بناء المنازل ،فمنازل مدينة أجادس كانت في بداية أمرها من أغصان الأشجار وجلود الحيوانات ونحوها[4].

[1] الحواس غربي : **السيادة السعدية بالبلاد السودانية (1591– 1660)** ،مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر ،جامعة الجزائر(بن يوسف بن خدة) ، الجزائر،2008-2009 ،ص27.

[2] نعيم قداح: مرجع سابق،ص145.

[3] مارمول كربخال: مصدر سابق، ج3،ص204.

[4] الهادي المبروك الدالي: التاريخ السياسي ...،مرجع سابق،ص276.

وكان من النادر أن تتخللها الحجارة ،وبفضل الإسلام ومرور المؤثرات الحضارة العربية الإسلامية[1]، ثم صار البناء بالحجارة والطين، وظهرت المؤثرات العمرانية العربية الإسلامية في الفن المعماري من خلال الأقواس والنقوش على شاكلة الطراز المعماري العربي الإسلامي ،وقد اتضح ذلك في بناء المساجد في المنطقة ومثالا على ذلك بناء مسجد محمد الفزاني ، الذي شيد بأجادس في القرن 10هـ/16م، وكذلك المسجد الكبير بنفس المدينة.

فالشمسيات الزجاجية وغير ذلك من معالم الفن والنظام الذي شيدت به المساجد والنقوش التي استخدمت فيها الخط الكوفي والخطوط الهندسية وزخرفة الآيات القرآنية ،كل ذلك يدل على التأثيرات العربية الإسلامية في النقش والنحت[2]، وقد شاع في مدن السودان الغربي بناء الأسوار التي تشبها بما كان سائدا في البلاد العربية وتحديدا في المغرب وتعتبر الآثار الفنية العمرانية العربية الإسلامية في السودان الغربي كانت متأثرة بالأسلوب والنمط البناء في البلاد العربية ،كما أنا أحياء بأكملها من أحياء تلك المناطق اشتهرت منازلها بتصميمها المغربي .

حيث خلق ثقافة إسلامية إفريقية ، كما أن حكام وشعوب هذه المنطقة ينظرون إلى ما يشيع في المغرب والبلاد العربية الأخرى التي اتصل بها من ألوان الحضارة على انها مثل يحتذى به[3] ،وذلك بالقيم التي جاءت في التراث الإسلامي[4] وبذلك نجح فن العمارة الإسلامية في تحقيق التوازن بين جميع الجوانب المادية والمشاعر الروحية ،كما المحافظة على القيم والتقاليد الاجتماعية[5].

[1] عبد القادر زبادية: مملكة سنغاي ...،مرجع سابق،ص165.

[2] سعد مطير غيث: مرجع سابق ،ص ص 386،387.

[3] شوقي عطا الله الجمل: الحضارة العربية .... ،مرجع سابق،ص153.

[4] مصطفى بن حموش: **جوهر التمدن الإسلامي دراسات في فقه العمران**، وزارة الثقافة، الجزائر، 2014، ص38.

[5] محمد مراد بركات: **جمالية العمارة في الثقافة الإسلامية، مجلة حراء** ،مجلة علمية ثقافية، تركيا، ع9،2007 ، ص17.

وأضاف المؤرخ "شوقي عطا الله الجمل" في ظل حديثه عن الآثار الفنية العمرانية الإسلامية في منطقة السودان الغربي استخلص بأن أسلوب البناء كان متأثرا بأسلوب البناء في البلاد العربية، وأن أحياء بأكملها من أحياء تلك المنطقة اشتهرت منازلها بتصميمها المغربي، و يستدل بذلك أن حكام وشعوب بلاد السودان الغربي[1] ينظرون إلى ما يشيع في المغرب وباقي البلاد العربية الأخرى التي اتصل بها من الألوان الحضارة على أنها مثل يحتذى بها. و من بين مدن المنطقة التي شهدت مؤثرات فنية معمارية عربية إسلامية، هي تنبكت ،هذه الأخيرة التي انتظمت شوارعها وأحياؤها ،وأقيم العديد من مبانيها على الطراز المعماري الهندسي المغربي الأندلسي[2] .

و أما فيما تعلق بالمحراب[3]، فإن سكان المنطقة قد احتفظوا باسمه وبطراز بنائه العربي[4] وهذا رغم الدخول المبكر للمؤثرات العربية الإسلامية في الفن المعماري ذي السمات المغربية خاصة في مساجد غانا الاثني عشر وقصر الملك ،ولكن هذه المؤثرات ترسخت بصفة جلية وواضحة منذ قدوم المهندس إبراهيم الساحلي إلى المنطقة[5] وذلك على أيام الملك منسى موسى ،إلا أن الطابع المعماري السوداني ظل بارزا رغم امتزاجه بهذه المؤثرات وتكيفه معها .وبذلك نشأ فن معماري سوداني المعروف بميزاته الخاصة لليوم[6] .

---

[1] شوقي عطا الله الجمل: الحضارة العربية... ،مرجع سابق ،ص ص 157،158.

[2] الأحمر أسماء أحمد :مرجع سابق،ص153.

[3] هو عبارة عن تجويف في جدار المسجد تتوجه نحو الشرق يقف الإمام فيها لإمامة المصلين هذا في المسجد الجامع. أما في المسجد العادي فيصنع المحراب من الأخشاب وبه بساط صغيرة يصعد عليها الإمام، ويعتبر في تعريف أخر بأنه صدر البيت وأكرم موضع فيه والجمع محاريب. أنظر: حسين مؤنس: مرجع سابق،ص66. وبن سويسي محمد :مرجع سابق، ص 235.

[4] مرزقلال لعماري: مرجع سابق، ص144.

[5] شوقي عطاالله الجمل: مرجع سابق ،ص159.

[6] عبد القادر زبادية: الحضارة العربية...،مرجع سابق،ص90.

وعليه يمكن الاستنتاج بأن الفن المعماري في مملكة سنغاي قد شهد تطورا ملحوظا من حيث بناء المساجد والنقوش المعتمدة والتي استخدم فيها ،ومنها الخط الكوفي والخطوط الهندسية وزخرفة الآيات القرآنية بالخط الفاسي. كل هذه يدل على مدى التأثيرات العربية الإسلامية التي شهدتها المنطقة[1]،وخاصة أثر الفن المغربي[2].

ج: الحج والطرق الصوفية:

1- رحلات الحج:

كان لرحلات الحج دور كبير في ازدهار الثقافة العربية الإسلامية في بلاد السودان الغربي فقد تركت أثارا بارزة وواضحة في نمو الصلات الثقافية بينه وبين بلاد المشرق العربي، لأنه يعتبر وسيلة من وسائل الاتصال بشمال إفريقيا ومراكزها الثقافية، إضافة لذلك أنه ركن من أركان الإسلام ،ومناسبة اجتماعية وكذا سوق اقتصادية وتظاهرة ثقافية كبيرة تتفاعل فيها أفكار وعلوم الأجناس المختلفة ،مما مكن حجاج المنطقة من الاطلاع على مختلف العلوم والمؤلفات المستجدة وكانوا ينهلون من صفوف العلم المختلفة ،وكذا تلقي الإجازات العلمية من علماء العالم الإسلامي[3].

لقد قام ملوك وسلاطين السودان الغربي من ترأس مواكب الحج ،حيث قام سلطان مملكة مالي منسا موسى إلى الحج عام 725هـ/1324م ، والأمر ذاته بالنسبة لمملكة سنغاي التي كان سلاطينها يتوجهون إلى الحج في مواكب حافلة، ومنها رحلة الأسكيا محمد الكبير إلى الحج[4] عام 902- 903هـ/ 1496- 1497م ،التي أخذت مظهرا ثقافيا وكان لها أثر عميق في نشر الثقافة العربية الإسلامية وذلك من خلال اصطحابه لكوكبة من علماء سنغاي آنذاك ،الذين أذوا

[1] أسماء أحمد الأحمر :مرجع سابق،ص153.

[2] شوقي عطا الله الجمل:،مرجع سابق،ص158.

[3] سعد مطير غيث: مرجع سابق ،ص ص 165.

[4] السعدي: مصدر سابق، ص ص72،73..

دورا بارزا في ترسيخ قيم ومفاهيم العقيدة الإسلامية بمنطقة السودان الغربي، كما أن الأسكيا محمد الكبير استفاد من هذه الرحلة من خلال اتصالاته بعلماء المشرق كل من مصر والحجاز، مثل جلال الدين السيوطي...وغيرهم ،وأشار الأفراني لذلك، بقوله:«...وكان الحاج محمد المذكور رحل في أوائل المائة التاسعة إلى مصر والحجاز بقصد حج بيت الله الحرام وزيارة قبر نبيه عليه الصلاة والسلام ...»[1]، والأخذ عنهم مفاهيم الحقيقية لمبادئ الإسلام ، وتضح ذلك من خلال الإصلاحات التي شملت جوانب مختلفة التي طبقها في مملكته بعد عودته من رحلة الحج[2].

وفيما يتعلق بحج علماء السودان الغربي فقد اكتسبت رحلاتهم إلى الحج طابعا دينيا وذلك من خلال أدائهم مناسك الحج والعمرة ،وبحضور جلسات الذكر كما اكتسب طابعا ثقافيا من خلال اتصال بعلماء وفقهاء المشرق والجلوس في مجالسهم العلمية للأخذ من معارفهم ،وفي الأغلب كان ينتج عن ذلك التواصل حصول علماء بلاد السودان الغربي على إجازات علمية[3]، على أيدي معاصريهم بالأماكن المقدسة، وحصول على مؤلفات جديدة يحضرونها إلى بلادهم، و من هؤلاء العلماء المرموقين الذين رحلوا إلى الحج نجد الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي الذي سار إلى الحج رفقة تلميذه الفقيه عمر الشيخ ابن أحمد البكاي (871- 963هـ / 1460- 1553م)[4].

كما رحل إلى الحج الفقيه محمود بن عمر أقيت عام915هـ /1509م، فأشار لذلك أحمد بابا التنبكتي، بقوله: «...وحج في عام خمسة عشر وتسعمائة فلقي السادات كإبراهيم المقدسي والشيخ زكريا والشيخ القلقشندي وغيرهم ...» [5] ،يؤكد على ذلك المؤرخ السعدي، بقوله:

[1] الأفراني: نزهة الحادي...،مصدر سابق،ص89.

[2] سعد مطير غيث: مرجع سابق،ص166.أنظر: السعدي: مصدر سابق،ص72و كعت :مصدر سابق ،ص 16.

[3] كعت:المختار من تاريخ...،مصدر سابق،ص13 .

[4] سعد مطير غيث: مرجع سابق،ص167.

[5]التنبكتي: نيل الابتهاج...،مصدر سابق،ص607.

«...وفي الخامسة عشر مشى إلى الحج شيخ الإسلام القاضي محمود بن عمر ...»[1] ،تمكن من خلال رحلته التي قام بها الاستفادة علميا من خلال مخالطته للعديد من العلماء والفقهاء[2]، ومن خلال رحلات الحج يتضح مدى تجسد الثقافة العربية الإسلامية في نفوس أهالي السودان الغربي.

2- الطرق الصوفية:

إن التصوف مذهب روحي عرف بين بعض الشعوب ذات الحضارات القديمة، ويعتبر مذهب منظم يشير إلى مراتب صوفية ومقامات متعاقبة في طريق التنامي الشخصي ،أطلق مصطلح صوفي على الزهاد المسلمين الذين يرتدون ملابس الصوفية الخشنة[3]،وتدل طريقة الصوفيين على السعي وراء الحقيقة للوصول إليها حول محاسبة النفس على الأفعال والزهد في الحياة[4]، والتصوف بمثابة رد فعل من قبل الطبقات الشعبية على مظاهر الترف والمتعة والانهماك في الماديات[5]، أدت الطرق الصوفية دورا مهما في نشر الإسلام والحضارة العربية الإسلامية ببلاد السودان الغربي، حيث لعبت دورا رياديا في نشر الإسلام في غرب افريقيا وتصحيح العقيدة خصوصا بعد ممارسة السكان للعادات الوثنية التي اختلطت بالمثل والقيم الإسلامية[6].

وقد جدبت هذه الطرق العديد من الافارقة، ومن بين الطرق الصوفية الواسعة الانتشار الطريقة القادرية والتي دخلت في القرن 15م على يد مهاجرين من توات إضافة الى الطريقة التيجانية والسنوسية ،فأتباع هذه الطرق أقاموا زوايا للعبادة ولإيواء الوافدين، والتقى حوله سكان منطقة

---

[1] السعدي: مصدر سابق،ص76.

[2] التنبكتي: كفاية المحتاج... ،مصدر سابق، ج1ص377.

[3] سبنسر ترمنجهام :**الفرق الصوفية في الإسلام** ،تر ،در،تع : عبد القادر البجراوي ،دار المعرفة الجامعية ،مصر ،1994 ،ص21.

[4] عبد الله عبد الرزاق: أضواء على الطرق الصوفية ...،مرجع سابق،ص9.

[5] عبد السلام غرميني :**المدارس الصوفية المغربية والأندلسية في القرن السادس هجري**، دار الرشاد الحديثة، المغرب،ط1 ،2000، ص 22.

[6] محمد فاضل علي باري وسعيد كرديه :مرجع السابق،ص:42.

السودان الغربي، تلقت عددا كبيرا من الأتباع ،وأخذ تلامذتها على عاتقهم نشر مذهبه في أجزاء كبيرة من العالم ،فانتقلت هذه الطريقة إلى السودان الغربي عبر توات، سيطرت الطريقة القادرية على الحياة الدينية والاجتماعية خلال القرون الموالية لدخولها، وفي عام 957هـ/1550م ، بدأت أفكار جديدة تؤثر على الطريقة القادرية بالسودان الغربي، فكانت الطريقة القادرية انتشرت بهذه الاخيرة وذلك لما كان سائد في لشمال الافريقي[1].

د- انتشار المذهب المالكي:

انطلق المسلمون من شبه الجزيرة العربية بهدف نشر الرسالة المحمدية في مشارق الأرض ومغاربها، فلم يسبق أن أكرهوا احدا على الدخول في هذا الدين ،بل عرف عنهم الكلمة الطيبة والحكمة والموعظة الحسنة كانت مفتاح الدعوة وسببا رئيسيا في انتشار الرسالة المحمدية، وقد بذل المسلمون في الدعوة للإسلام وحمل رسالة المحمدية في مناطق شتى ومع نهاية القرن الأول الهجري كان الإسلام قد وصل إلى كل من العراق وفارس والشام ومصر ،وبلاد الشمال الإفريقي وحسن إسلامهم وتعرب لسانهم واضحوا في طليعة الدعاة والجند المسلمين الذين لهم الفضل في حمل رسالة الإسلام إلى كل من الأندلس وإفريقيا جنوب الصحراء [2].

بدأت المذاهب الإسلامية تأخذ طريقها إلى المغرب العربي أواسط القرن الثاني للهجرة وازداد انتشارها في النصف الأخير منه[3] ،ولما كانت بلاد المغرب قد اختارت المذهب المالكي دون غيره من الفقهية السنية الأخرى، وذلك باتصال أهله بالإمام مالك بن أنس مباشرة وتتلمذوا على يده ونقلوا آرائه وعلمه وفتاواه إلى بلادهم، وكذا يرجع سبب اختياره لملائمة مذهبه لطبيعة المغاربة،

[1] محمد حوتيه: **الطرق الصوفية في إقليم توات**، مقامات للنشر والتوزيع ،الجزائر،2013،ص ص 9،10.

[2] مرزقلال العماري: مرجع سابق، ص ص 109،110.

[3] عمر الجيدي :**مباحث في المذهب المالكي بالمغرب**، ط1، مطبعة المعارف الجديدة ،الرباط ،المغرب،1993،ص ص15، 36.

ذلك بأن المذهب المالكي كما هو معروف عنه ،مذهب عملي يعتد بالواقع، ويأخذ بأعراف الناس وعاداتهم ويتماشى مع الفطرة في وضوحها وبساطتها دون تكليف أو تعقيد ،كما أن أهل المغرب بطبعهم يميلون إلى البساطة والوضوح ،فاختيار المغاربة لمذهب مالك هو اختيار لمذهب أهل السنة، وفقه الصحابة والتابعين ،فكل هذه الاعتبارات التي تمت الإشارة إليها كان لها تأثير خاص في نفوس المغاربة[1].

كما يعود سبب اختيارهم نتيجة رحلات المغاربة إلى الحجاز جعلهم يأخذون على مذهب المالكي، كما أضاف المؤرخ ابن خلدون، بقوله:«... أما مذهب مالك رحمه الله تعالى فاختص بمذهبه أهل المغرب والاندلس وان كان يوجد في غيرهم الا انهم لم يقلدوا غيره، إلا في القليل ،لما أن رحلتهم غالبا إلى الحجاز وهو منتهى سفرهم، والمدينة يومئذ دار للعلم، ومنها خرج إلى العراق، وشيخهم يومئذ وإمامهم مالك بن أنس ...فرجع إليه أهل المغرب والأندلس وقلدوه دون غيره...»[2] .

وبعدها انتقلت مؤثراته إلى منطقة السودان الغربي، ذلك ضمن المؤثرات الحضارة العربية الإسلامية التي مرت للمنطقة عن طريق التجار والدعاة والفقهاء المغاربة، وأضحى المذهب المالكي السنية[3] طابعا مميزا لكافة الممالك والسلطنات والإمارات السودان الغربي، منذ دخول المرابطين إلى مملكة غانا[4].كما هو الحال على أيام مملكة مالي فالمذهب المالكي الذي كان سائد وذلك نتيجة

[1] عمر الجيدي: مرجع سابق،ص36.

[2] ابن خلدون: مقدمة...،مصدر سابق،ص245.

[3] الأفراني: مصدر سابق،ص89.

[4] ابن خلدون، العبر...، مصدر سابق،ج6،ص ص 266،267.

مالكية ملكها منسا موسى الذي جلب العديد من الكتب والمؤلفات أثناء رحلته إلى الحج عام 725هـ/ 1324م [1].

والأمر ذاته في مملكة سنغاي على أيام الأسقيين ، وتجلى واضحا لمدى تجسد وتعمق المذهب المالكي[2] في منطقة السودان الغربي، ومدى حرص ملوكها وعلمائها على تطبيق[3] الشريعة الإسلامية وما جاء فيها من خلال محاربة و القضاء على البدع والخرافات[4]، وتجسد ذلك من خلال الأسئلة التي قدمها للمغيلي التي يستفسره فيها حول القضايا التي تتعلق بالحكم[5]، ورد عليه المغيلي وقدم له نصائح وفتاوي ساعدته في تسيير شؤون مملكته[6]، وكان الفقه كله يدور حول فقه مالك والعلوم المساعدة الأخرى التي تخدمه وتساعد على فهم الثقافة التي وضحت في القيروان ،وقل أن تجد في السودان الغربي مذهبا إلا مذهب مالك[7] ،وفقها إلا فقه مالك .

فالفقهاء مالكيون في حياتهم وتقاليدهم وإنتاجهم وتأليفهم وتدريسهم [8]،والشعوب مالكية تتأثر بالفقهاء وتستهدي بهم، وكادت مدارس الثقافة الإسلامية في منطقة السودان الغربي أن تكون مدارس مغربية بحثه، فالأسلوب المعتمد واحد نفس الكتب والمناهج الدراسية المتبادلة نفس

[1] الهادي المبروك الدالي: التاريخ السياسي...، مرجع سابق،ص59.

[2] عبد الخالق أحمدون: **التواصل الحضاري بين المغرب والبلدان الإفريقية جنوب الصحراء الكبرى من خلال وثيقة فقهية** ،مقال ضمن **ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الإفريقية على جانبي الصحراء** أيام 12-14 ماي1998،كلية الدعوة الإسلامية ،ليبيا ،ط 1، 1999،ص ص522،523.

[3] أسماء أحمد الأحمر: مرجع سابق،ص169.

[4] مراد حسين عبد الله: **المذهب المالكي في السودان الغربي(ظهوره– وإنتشاره– سيادته)** ،مركز البحوث والدراسات التاريخية، ،مصر ،د ت،،ص5.

[5] المغيلي: أسئلة الأسقيا...،مصدر سابق،ص10.

[6] شترة خير الدين: مرجع سابق،ج2،ص56.

[7] العمري: مصدر سابق،ج4،ص46.أنظر:ابراهيم ابن نور الذين المعروف بابن فرحون المالكي: **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، تح: مأمون بن محي الذين الجنان، دار الكتب العلمية ،لبنان، ط1،1996،ص47.

[8] مرزقلال لعماري: مرجع سابق،ص112.

ما هو موجود في الكتب والمناهج المالكية مثل :كتب الموطأ للإمام مالك[1]، ومختصر خليل ،والشفاء للقاضي عياض، والخزرجية ،وشروح بن القاسم، وكتب المغيلي، ...وغيرها من الكتب المالكية، فيتجلى الحضور الدائم والتأثير المغربي القوي في الطابع المذهبي للإسلام في منطقة السودان الغربي الذي ظل قائما على حاله إلى يوم، فالإسلام في هذه المنطقة إسلام سني على مذهب الإمام مالك[2] رضي الله عنه، الذي اشتهر بوسطيته واعتداله[3] .

[1] محمد بن قاسم مخلوف: شجرة النور...،مصدر سابق،ج1،ص689.

[2] العمري: مسالك الأبصار...،مصدر سابق،ج4،ص46.

[3] عبد العلي الودغيزي: دور المغرب في نشر الإسلام...، مرجع سابق.

من خلال دراستنا لموضوع ملامح من التأثير الحضاري العربي الإسلامي على بلاد السودان الغربي خلال القرنين 9-10هـ/15-16م،خلصنا إلى مجموعة من الاستنتاجات من بينها:

- تمتلك منطقة السودان الغربي موقع هاما جعلها محطة جلب واستقطاب العديد من الهجرات الأجناس البشرية باختلافها من المناطق التي تحاديها ،وترجع تلك المميزات لوقوعها في منطقة تجري بها بعض الأنهار كنهر النيجر و السنغال ، كما تتكون من تركيبة بشرية متنوعة نتيجة الهجرات التي شهدتها المنطقة وتتمثل في: قبائل الفلان والسوننك والماندنجو وقبائل بني حسان وصنهاجية... وغيرها.

- تعدد الوسائل والأساليب التي ساهمت في نشر الإسلام ببلاد السودان الغربي بين: دعاة، تجار، علماء الذين أدوا دوارا كبيرا في نشر الإسلام والثقافة العربية الإسلامية بالمنطقة ،خاصة التجار الذين جمعوا بين مهنتهم كتجار ودعاة للدين الإسلامي بالإضافة إلى بعض الوسائل منها: الطرق الصوفية، الهجرات العربية والبربرية.

- ارتباط التجار بالأسر الحاكمة (مصاهرة) ساهم في الانتشار الواسع والسريع للإسلام وذلك بعدما اعتنقه هؤلاء الحكام وعملوا على نشره في أوساط الشعوب الخاضعة لسلطانهم، وظهر بذلك جيل هجين جديد ساهم في تغيير التركيبة السكانية للمنطقة وفي التأثير على الحياة الاجتماعية باكتساب بلاد السودان الغربي لعادات وتقاليد جديدة مستمدة من البلاد العربية الإسلامية .

- تعدد المسالك التجارية التي ربطت الشمال بالسودان الغربي والتي كانت تنطلق من مدن مختلفة من الشمال الإفريقي لتلتقي في بعض المراكز التجارية الواقعة على مشارف الصحراء الكبرى وتنطلق بعدها مجتمعة نحو السودان الغربي لممارسة التجارة أو نشر الإسلام، ومن أهم المراكز التجارية التي تجتمع فيها القوافل القادمة من الشمال نجد: توات، ورقلة، غدامس ،غات....

– الصحراء الكبرى والأنهار المتواجدة بين شمال القارة وغربها لم تكن عائقا أمام التواصل الحضاري والفكري بين شعوب المنطقتين ،فقد كان للأنهار دور هام في تاريخهما كوسيلة لمرور القوافل التجارية خاصة نهري النيجر والسنغال.

– من خلال دراستنا لمملكة سنغاي تبين جليا أن الأساكي ساهموا وعملوا على نشر الثقافة الإسلامية بالمنطقة ،بفضل سياستهم اللينة والطيبة مع الوافدين لبلاد السودان الغربي سواء من المغرب أو المشرق الإسلاميين، مما ساهم في انتقال الكثير من مؤثرات الثقافة العربية الإسلامية التي مست جوانب عديدة من بينها الاقتصادية ،والثقافية...إلخ.

– يعتبر الفن المعماري من مظاهر التأثير العربي الإسلامي في مملكة سنغاي الإسلامية ،فقد شهدت المنطقة فن البناء وزخرفته على الطراز المغربي الأندلسي والفضل في ذلك يعود لسلطان مملكة مالي منسا موسى بعدما قام برحلة الحج ،فتأثر بما شاهده من قصور ومآذن... في المدينة، مما جعلته يصطحب معه بعض المهندسين على رأسهم إبراهيم الساحلي الغرناطي ،الذين أدخلوا للمنطقة الطراز المعماري الإسلامي ،باستخدام الشمسيات الزجاجية والنقوش التي استعملت فيها الخط الكوفي والخطوط الهندسية بالإضافة إلى زخرفة الآيات القرآنية.

– انتقلت الكثير من مؤثرات الحضارة العربية الإسلامية إلى السودان الغربي خاصة ما تعلق بالتعليم ومراحله ومراكزه ومناهجه والكتب التي اعتمدت في التدريس والتي كانت مالكية على ضوء ما كان سائدا في البلاد العربية بشقيها المشرقي والمغربي.

– يعد الأسكيا محمد من بين الأساكي الذين شهدت في عهدهم مملكة سنغي أوج ازدهارها وتطورها ،حيث كان له الفضل الكبير في تجسيد الثقافة العربية بالمنطقة ،وذلك من خلال اعتماده على الشريعة الإسلامية كأساس لتسيير دواليب الحكم وشؤون المملكته ،حيث قام بوضع أسس لإدارة حديثة مستمدة مما شاهده في المشرق العربي تتمثل في تأسيس حكومة مركزية تخضع لسلطته المطلقة وعين مستشارين ووزراء ليساعدوه في تسيير شؤون مملكته.

– ومن مظاهر التأثير العربي الإسلامي في الجانب العسكري في طرق القتال التي كانت مثل

التي يستخدمها المسلمون في المشرق ومن الأسلحة المعتمدة الرماح والأقواس والسيوف والفؤوس ...وغيرها .

- ساهمت المساجد والحواضر الثقافية ببلاد السودان الغربي في نشر الثقافة العربية الإسلامية، خاصة حاضرة تنبكتو التي تعتبر منارة ومركزا للإشعاع الفكري الذي عم المنطقة استقبلت العديد من الوافدين لطلب العلم سواء من المنطقة أو خارجها.

- كما أثرت الثقافة العربية في الحياة السياسية من خلال مراسيم تنصيب الملوك المسلمين بالسودان الغربي التي كانت متأثرة لدرجة كبيرة بما كان سائدا في البلاد العربية عند تنصيب الحكام العرب على سبيل المثال: إقامة قسم يمين الولاء للملك الجديد في المسجد بحضور القاضي ،حملهم الشارات تشبها بالخلفاء العرب المسلمين، حرصهم على استتباب الأمن بالبلاد ،الإحسان للفقراء والمساكين بتوزيع الصدقات عليهم...وغيرها.

- ساهمت مؤثرات الثقافة العربية الإسلامية في المنطقة من خلق جيل من كبار العلماء السودانيين الذين سطع نجمهم عاليا، والذين نالوا شهرة كبيرة في البلاد العربية ومقدرة كبيرة من علماء الشمال الإفريقي وإجازات من قبلهم ،وشاركوا في إنتاج الفكري من خلال التأليف في مختلف العلوم التي عرفت في عصرهم وعلى رأسها العلوم الشرعية وعلوم اللغة العربية وآدابها سواء شعر ونثر...ونحوها، ومن بين هؤلاء العلماء نجد أحمد بابا التنبكتي، ومحمود كعت...وغيرهم.

- برزت التأثيرات العربية الإسلامية على الجانبين الاقتصادي والاجتماعي ، فتطورت أساليب التعامل التجاري من التجارة الصامته والمقايضة إلى استعمال العملة والنقود سواء ذهبية ،فضية ،نحاسية ،وانتقلت بعض المصطلحات العربية المتعلقة بالمقاييس والمكاييل والأوزان بأسمائها العربية إلى اللغات الإفريقية المحلية، ووفد للمنطقة من الشمال الإفريقي والأندلس مزارعين يملكون خبرة ساهموا في تطوير الزراعة من خلال جلبهم لمحاصيل زراعية جديدة للمنطقة لم تكن منتشرة من قبل ،كما استخدموا أساليب وأدوات جديدة في الحرث والحصاد...إلخ.

- عرفت المنطقة صناعات وحرف جديدة لم تكن قد عرفت في المنطقة من قبل كدباغة الجلود

وصناعات النسيجية وحياكة الملابس وصناعة الزرابي والحصير والصابون وصناعات الحديدية كالخناجر والسيوف والحدائد الخيل....وغيرها، وعرفت حرفة الوراقين تقليدا لما هو سائد في كل من مصر والحجاز والشمال الإفريقي.

– أما بما تعلق بالتأثير على الحياة الاجتماعية؛ تجلت واضحة في كثير من العادات والتقاليد الاجتماعية ففي الزواج ونظام الأسرة تقيد مجتمع السودان الغربي بما جاء في الشريعة الإسلامية في عدد الزوجات، ومكانة المرأة ،وعلى إثر ذلك أصبحت الأسرة محصنة ،كما أضحى أهالي السودان الغربي يقيمون احتفالات دينية عديدة كاحتفال بالمولد النبوي الشريف وبقدوم شهر رمضان وبالعيدين الفطر والأضحى...إلخ، فقلدوا بذلك ما كان يسود بالبلاد العربية خاصة الشمال الإفريقي، وصارت عادات وتقاليد سكان المنطقة سواء في المسكن أو الملبس أو المأكل مشابهة إلى حد كبير للنمط العربي الإسلامي ،وبالأخص النمط المغربي.

– من مظاهر الحضور الدائم والتأثير المغربي القوي في الطابع المذهبي للإسلام والمتمثل في المذهب المالكي الذي أضحى مذهب بلاد السودان الغربي، وكذلك الطرق الصوفية نفسها السائدة بالشمال الإفريقي ،كما أصبحت اللغة العربية لغة التواصل والتعامل في منطقة السودان الغربي ، فغزت المصطلحات العربية وانسجمت مع اللغات الإفريقية المحلية وتأثرت بها.

الملحق 01 : خريطة موقع بلاد السودان الغربي [1]

[1] ابن بطوطة : مصدر سابق ، ج4،ص 238.

الملحق02: صور لبعض صناعات الحلي التي عرفت ببلاد السودان الغربي[1]:

[1] Ann H.Fuerst, **All Roads lead to timbuktu**, timbuktu, 1994, p 6.

الملحق 03:مسجد سنكري

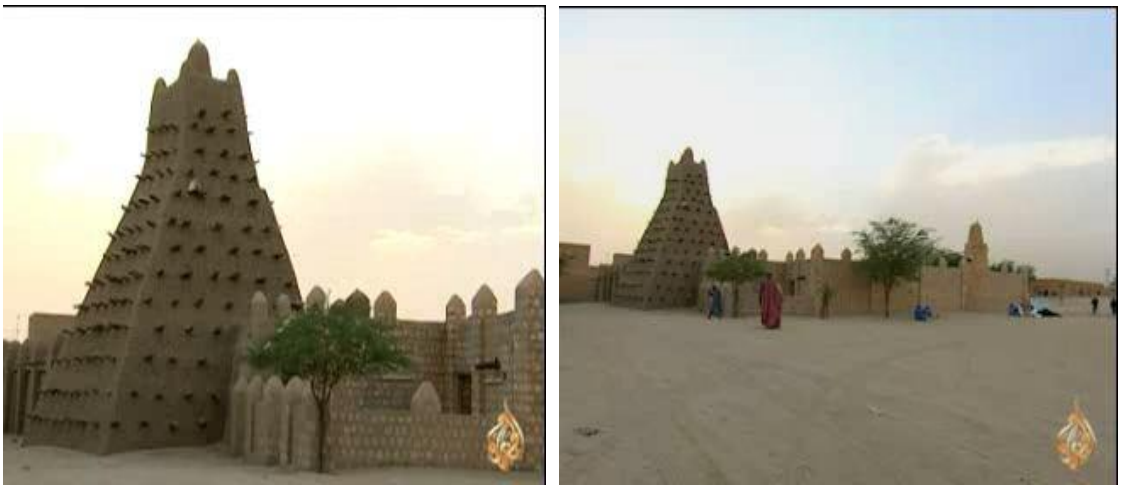

الجامع الكبير [1]:

[1] العماري مرزقلال :مرجع سابق، ص ص164،165.

الملحق 04: صورة توضح مسجد الجامع الكبير[1]:

[1] محمد علاوة حاجي:مرجع سابق،ص24.

الملحق 05:بعض الآلات الموسيقية التي عرفت ببلاد السودان الغربي[1] :

[1] Ann H.Fuerst¸Op.cit¸p7.

الملحق 06:الإنتاج الزراعي بالسودان الغربي[1]

نوع الانتاج	مكان الانتاج	المصدر	معلومات متميزة
حبوب: قمح شعير ذرة	كاوو	ابن بطوطة: ج2، ص738.	
	إقليم جوبر	الوزان: ج2،ص174.	عامة الناس كانت تتغدى بالذرة
	إقليم الولوف	مارمول: ج3،ص203.	
حبوب: شبيهة بالفول	لم يذكر بالتحديد	ابن بطوطة :ص681.	تقلى وتأكل وقد إعتبرها ابن بطوطة من الأكلات المفضلة
الأرز	بلدة كوبر	الوزان: ج2،ص ص 173،174.	
خضروات: البطاطا +اللفت+ الخضر	تونبكتو	مارمول: ج3،ص203.	
خضروات: الفقوس العنابي+الملوخية البرية + الكرنب+ البادنجان +القرعة	كوكو	ابن بطوطة: ص679،680. مارمول، ج1،ص53.	
الفواكه	كاوو	الوزان: ج2،ص ص 169،173.	ذكر فاكهة تسمى الجميز
القطن		الوزان: ج2،ص ص 169،173.	
			تحدث مارمول عن

[1] كريمي ماجدة:مرجع سابق،ص75.

العسل	كوبر	الوزان: ج2،ص171. مارمول: ج3،ص207.	تربية النحل التي مورست على نطاق واسع، لأن العسل يدخل في تغدية الكثير منهم وفي علاجهم ،كما يبيعون بعض منه للتجار الوافدين للمنطقة.

الإنتاج الحرفي بالسودان الغربي قراءة مصدرية [1]

نوع الإنتاج	مكان التصنيع	المصدر	معلومات متنميزة
منتجات زراعية مصنعة صناعة تجفيف الأسماك	على نهر النيجر	البكري،ص173. الإدريسي،ص6 مارمول، ج3،ص215. محمود كعت،ص57.	
صناعة غزل ونسج القطن	جني تومبكتو	الوزان، ج2،ص137-165.	ينتجون أعداد هائلة تغطي الحاجيات المحلية والأخرى يصدرونها إلى المغرب فيجنون منها أرباحا عظيمة وفي بعض الأحيان يبتاعون من المغاربة الكثير من الألبسة الأوربية بالمقايضة

[1] كريمي ماجدة:مرجع سابق،ص78.

صناعة الحصير		الوزان ،ج2،ص172. محمود كعت ،ص 106-108.	تنسج من نبات يشبه الديس إلا أنه أقوى منه وأكثر سمكا
منتجات معدنية مصنعة سك عملة ذهبية	تادمكة	البكري ،ص 181. الوزان، ج2،ص162.	تحدث عن دنانير صلع غير مختومة . ذكرها كوسيلة للتعامل في مدينة جني. وهذا معناه أنه إلى حدود ق10هـ/16م ظلت الدنانير الصلع متداولة ،وللإشارة فقد ظلت الدنانير الصلع متداولة كما استعملت كذلك كل من مادة المرجان والودع وقطع النحاس والحديد والكتان كعملة متداولة
صناعة حديدية متنوعة مثل أدوات الحرث من فؤوس ومعاول و أدوات الحرب من سيوف وخناجر	تنبكتو جاو	محمود كعت، ص30.	

الملحق 07:خريطة توضح أهم المراكز الحضارية في بلاد السودان الغربي[1]

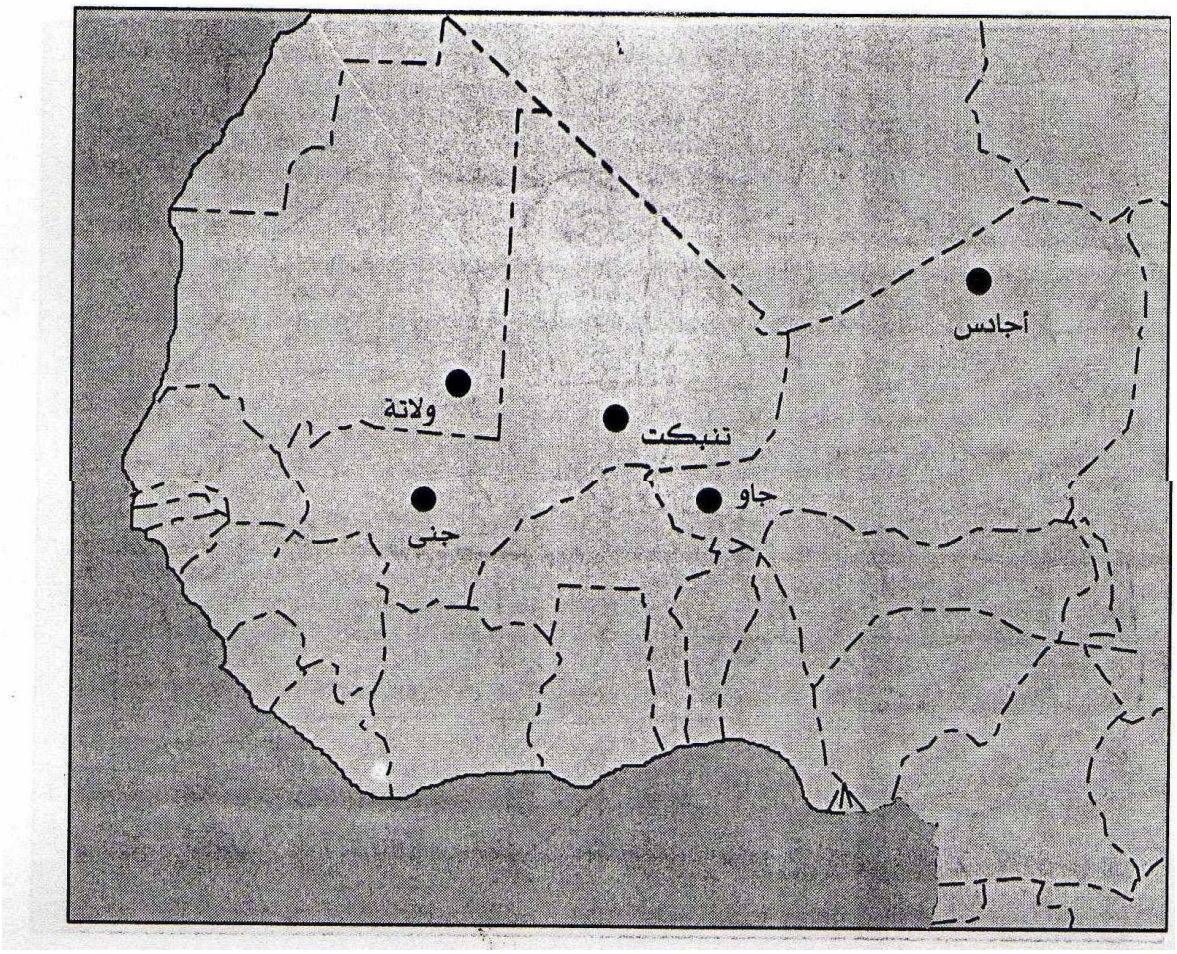

[1] مطير سعد غيث:مرجع سابق،ص414.

الملحق 08: بيان بأسماء وتواريخ تولية أساكي سنغاي (899-934هـ/1494-1531م)[1]

1- الأسكيا محمد الأول (الكبير): 899-934هـ/1494-1531م.

2- الأسكيا موسى ابن الأسكيا محمد الكبير:934-937هـ/1528-1531م.

3- الاسكيا محمد الثاني بنكسان: 937- 943هـ/ 1531-1537م.

4- الاسكيا اسماعيل ابن الاسكيا محمد الاول:943-946هـ/1537-1539م

5-الاسكيا إسحاق الأول: 946-956هـ/1539-1582م.

6-الاسكيا داوود ابن الاسكيا محمد الاول: 956-991هـ/1549-1582م.

7-الاسكيا محمد الثالث ابن الاسكيا داوود: 991-995هـ/ 1582-1585م.

8-الاسكيا محمد الرابع ابن داوود:995-996هـ/1586-1588م.

9-الاسكيا اسحاق الثاني ابن داوود: 996-1000هـ/1588-1591م.

[1] سعد مطير غيث:مرجع سابق،ص417.أنظر: أسماء أحمد الأحمر:مرجع سابق:ص ص190،174.

الملحق 09:صور بعض المؤلفات بالسودان الغربي[1]

صورة لكتاب القرآن

[1]ALEX ULAM:**Elusive librararies of Timbuktu**¸scholars seek west Africa's medieval past in the city's slitte known manuscripts¸August2004¸p39.

الملحق09:الإنتاج الحيواني بالسودان الغربي [1]

نوع الإنتاج	مكان الإنتاج	المصدر	معلومات متميزة
الحيوانات الأنيسة: الإبل	في مناطق كثيرة	القلقشندي، ج5، ص 286. مارمول ،ج 1 ، ص61-70. محمود كعت، ص18.	اهتموا كثيرا بتربيتها واستفادوا من لحومها وألبانها في غدائهم ومن وبرها وجلودها في صناعة ملابسهم وبيوتهم وفي نقل أحمالهم .
الأبقار		الوزان، ج2، ص171-178.	اختصت بتربيتها قبائل الفلان دون غيرها.
الأغنام والماعز		محمود كعت، ص195.	اختصت بتربيتها قبائل الفلان .
البغال		الوزان، ج2، ص172. محمود كعت،ص26.	تتحمل الأثقال أكثر وقد استخدمها منسى موسى في رحلته للحج.
الطيور الداجنة: الحمام +الدجاج		القلقشندي، ج5، ص288.	
الطيور البرية: طير النعام		محمود كعت، ص137.	يستفاد من ريشه فيصدر إلى خارج بلاد السودان

[1] كريمي ماجدة:مرجع سابق،ص76.

الملحق 10:مسالك وطرق التي مر بها الإسلام إلى بلاد السودان الغربي[1]

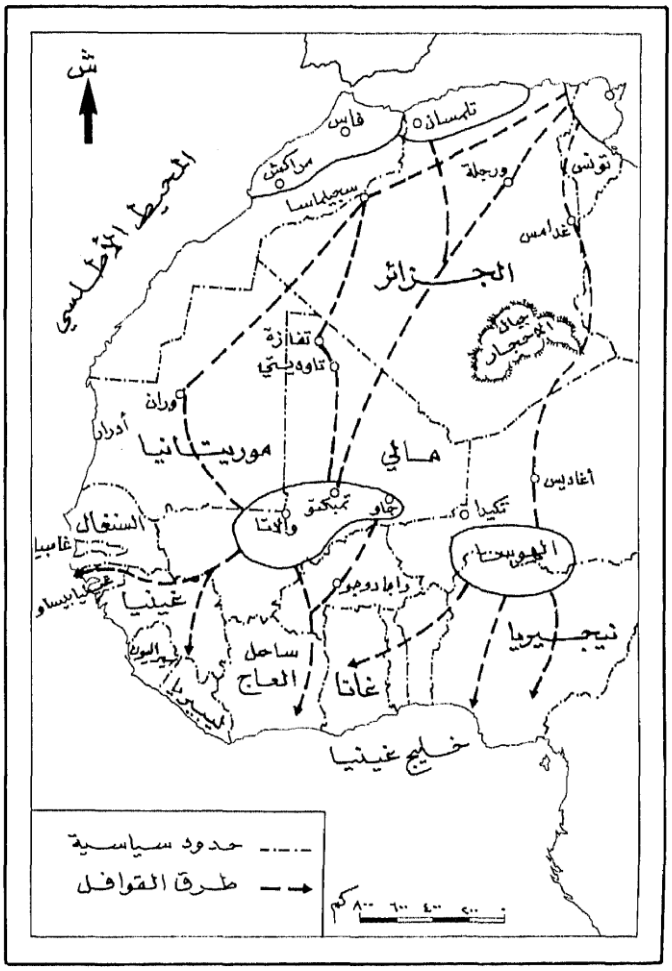

شكل (٢) طرق القوافل التجارية في غربي أفريقيا

[1] مجموعة مؤلفين: الموسوعة الجغرافية ... ،مرجع سابق،ص26.

أولا: المصادر:

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

مخطوط:

مجهول: تذكرة النسيان في أخبار مولوك السودان، تحت رقم:6097، مخطوط بموقع :قاليكا

http://gallica.bnf.fr/ark:/12148/btv1b10510177r/f2.image.r

أ- العربية:

1- التنبكتي أحمد بابا: **نيل الإبتهاج بتطريز الديباج**، إشراف وتقديم: عبد الحميد عبد الله، ج1،منشورات كلية الدعوة الإسلامية ، طرابلس، ليبيا ،ط1 ،1989.

2- ابن بطوطة محمد بن عبد الله بن محمد :**تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**،مج4، تح: عبد الله التازي ،أكاديمية المملكة المغربية ،المغرب ،1997.

3- ابن خلدون عبد الرحمن: **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أخبار العرب والعجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، ج 5،ج6 ، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت ،لبنان ،2000.

4- _____ : **مقدمة ابن خلدون**، تع: عبد الله محمد درويش ،دار يعرب ،سوريا ،ط1، 2004.

5- ابن فرحون المالكي ابراهيم ابن نور الذين المعروف: **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، تح: مأمون بن محي الذين الجنان، دار الكتب العلمية ،لبنان، ط1، 1996.

6- الإدريسي الشريف :**نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**،ج1، مكتبة الثقافة الدينية ،مصر ،1994.

7- الأرواني محمد محمود: **تاريخ الصحراء والسودان وبلد تنبكت وشنقيط واروان في جميع البلدان**، در،تح،تق: الهادي المبروك الدالي،دار الكتب الوطنية ،ليبيا ،2010.

8- الإصطخري أبي إسحاق ابراهيم بن محمد: المسالك والممالك، مطبع بريل، بيروت ،ليدن ،1870.

9- البرتلي الولاتي عبد الله الطالب محمد بن أبي بكر الصديق: **فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور**، تح: محمد ابراهيم الكتاني، محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط1، 1981 .

10- البكري أبو عبيد الله :**المغرب في ذكر بلاد افريقيا وهو جزء من موسوعة المسالك والممالك**، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، مصر.

11- التنبكتي أحمد بابا :**نيل الإبتهاج بتطريز الذيباج**،ج2، تق: عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية ، طرابلس ، ليبيا، ط1، 1989 .

12- _____ : **كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج**، تح: محمد مطيع، ج1، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ،المغرب ،2000

13- الحموي شهاب الدين أبي عبيد الله ياقوت بن عبد الله: **معجم البلدان**،ج3، دار صادر ،لبنان، 1977.

14- الحميري محمد بن عبد المنعم: **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تح: إحسان عباس، دار القلم، لبنان،1975.

15- الدرجيني أحمد بن سعيد:**طبقات المشايخ بالمغرب** ،تح:إبراهيم طلاي، ج2، دار البعث ، قسنطينة،الجزائر،

16- الرقيق أبو إسحاق أبراهيم بن القاسم: **تاريخ إفريقية والمغرب** ،تح: عبد الله العلي الزيدان وعز الذين عمر موسى ،دار الغرب الإسلامي ،لبنان ،ط1،1990.

17- العياشي أبو سالم: **الرحلة العياشية 1661-1663**، تح: سعيد الفاضلي ،سليمان القرشي ،ج1 ،دار السويدي للنشر ،الإمارات،ط1،2006.

18- ابي فارس عبد العزيز الفشتالي: **مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا** ،تح: عبد الكريم كريم، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافة ،المغرب ،دت.

19- القادري محمد بن الطيب:**نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني** ،تح : حجي محمد والتوفيق أحمد ،ج1 ،دار المغرب ،المغرب،1977.

20- القزويني زكرياء بن محمد محمود :**آثار البلاد وأخبار العباد**، دار صادر، بيروت ،لبنان، دت.

21- القلقشندي أبو العباس أحمد: **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**،ج5،المؤسسه المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، مصر،2000 .

22- المغيلي محمد بن عبد الكريم ، **أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي**، تق ،وتح عبد القادر زبادية ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.

23- المغيلي محمد بن عبد الكريم: **رسالتان في أهل الذمة**، در،تح: عبد المجيد الخيالي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2001.

24- المقدسي أبو عبد الله محمد شمس الدين: **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم** ، ليدن، د،ت.

25- الوزان حسن بن محمد الفاسي :**وصف إفريقيا**، تر: محمد حجي، محمد الأخضر ،ج2،دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط2،1983.

26- الوفراني محمد الصغير:**نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي**،تر:هوداس،مطبعة بردن، مدينة أنجي،1888.

27- كربخال مارمول: **إفريقيا** ،تر: محمد حجي وآخرون، ج3،الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، المغرب ،1989.

28- كعت محمود: **المختار من تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس**، تق ودر وتع: عبد النعيم ضيفي عثمان ،دار العلوم للنشر والتوزيع ،مصر، ط1،2005.

29- كعت محمود: **تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس**، تر: هوداس ودلافوس ،مطبعة بردن مدينة أنجي، 1913.

30- مخلوف محمد بن محمد بن عمر بن قاسم: **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، تع: عبد الحميد خيالي ،ج1،دار الكتب العلمية لبنان، ط1، 2003.

31- الناصري ابو العباس احمد بن خالد: **الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى الدولة السعدية** ،تح: جعفر الناصري ،محمد الناصري، ج5، دار الكتاب ،الدار البيضاء ،المغرب ،1955.

ثانيا– المراجع:

أ–العربية:

1- دندش عصمت عبد اللطيف ،**دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا (430 –515هـ/1038–1121م)** مع نشر وتحقيق رسائل أبي بكر العربي ، دار الغرب الاسلامي، لبنان، ط1،1988.

2- فيصل محمد موسى: **موجز تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر**، مر: ميلاد المقرحي ، منشورات الجامعة المفتوحة ،ليبيا ، 1997.

3- إبراهيم عبد الله عبد الرزاق: **أضواء على الطرق الصوفية في القارة الإفريقية**، مكتبة مدبولي، مصر،1990.

4- أبو خليل شوقي :**الحضارة العربية الإسلامية وموجز عن الحضارات السابقة**، دار الفكر، سوريا ،ط1،1994.

5- أبو خليل شوقي: **الحضارة العربية الإسلامية وموجز عن الحضارات السابقة**، دار الفكر، سوريا ط1 ،1994.

6- الأحمر أسماء أحمد: **الدين والدولة في مملكة سنغاي الإسلامية**، دار الكتب الوطنية، ليبيا،ط1،2008.

7- الجمل شوقي ، ابراهيم عبد الله عبد الرزاق : **تاريخ غرب إفريقيا الحديث والمعاصر** ،مكتبة الاسكندرية ،مصر ،1998.

8- الجمل شوقي عطا لله ، ابراهيم عبد الله عبد الرزاق: **تاريخ المسلمين في افريقيا ومشكلاتهم** ، دار الثقافة للنشر، مصر ،1997.

9- الجمل عطا لله شوقي: **الأزهر ودوره السياسي والحضاري في افريقيا**، مركز وثائق تاريخ ، مصر ،1988 .

10- الجيدي عمر: **مباحث في المذهب المالكي بالمغرب**، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط ، المغرب،ط1،1993.

11- الدالي الهادي المبروك: **التاريخ الحضاري لإفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر الى بداية القرن الثامن عشر**، دار الكتب الوطنية، ليبيا ،2010.

12- الدالي الهادي المبروك: **التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر الى بداية القرن الثامن عشر**،الدار المصرية اللبنانية ،مصر، ط1، 1999.

13- الزبيري محمد العربي: **التجارة الخارجية للشرق الجزائري1798-1830**، ، الجزائر، ط1، 1984.

14- الشكري أحمد: **الإسلام والمجتمع السوداني إمبراطورية مالي(1230-1430)** ، المجتمع الثقافي ،الإمارات العربية المتحدة، ط1999،1.

- العربي إسماعيل :**الصحراء الكبرى وشواطئها**، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر، 1983.15

16- العوامر إبراهيم محمد الساسي: **الصروف في تاريخ الصحراء وسوف** ،تع: الجيلاني بن إبراهيم العوامر ،منشورات تالة، الجزائر، 2007.

17- الفيتوري عطية مخزوم: **دراسات في تاريخ شرق إفريقيا وجنوب الصحراء مرحلة انتشار الإسلام**، دار الكتب الوطنية ،ليبيا،ط1،1998.

18- القشاط محمد سعيد: **أعلام من الصحراء**، دار الملتقى للطباعة ،لبنان،ط1،1997.

19- المحيشي عبد القادر وآخرون: **جغرافية القارة الإفريقية وجزرها**، دار الكتب الوطنية ،ليبيا،ط1، 2000 .

20- الملاح بشار أكرم: **التحولات التي احدثها الاسلام في المجتمع الافريقي**، دار غيداء للنشر، عمان ،ط1،2013 .

21- المنجد صلاح الذين: **مملكة مالي عند الجغرافيين المسلمين**، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان،1982.

22- النحوي الخليل: **إفريقيا المسلمة الهوية الضائعة**، دار الغرب الإسلامي ،لبنان، ط1 ،1993.

23- باري محمد فاضل علي ، كريدية سعيد ابراهيم: **المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ وحضارة**، دار الكتب العلمية، لبنان،ط1، 2007 .

24- بلحميسي مولاي :**الجزائر من خلال الرحلات المغاربية في العهد العثماني** ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2،1981.

25- بن حموش مصطفى: **جوهر التمدن الإسلامي دراسات في فقه العمران**، وزارة الثقافة، الجزائر، 2014.

26- بن خروف عمار: **العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر الهجري /السادس عشر الميلادي** ، ج1،دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع ،الجزائر،2006.

27- بن سوسي محمد: **العمارة الإسلامية في تمنطيط**، مقامات للنشر والتوزيع، الجزائر ،2013.

28- بوعزيز يحي: **تاريخ افريقيا الغربية الاسلامية من مطلع القرن 16الى نهاية القرن 19 الميلاد**، عالم المعرفة للنشر ،الجزائر، 2009 .

29- جمعة علي :**المكاييل والموازين الشرعية**، القدس للنشر والتوزيع ،مصر،ط2،2001.

30- حجي محمد :**الحركة الفكرية في المغرب في عهد السعديين**،ج2، دار المغربية للتأليف والترجمة والنشر،المغرب،1976.

31- حسن إبراهيم حسن: **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والإجتماعي**،ج2،مكتبة النهضة المصرية، مصر،ط14 ،1996.

32- حسن أحمد محمود: **الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا**، دار النهضة المصرية، مصر ،1958.

33- حسن عيسى عبد الطاهر: **الدعوة الإسلامية في غرب إفريقيا وقيام دولة الفولاني** ،الزهراء للإعلام العربي،مصر،1991.

34- حسن عيسى عبد الطاهر: **الدعوة الإسلامية في غرب إفريقيا وقيام دولة الفولاني** ، الزهراء للإعلام العربي ،مصر ،1991.

35- حوتيه محمد: **الطرق الصوفية في إقليم توات**، مقامات للنشر والتوزيع،دع ط، الجزائر ،2013.

36- ذهني إلهام: **جهاد الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا ضد الاستعمار الفرنسي (1850 -1914)** ،دار المريخ للنشر ، السعودية ،1988.

37- زبادية عبد القادر .: **مملكة سنغاي في عهد الأسقيين 1493-1591**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ،د.ت.

38- زبادية عبد القادر: **الحضارة العربية والتأثير الأوربي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء** ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، 1989.

39- شترة خير الذين: **الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني المصلح الثائر وفكره الإصلاحي في توات و السودان الغربي** ،ج1،ج2،منشورات وزارة الشؤون الدينية تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية،الجزائر،2011.

40- شلبي أحمد: **موسوعة التاريخ الإسلامي**،ج6، مكتبة النهضة المصرية، مصر،ط5،1990.

41- شيت خطاب محمود: **قادة فتح المغرب العربي**، ج1 ،دار الفكر للطباعة والنشر ،لبنان ، ط1، 2011.

42- عبد الله عبد الرزاق: **انتشار الإسلام في غرب افريقيا**، ج2، دار الفكر العربي، مصر ، 2006.

43- عثمان شوقي عبد القوي: **التجارة بين مصر وإفريقيا في عصر المماليك** ،المجلس الأعلى للثقافة ،مصر، 2000.

44- غربي محمد: **بداية الحكم المغربي في السودان الغربي**،ج1،مؤسسة الخليج للطباعة والنشر، بغداد، العراق ،1982.

45- غرميني عبد السلام :**المدارس الصوفية المغربية والأندلسية في القرن السادس هجري**، دار الرشاد الحديثة، المغرب، ط1،2000.

46- غطاس عائشة :**الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700-1830**،منشورات المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، 2012.

47- مصباح الأحمد أمحمد: **تاريخ العلاقات العربية الإفريقية** ، دار الملتقى للنشر، لبنان ،ط1 ، 2001.

48- مطير سعد غيث أحمد: **الثقافة العربية الاسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي خلال القرنين العاشر والحادي للهجرة السادس عشر والسابع عشر للميلاد**، دار المدار الاسلامي، لبنان،ط1، 2005.

49- مقدم مبروك: **الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني ودوره في تأسيس الإمارة الإسلامية بإفريقيا الغربية خلال القرن التاسع عشر للهجرة الخامس عشر للميلاد** ،دار الغرب للنشر والتوزيع ،الجزائر ،2006.

50- موسى عز الذين عمر: **دراسات في غرب إفريقية**، دار الغرب الإسلامي، ،لبنان، ط2 ، 2003.

51- موسى فيصل محمد: **موجز تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر**، مر: ميلاد المقرحي ، منشورات الجامعة المفتوحة ،ليبيا،ط1 ،1997.

52- مؤنس حسين: **المساجد** ،عالم المعرفة ،الكويت،1981.

53- القاسمي ظافر: نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي دار النفائس للطباعة والنشر، لبنان،ط6،1990

54- هريدي فرغلي علي تسن: **تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر (الكشوف-الاستعمار-الاستقلال)** ، دار العلم والايمان للنشر والتوزيع،،ط1،2008.

ب– الأجنبية:

1- D.Armagnac: **Le Mzab et les Pays Chaamba**, Edi:Baconnier , paris,1934.

2- Delafosse Mauric: **Les Noirs de L'Afrique**,collection payot, paris,1922.

3-Gouvernement général de l'Afrique occidental Francaise **' Notice sur la région de Tomboouctou**' Saint Louis imprimerie'1896'.

4-MAG.A.Hacquard**.Mongrphie de Tombouctou**(Accompagnee de nombreuses illutrations et dune carte de regoin de tombouctou Societe des etude colonailis et maritimes.Paris.1900.

ج– المعربة:

1– أرنولد توماس :**الدعوة إلى الإسلام، بحث في نشر العقيدة الإسلامية** ،تر: إبراهيم حسن وآخرون ،مكتبة النهضة المصرية، مصر،1971.

2– ب .س .لويد: **إفريقيا في عصر التحول الاجتماعي**، تر: شوقي جلال ،سلسلة عالم المعرفة، الكويت،1980.

3– دنيس بلوم :**الحضارات الإفريقية**، تر: علي شاهين، منشورات دار مكتبة الحياة ،لبنان، 1974.

4– سبنسر ترمنجهام: **الفرق الصوفية في الإسلام** ،تر، در ،تع: البجراوي عبد القادر ،دار المعرفة الجامعية،مصر،1994.

5–.فيج جي دي: تاريخ غرب إفريقيا، تر:يوسف نصر ،دار المعارف،مصر،ط1 ،1982 –

6– نيابي ج. ت: **تاريخ إفريقيا العام (إفريقيا من القرن الثاني عشر إلى القرن السادس عشر)** مج4، المطبعة الكاثوليكية، لبنان، 1998.

7- هوبكنز أ.ج: **التاريخ الاقتصادي لإفريقيا الغربية**، تق: محمد عبد الغني سعودي، تر: أحمد بلبع ،المجلس للثقافة ،مصر،1998.

ثالثا: المذكرات والرسائل الجامعية:

1-ألفاجالو محمد: **الحياة العلمية في دولة صنغاي خلال الفترة 842-1000هـ/1464 - -1591م**، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستر في الحضارة والنظم الإسلامية ،كلية الشريعة .والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى،السعودية،1993

2-بودواية مبخوت: **الحركة العلمية في إقليم توات خلال القرون 08-10هجرية**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ وعلم الآثار ، .الجزائر،2011-2012

3-جنيدي عبد الحميد:**مدينة تنبكت ودورها الحضاري خلال القرن 10هـ/16م**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير تخصص دراسات افريقية، جامعة الجزائر(يوسف بن خدة)، الجزائر، 2009

4-ذكار أحمد: **حاضرة ورقلة وعلاقاتها التجارية بالسودان الغربي(1591-1883م)**، - مذكرة ماجستير ،تخصص تاريخ، جامعة أدرار،(قسم التاريخ) ،2010/2009م.

5- عطية عبد الكامل: **التحولات السياسية والاقتصادية في السودان الغربي بين(1750-1914م)** ،مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر: تخصص دراسات إفريقية، جامعة الجزائر2 ،الجزائر،2009-2010.

6- غربي الحواس: **السيادة السعدية بالبلاد السودانية (1591- 1660)** ،مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر ،جامعة الجزائر(بن يوسف بن خدة) ، الجزائر،2008-2009 .

7-سالمي زينب: **الحركة العلمية في إقليم توات خلال القرون 08-10هجرية**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، جامعة أبي بكر بلقايد ،الجزائر، 2011 2012-.

8- مرزقلال لعماري :**الحياة الثقافية الإسلامية في مملكة سنغاي على عهد الأسقيين (899-1000 هـ/1493-1591م)**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر ،جامعة الجزائر،2009 -2010.

9- معشي جميلة بنت عبده بن موسى: **جهود المزارعة في نشر الإسلام في شرق إفريقيا (1110-1313هـ/1698-1898)** ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي الحديث، جامعة أم القرى كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، السعودية ،2013-2014.

رابعا:المقالات:

أ-العربية:

1- أبو أسعد عبد السلام: **العلاقات الثقافية بين الشعوب الإفريقية والإسلام واللغة العربية في ترسيخها** ، مقال ضمن ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الإفريقية على جانبي الصحراء(12.14 ماي 1998م) مراجعة عبد الحميد عبد الله العرامة، منشورات الدعوة الإسلامية ،طرابلس ،ليبيا ،1999م.

2- أبو أسعد عبد السلام:"**العلاقات الثقافية بين الشعوب الإفريقية والإسلام واللغة العربية في ترسيخها**" ، مقال ضمن ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الإفريقية على جانبي الصحراء (12.14 ماي 1998م) مراجعة عبد الحميد عبد الله العرامة، منشورات الدعوة الإسلامية ،طرابلس ،ليبيا ،1999م.

3- أحمدون عبد الخالق: **التواصل الحضاري بين المغرب والبلدان الإفريقية جنوب الصحراء الكبرى من خلال وثيقة فقهية** ،مقال ضمن **ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الإفريقية على جانبي الصحراء** أيام 12-14 ماي1998،كلية الدعوة الإسلامية ،ليبيا ،ط 1، 1999.

4- الجمل شوقي عطا لله: **الحضارة الإسلامية العربية في غرب إفريقيا سماتها ودورالمغرب فيها** ،**المناهل**، مج7 ،وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية ،المغرب ، ع7 ،1976.

5- الجمل شوقي عطا لله:**أحمد بابا التمبكتي السوداني في بعض مخطوطاته بدار الوثائق بالرباط، المناهل**،مج6، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية الرباط،المغرب، ع6،1976.

6- الخثلان سعد بن حمد:" **دور التجار المسلمين في رواج التجارة بين بلاد المغرب والسودان الغربي فيما بين القرنين الثالث والخامس الهجريين" ،مجلة جامعة الملك عبد العزيز للآداب والعلوم الإنسانية** ، السعودية ، ع5،1992.

7- العراقي السر سيد أحمد: **تجارة القوافل بين شمال وغرب إفريقيا وأثرها الحضاري ، تجارة القوافل ودورها الحضاري**، معهد البحوث، العراق، 1984.

8- العماري الحسن: **العلاقات التجارية بين المغرب والسودان الغربي بداية العصر الحديث من خلال كتاب"وصف إفريقيا"** ، مقال ضمن دورية **كان التاريخية**، ع9، 2010.

9- الكرباسي باقر محمد جعفر: **النقود والمكاييل والأوزان في المعجمات العربية** ،**مجلة دراسات الكوفة** ،العراق، ع6 ،2000 .

10- الماحي عبد الرحمان عمر: **مساهمة قوافل الصحراء في نشر الإسلام والحضارة الإسلامية في السودان الأوسط** ،**طريق القوافل**، المركز الوطني للبحوث، الجزائر ،2001.

11- الماحي عمر عبد الرحمان: **مساهمة قوافل الصحراء في نشر الإسلام والحضارة الإسلامية في السودان الأوسط، مجلة طريق القوافل**، المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الأنسان والتاريخ، الجزائر ،2001.

12- آيت عدي مبارك: **مساهمة المغاربة في بناء حضارة بلاد السودان من خلال كتابات الرحالة الأوربيين المنتميين للقرن 19م ،العلاقات المغربية الإفريقية**، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني،ط2،المغرب،2012.

13- بركات محمد مراد: **جمالية العمارة في الثقافة الإسلامية، مجلة حراء**، العدد التاسع ، مجلة علمية ثقافية، تركيا،2007 .

14- بلعربي خالد: **تجارة القوافل عبر الصحراء الكبرى في العصر الوسيط، مجلة الواحات للبحوث والدراسات**، جامعة غرداية، الجزائر، ع15، 2011.

15- بلولة أحمد : **الهجرات والقوافل التجارية عبر الصحراء اسلام والحضارة الإسلامية، دراسات دعوية** ، ع9، 2005.

16- بن بوزيد لخضر: **الجمل في ماقبل التاريخ الشمال الإفريقي ،مجلة علوم الإنسان والمجتمع** ،بسكرة، الجزائر، ع6، 2013.

17- بوعزيز يحي: **طرق القوافل والأسواق التجارية بالأسواق الكبرى كما وجدها الأوروبيون خلال القرن19م،تجارة القوافل ودورها الحضاري** ،معهد البحوث، العراق،1984.

18- توفيق مجاهد حورية: **تاريخ انتشار الإسلام في إفريقيا الابعاد والوسائل، مجلة قراءات إفريقية**، ع6، 2010.

19- جبران محمد مسعود: **التفاعل العلمي والمعرفي بين الغرب الإسلامي والسودان الأوسط والغربي ،حولية المجمع** ، الجماهيرية العربية الليبية ، ليبيا، ع4،2006.

20- جنيدي عبد الحميد: **الحياة الثقافية في مدينة تنبكت (تمبكتو) في القرن 10هـ/16م، مجلة دراسات وأبحاث،** جامعة الجلفة، الجزائر، ع6، 2012 .

21- حجي علاوة محمد: **تمبكتو إذ تستعيد مقاماتها ،العربي الجديد** ، ع 396 ،2015.

22- زبادية عبد القادر: **القرن 16 وحركة التعليم في تمبكتو مركز التبادل الثقافي الأول مع العرب، مجلة المؤرخ العربي** ، بغداد، ع14،1980.

23- سامح كريم عباس: **الصلات التجارية بين المغرب والسودان الغربي ،مجلة كلية التربية الأساسية** ،جامعة بابل ،العراق ، ع 4 ،2010.

24- سينيكي مودي سيسوكو،"**الصنغي من القرن الثاني عشر إلى القرن السادس عشر"، تاريخ إفريقيا العام** ،مج4 ،اليونيسكو ،باريس،1988.

25- عبد الله عيسى: **أثر الإسلام على المجتمع الإفريقي خلال القرن 10هـ/16م– مملكة سنغاي نموذجا–، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات** ،القدس ،فلسطين، ع 36، 2015.

26- عوض الله الأمين : **تجارة القوافل ودورها الحضاري بين المغرب والسودان الغربي وآثارها الحضارية حتى القرن16م ،تجارة القوافل ودورها الحضاري** ،معهد البحوث، العراق،1984.

27- مراد حسين عبد الله: **المذهب المالكي في السودان الغربي(ظهوره– وإنتشاره– سيادته)** ،مركز البحوث والدراسات التاريخية، مصر، د س.

28- ميقا أبو بكر اسماعيل : **دعوة الإمام المغيلي الاصلاحية في السودان الغربي في أواخر القرن التاسع وأوائل القرن العاشر الهجريين وأثرها على الرعاة والرعية وانتعاش الحركة العلمية في المنطقة ، مجلة جامعة محمد بن سعود الإسلامية** ،السعودية ، ع7،1463.

29- ميقا أبوبكر إسماعيل: **أشهر علماء تمبكت وجني وغاو وأثرهم في إزدهار الحركة العلمية والثقافية في مدن السودان الغربي في القرون الثامن والتاسع والعاشر الهجرية ،مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية** ، الرياض، السعودية ، ع11،1995م.

30- هدهودي علي: **المدارس القرآنية بإفريقيا الغربية ودور المغرب في نشر اللغة العربية ، مجلة العلاقات المغربية الإفريقية،** أعمال مجموعة البحث حول المغرب وإفريقيا ،منشورات جامعة الحسن الثاني، المغرب ،ط1، 2012.

31- يوسف راضية : **التفاعل الحضاري في إفريقيا، مجلة إفريقيا قارتنا،** ع 4 ،2013.

ب- الأجنبية:

1 - Ann H.Fuerst¸All Roads lead to timbuktu¸ timbuktu¸1994.

2- ALEX ULAM :Elusive librararies of Timbuktu¸scholars seek west Africa's medieval past in the city's slitte-known manuscripts ¸August ¸2004.

3- Mourice Délafosse: **Les relations du Maroc avec leSoudan à trvers les âges**, R.H, Vol ,1924.

4-John.o.Hunwick: **les rapporte intellectiols entre le Maroc et l'Afrique sub-saharienne a travers les ages**¸publication de l'institut des etudes Africaines¸ Maroc¸2014.

رابعا: الموسوعات والمعاجم العربية:

1- أبو خليل شوقي: **أطلس الفرق والمذاهب الإسلامية** ،دار الفكر ،سوريا،ط4،2012.

2- قطش الهادي: **أطلس الجزائر والعالم** ،دار الهدى، الجزائر، 2013.

3- مجموعة مؤلفين: **قاموس الوسيط الحديث**، منشورات دار أيوب، باتنة، الجزائر، ط1، 2013.

مجموعة مؤلفين : **الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي**، مج12، جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية، السعودية ، 1999.

4- مؤمن مصطفى: **قسمات العالم الإسلامي**، دار الفتح، لبنان،ط1، 1973.

خامسا: الحصص الوثائقية التلفزيونية :

1- دراجي عياش: " تمبكتو جوهرة الصحراء "، **برنامج تحت المجهر**، قناة الجزيرة الإخبارية، الدوحة ،قطر،2005/11/11م، اطلعت عليه يوم: 07-09-2015،على الرابط:

https://www.youtube.com/watch?v=Fm3daFKDAnw

2- قناة بي بي سي عربي الإخبارية: "تنبكت جوهرة الصحراء المتربعة على الرمال " **تقرير إخباري عن مخطوطات تنبكت** ،لندن ،بريطانيا،2009/12/01م، اطلعت عليه يوم: 07-09-2015،على الرابط:

https://www.youtube.com/watch?v=sJ-IHA9kQdM

سادسا: المقالات الإلكترونية:

1-بالهواري فاطمة: العلاقات التجارية بين بلاد المغرب وإفريقيا جنوب الصحراء خلال القرن 4هـ/10م ، دورية كان التاريخية ، ع 10 ديسمبر 2010. اطلعت عليها يوم: 07-09-2015م، على رابط

http://www.kanhistorique.org/Archive/2010/Issue10/Trade

2- الودغيري عبد العلي:**دور المغرب في نشر الإسلام ولغة القرآن بالغرب الإفريقي**، منشور بموقع التاريخ العربي ،اطلعت عليه بتاريخ:07-09-2015م،

http://www.attarikh-alarabi.ma/Html/ADAD53partie3.htm

الإهداء

شكر وتقدير

قائمة المختصرات

مقدمة:.....(أ-ط)

الفصل الأول: السودان الغربي النشأة والتطور.....(11-37)

المبحث الأول: التسمية والموقع.....11

المناخ.....14

التضاريس.....14

الجبال.....15

الشواطئ.....15

المبحث الثاني: الجماعات البشرية في السودان الغربي.....16

قبائل الفولاني.....16

قبائل الماندينغ.....17

قبائل التكرور.....17

قبائل الولوف.....18

قبائل السنغاي.....18

شعب السوننكي.....19

شعب الديولا.....19

شعب البمبارا.....20

قبائل الموسي.....20

قبائل السرير.....20

المبحث الثالث: وسائل انتشار الاسلام ومنافذه.....21

أ- وسائل إنتشاره.....21

1- الدعاة والعلماء.....21

2- التجار.....23

3- الطرق الصوفية.....23

4- الهجرات.....26

5- الفتوحات الاسلامية.....29

6- رحلات الحج.....30

7- القوافل التجارية.....30.

8- الزواج والمصاهرة.....32

ب- المنافذ التي عبر منها الاسلام الى المنطقة.....32

المسالك البرية نحو الغرب الافريقي.....32

مسالك المغرب الاقصى.....33

مسالك المغرب الاوسط.....34

مسالك المغرب الادنى.....36

ب- المسالك النهرية بغرب افريقيا.....37

الفصل الثاني: التأثيرات السياسية و العسكرية.....(39-69)

المبحث الاول: الجانب السياسي.....39

1- السلاطين والحكام.....39

2- النظم الإدارية.....42

أ- النظام الإداري وتطوره.....42

ب- أقاليم الدولة وتطورها.....45

3- العلاقات الخارجية 48

المبحث الثاني: الجانب العسكري.....51

أ- الجيش.....51

1- الحرس الملكي.....52

2- فرقة سلاح الخيالة.....53

3- فرقة الفرسان.....54

4- فرقة المشاة.....54

5- فرقة الطوارق.....55

6- فرقة العبيد.....55

ب- الأسطول.....56

ج- الجهاد والفتوحات.....57

المبحث الثالث: الجانب القضائي.....60

1- أنواع القضاء 61

أ- القضاء الإسلامي.....61

ب- القضاء العرفي.....62

ج- القضاء الملكي.....62

2- شروط تولي القضاء.....63

3- مهام القاضي.....65

4- أشهر القضاة.....69

الفصل الثالث: التأثير الاقتصادي والاجتماعي.....(72-109)

المبحث الأول: الجانب الاقتصادي.....72

1- أساليب التعامل التجاري ونظمه.....73..

أ- المقايضة.....73

ب- العملات.....74

ج- المقاييس والمكاييل والاوزان.....75

1- المقاييس.....75

2- المكاييل.....77

3- الموزاين.....77

2- الزراعة والثروة الحيوانية 78

أ- الزراعة.....79.

ب- الثروة الحيوانية.....87

3- الصناعة والحرف.....92

4- المصادر المالية للدولة.....96

المبحث الثاني: الجانب الاجتماعي.....98

1- العادات والتقاليد الاجتماعية.....98

أ- الزواج ونظام الأسرة.....98

ب- الملبس.....99

ج- المسكن..... 102

2- التصاهر العرقي والجيل الهجين.....102

3-الإحتفالات بالمناسبات الدينية.....103

أ- الاحتفال بشهر رمضان المبارك.....104

ب- الاحتفال بعيدي الفطر والاضحى.....105

ت- الاحتفال بالمولد النبوي الشريف.....106

المبحث الثالث: الفنون.....109

الموسيقى والفنون والرقص.....109

الفصل الرابع: التأثيرات العلمية والثقافية.....(115-158)

المبحث الأول: الجانب العلمي.....115.

أ- مراحل التعليم.....115

1- مرحلة التعليم الأولى (الكتاتيب).....115

2- مرحلة التعليم الثانوي.....118

3- مرحلة التعليم العالي.....118

ب- هياكل التعليم ومراكزه.....119

1- المسجد الكبير.....120

2- مسجد سنكري.....121

3- مسجد سيدي يحي.....124

4- مسجد الهناء.....125

5- مسجد التواتيين.....125

2- المواد الدراسية ومقرراتها.....126

3- الإجازات والشهادات العلمية.....129

4- الكتب والمكتبات.....129

ج- المشاركة في الإنتاج الفكري.....130

1- العلوم الشرعية.....130

أ- الفقه.....131

ب- التوحيد.....131

ج- التصوف.....132.
د- المنطق.....132
هـ- علم التفسير.....132
و- علم القراءات.....133
2-علوم اللغة وآدابها.....134
أ- النحو والبلاغة.....134
ب- الأدب: الشعر والنثر.....136
3- التاريخ والتراجم.....138
د- نماذج لبعض العلماء وإسهاماتهم العلمية.....142
1- محمد بن عبد الكريم المغيلي.....142
2- العاقب بن عبد الله الأنصمي المسوفي.....143.
3- محمود بن عمر بن محمد أقيت.....144
4- محمود كعت.....144
5- أحمد بابا التنبكتي.....145
2- الجانب الثقافي.....146
أ- المراكز الحضارية.....146
1- تنبكتو.....146
2- جني.....148
3- غاو.....149
ب- فن العمارة الإسلامية.....150
ج-الحج والطرق الصوفية.....155
1-رحلات الحج.....155

2-الطرق الصوفية.....157
د-انتشار المذهب المالكي.....158
خاتمة.....(163-166)
ملاحق.....(168-180)
قائمة المصادر والمراجع.....(182-198)
فهرس المحتويات.....(200-207)